

صور وذكريات عن المدينة المنورة

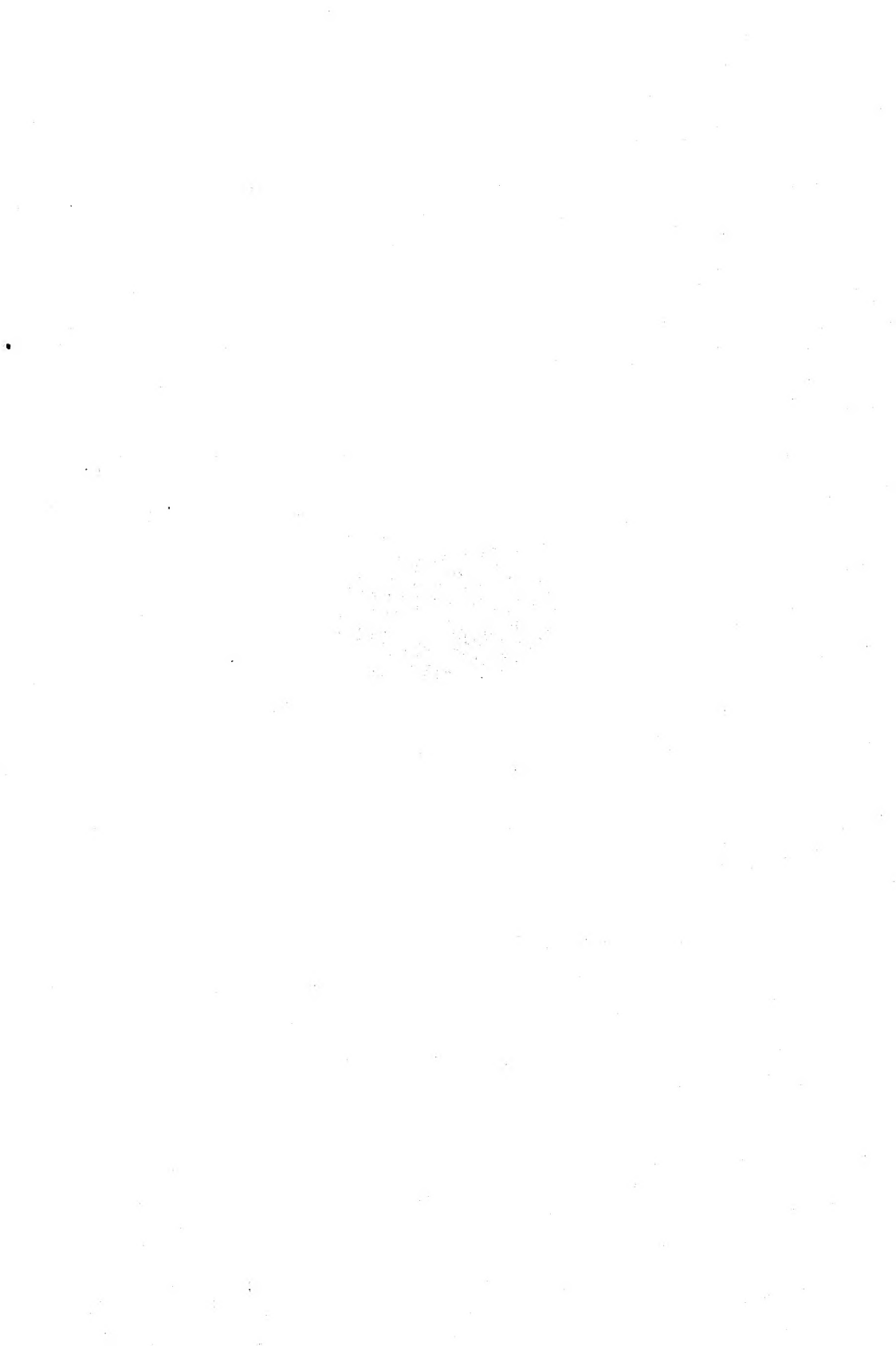
تأليف
السيد عثمان حافظ

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

نادي المدينة المنورة الأدبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بين يدي الكتاب

بقلم رئيس النادي

لاتزال المدينة المنورة رغم ماألف عنها من كتب، وصدر من دراسات وبحوث، تفتح كل يوم للباحثين والدارسين، العديد من النوافذ لارتياح الآفاق الجديدة، والمجهولة في تاريخها القديم والحديث وهى احدى الميزات البارزة التي عرفت عن هذه المدينة النبوية..

ففي كل يوم تستهوى قيثارة شاعر، أو قلم باحث، أو يتألق أحد معالمها الخالدة على لوحة فنية رائعة.

لذلك أحس بالكثير من الحرج، حين أحاول تقديم هذا الكتاب الجديد: (صور وذكريات عن المدينة المنورة) لاستاذنا الكبير السيد عثمان حافظ، على أنه آخر ماصدر عنها من كتب، فقد يكون هناك أكثر من كتاب يأخذ طريقه الى السوق أو الى المطبعة في هذه اللحظات، وقد يتاح لبعضها الصدور، قبل أن تتاح الفرصة نفسها لهذا الكتاب.

وهذا ما يحملني على أن اركز على جانب محدد من جوانب هذا الكتاب هو جانب المعاشية والاطار الواقعي، والبنوة البارة، الحفية بكل مايحقق لهذه البلدة الطيبة تطلعاتها، وطموحاتها.

فهذا الكتاب مجموعة مقالات كتبت منذ سنوات وبعضها قريب العهد ولكنه قليل، وهى في مجموعها تصوير لواقع تتطلب المرحلة الحضارية التي تعيشها بلادنا تغييره أو تطويره، اضافة الى ذكريات وخواطر وصور متعددة، جاءت نتيجة لتفاعل اديبنا الكبير مع الأحداث والمناسبات والوقائع التي مرت به، وكانت لها صلتها المباشرة بطيبة الطيبة، وبتاريخها، وبحياتها الادبية والاجتماعية والاقتصادية.

وهو لذلك يعتبر (وثيقة) هامة، لها وزنها حين يتاح لأحد الباحثين أن يدرس المراحل التي مرت بها المدينة المنورة خلال هذه الفترة الخصبة من ثم تاريخها، والتطورات التي شهدتها بعد ان هبت عليها رياح التغيير في هذا العهد الزاهر، واعادتها الى مكانها الحقيقي في مقدمة الركب.

ولعل هذه الناحية بالذات، هي التي تحفظ لبعض المقالات الصحفية وفي مقدمتها هذه المقالات بالطبع قيمتها الحقيقية رغم مرور الزمن وتعاقب الأحداث، لأنها تصبح جزءاً من التاريخ: تفسره، وتضيف اليه وتضع الخطوط الفاصلة بين الماضي والحاضر.

ففي هذا الكتاب الكثير من الامنيات والمطالب والتطلعات، ومن الصور التي تجاوزتها مسيرتنا الحضارية، واصبحت مجرد سطور أو صفحات في سفر ضخم يتألق بالمنجزات، ويتضوع بالامجاد.

الى جانب ماتحفل به هذه المقالات، من تصوير رائع لحقبة مرحلية من تاريخ المدينة المنورة، تعتبر ارهاصاً لكل ما استطاعت تحقيقه بفضل الله ثم بفضل ماحظيت به من رعاية وعناية واهتمام.

أما الكاتب الاستاذ السيد عثمان حافظ، فهو غني عن التعريف، لأن له دوره الرائد المعروف في ميادين الثقافة والفكر، وتاريخه الحافل المشرق في ارساء دعائم نهضتنا الصحفية.

وسيظل تاريخ الصحافة والادب في بلادنا مديناً للسيدتين الجليلين: علي وعثمان لما بذلا من جهود، وحققا من انجازات، وغرسا من بذور مباركة.. طيبة اصبحت تؤتي اكلها على مستوى، استطيع أن أقول إنه عالمي دون أية مبالغة أو مغالاة.

ولقد كانت (جريدة المدينة المنورة) منذ تأسيسها ولا تزال، مدرسة فكرية التقى ويلتقى في رحابها كل يوم العديد من الاجيال، بين جيل مضطلع برسالته يحرص على اداؤها بإيمان وعزيمة ودأب، وجيل يتلمس

طريقه الى خدمة أمته وبلاده، ودعم القيم والمبادئ التي نذر نفسه للدفاع عنها.

وفي هذا الكتاب ومضات من ذلك التاريخ الحافل، واضمامة عطرة من حداثق الفكر، والفن، والأدب، والتاريخ..
بقيت (ذكرى) لاتزال تتوهج في خيالي منذ فكرت في كتابة هذه الكلمة، وأنا احاول الا ارفع عنها الستار، حتى لااتهم باستغلال المقدمة للحديث عن نفسى، ولكنها امانة التاريخ.. فعذره!

كان ذلك منذ زمن طويل.. وانا في مرحلة اليقاعة.. وكان والذي يرحمه الله — يختار لى بعض القصائد التي تستهويه وتهزه، لكي استظهرها وأترنم بالقائها، وينتجز فرصة زيارة أحد رجال الفكر والأدب لـ (دكانه) لأقوم بهذه المهمة، وكانت القصيدة — فيا اذكر — لعنتره: لا يحمل الحقد من تعلوبه الرتب ولا ينال العلا، من طبعه الغضب واخطأت في نطق احدى الكلمات، فما كان من السيد عثمان — حفظه الله — الا أن أصلحها لى وهو يبتسم.. وقلت له وأنا مشدوه: هل تحفظها؟ فقال: لا.. ولكن سياق الكلام يدل على ذلك، وما كاد ينصرف حتى قلت لوالدي: هل هذا معقول؟ كيف يعرف انها خطأ وهو لا يحفظها؟ فأجاب: الموضوع بسيط، أن هذه المعرفة نتيجة الدراسة المتواصلة والحفظ الكثير، وستصبح انت كذلك اذا واصلت دراستك..

واعترف أن هذه الومضة الخاطفة، كان لها أعماق الأثر فى نفسى، وأنها كانت من الومضات التي انارت لى دروب الادب والفكر والثقافة.

تحية من الأعماق لأستاذنا الكبير السيد عثمان حافظ، والى اللقاء معه في كتاب جديد ياذن الله،،،

المدينة المنورة

محمد هاشم رشيد

ذكريات عن المدينة المنورة

الحنين الى الاوطان — احدى طبائع الانسان — التى تلهب الشعور وتثير الاحساس. ولقد احسست بهذا الحنين — وانا اطوف شوارع المدينة المنورة وازقتها واحواشتها — التى كانت مرتع الطفولة والشباب.. ومربع الصبا والجمال.

ذكريات غاليات.. اثارت في النفس.. لواجع الحنين — واعادتني الى نصف قرن مضى أو يزيد — قبل ان نشعر بمسئولياتنا في الحياة.. وقبل ان ندرك ان علينا واجبات للوطن والاهل والولد.

تزامت امامى هذه الذكريات.. وذكريات الطفولة.. لاتمحوها الايام.. فهى تستقر في النفس ولا تمحوها الايام. ولقد شدتني بعض اسطوانات المسجد النبوى الشريف.. شدتني — اليها شدا — تلك الاسطوانات التى كنا نأوى اليها للمذاكرة أيام الامتحانات.. والتى كنا نركن اليها ونجتمع حولها ايام الدراسة بالمسجد النبوى بعد تخرجنا من المدرسة — التى كانت تنتهي عندها دراستنا — كان ذلك بين عام ١٣٤٠ و ١٣٤٢.

ولقد تغير على كل شىء بالمدينة — فلا الشوارع شوارعها.. ولا الازقة ازقتها.. ولا المساكن مساكنها.. ولا النخيل نخيلها.. ولا المرافق مرافقها.. كل شىء تغير علي.. حتى يخيل الي — ان ساءها التى كنا ننعم على صحوها في الاسطحة ونجومها التى كنا نعد بعض تجمعاتها قد تغيرت علي.. وسبحان من يغير ولا يتغير.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٦/٥/٦ هـ

لقد كنا اذا اردنا الخروج الى العالية — بقاء أو العوالى لقضاء يوم العطلة هناك.. نستمتع بما فيها من اشجار ورياحين.. ونخيل واشجار وارفة الظلال.. ومياه عذبة تتدفق في الجداول والاحواض والبرك.. كنا نستعد لهذا اليوم قبل أيام.. ونطلع الى تلك المغاني على عربيات (الكرو) في طريق ضيقة جدا — يتراوح عرضها بين مترين ومتر ونصف — تسير بين البساتين على طول الطريق فوق تراب ناعم طحنه عجلات العربات وحوافر الدواب.. ولا تلبث هذه الاتربة أن تتعالى.. ثم تنحط رؤوسنا فتملاً أنوفنا ووجوهنا بعفارها.. ولا يريحنا منها الا تلك البرك الصافية التي كانت تزيل تلك الادران الذي خلفها الطريق والشلالات التي تضرب في البرك.

وفي نطاق النهضة العمرانية الشاملة تحولت تلك المسالك الضيقة — والازقة الملتوية — الى شوارع فسيحة مسفلته، تزامت في جنباتها العمارات الشاهقة واصطففت على حافاتها السيارات الفارهة واتصل العمران بمسجد قباء.. وبعده كيلو مترات بشارعى، قربان والعوالى — ولكن — ياخسارة — تحولت تلك الشوارع المسفلته الى حفر عميقة وسطحية — وانقلبت طبقات الاسفلت (عاليها سافلها) وتعذر السير في بعضها لا على العربات فحسب ولكن حتى على المشاة على الاقدام.. وقالوا ان هذا في نطاق اصلاحها.

وما يشك احد ان هذه الحفر انما حفرت لصالح البلد.. لالعرقلة السير والتخريب.. ولو كانت الشركات والمصالح التي تتولى الحفر — ترعى شعور الناس — وتهتم ببني آدم الذين يسيرون ويسكنون تلك المناطق التي يحفرونها — فلا تقوم بالحفر الا بعد ان تستكمل وسائل دفنها بالسرعة المطلوبة — لا يمكن الاستفادة من خدمات هذه الحفر.. وعادت بالخير على الناس.

ومع شديد الاسف انه لم يجز تنسيق بين المصالح التي تتولى الحفر فالكمل يحفر بدون تنسيق مع الاخرين.. يقشع الاسفلت وتسد الطريق وتبقى الحفر عشرات الايام بدون دفن — ولا تنهى هذه المصلحة من الحفريات حتى تبدأ مصلحة أخرى بالحفر — مما عمق الشكوى وضاعف تدمير الناس..

ومن الغريب المؤسف — أن الحافرين — اذا صادفوا ماسورة ماء أو خطوط كهربائية أو تليفونية قطعوها بدون مبالاه — وكم من الناس قد تضرر من انقطاع الماء والكهرباء عنهم — وكم توقف من التليفونات الهامة بسبب قطع كابلات التليفونات من الحفريات التي تجرى بدون (سنع) وبدون رقابة.

وبما أن كل هذه المعونات والخدمات التي تقدمها الدولة.. هي من اجل المصلحة — مصلحة المواطن — وتوفير سبل الراحة له — فإنه يجب ان يكون الاعتبار الاول في مشاريع الدولة — للاكثر فالأكثر اهمية بالنسبة لحاجاته ومصالحه.. ويجب ان يجرى تنسيق بين المصالح في الحفريات وفي دفن الحفر.

وأرى أن هناك عدة نواحي يجب الاهتمام وتقديمها على غيرها.. هي:

- توفير الماء في جميع الاحياء السكنية وادخاله الى كل منزل.
- توفير الخطوط التليفونية وادخال التليفون لكل طالب بأسرع مايمكن.
- توفير السكن لكل مواطن بأجور معقولة لا ترهقه.
- توفير الكهرباء في جميع المناطق التي تقوم بها العمارات والمساكن الحديثة.

هذه أشياء ضرورية وملحة — فلا يقدم عليها — مثلاً نقض شارع أسفلتي وابداله بغيره أو إيجاد خط ثالث أو رابع أسفلتي بشارع فيه خطوط أخرى.

لأدرى هل في هذا الكلام غلط او انه محتاج الى تعديل — فهل يمكن أن نسمع كلمة المسؤولين في هذا الرأي أرجو ذلك — لأنني كما أسلفت لم يقم مشروع من المشاريع الا والهدف منه مصلحة المواطن وتوفير الراحة له — والآراء الجماعية دائماً أدق وأجدى من الآراء الفردية وماندم من استشار ولاخاب من استخار.

اما ما شاهدته من مفارقات بالمدينة المنورة فوعده اليوميات القادمة ان

شاء الله. ولقد سبق ان اقترحت في كلمة سابقة — ان تشكل لجنة وزارية
أو على الأقل على مستوى وكلاء الوزارات لدراسة حاجة المواطن الضرورية
— لتقديم الاهم على المهم من المشاريع.. أو أن تجرى هذه الدراسة بمجلس
الوزراء عند عرض موازنة الدولة ومشاريعها في رأس السنة المالية.

حفظ القرآن الكريم في المسجد النبوي

في كل مرة ازور فيها المدينة المنورة.. يتجدد الحنين اليها، ويرف القلب
للاقامة فيها.. والعيش في ربوعها.. ويزداد الشوق اليها والتعلق بها وذو
الشوق القديم وان تعزى.. مشوق حين يلقي العاشقين..

لقد تذكرت.. وانا اطوف شوارع المدينة الحبيبة وازقتها التي نشأت فيها..
وربيت بين احضانها.

تذكرت ايام الصبا والعهد السابقة.. تذكرت ليلها الجميلة.. ومغانها
الباسمة.. ومناظرها الفاتنة وقد اختلفت معالمها على اختلاف كثير.. وتغير
على كل شيء خلال العشرة اعوام التي مرت.. تغيرت الشوارع والمساكن
والميادين.. حتى المسجد النبوي الشريف.. الذي كنا نقضى فيه معظم
اوقاتنا.. عبادة، ودرسا، واستذكار الدروس.. حتى المسجد النبوي الشريف
تغيرت حصباؤه — التي كانت تضاء ليلا بالثريات الكهربائية الجميلة..
وتقام فيها صلاة التراويح.. بعضها بالآيات القصيرة والصور القصيرة
وبعضها بالمصحف كاملا من حفظة القرآن المجيد من الطلاب.

واذكر — وكأنه امامي الان — وقد مضى عليه اكثر من نصف قرن —
اذكر ذلك السطر — التي كان يكتبه (امين مستودع المسجد النبوي) — على
افند — يكتبه بالثريات الكهربائية منذ اول شهر رمضان معلقاً في الهواء
(اهلا وسهلا بشهر الصوم المبارك) .. وكان هذا سطر من الثريات
الكهربائية يضيء اطراف المدينة ويرى من مكان بعيد للقادم للمدينة —
يضاء هذا السطر طوال ليالي رمضان من كل عام فيزيد الجو بهجة وجمالا..

كل ذلك قد تغير حتى الكتاتيب التي بأخر المسجد التي حفظنا فيها

نشرت في جريدة المدينة في ١٣/٢/١٣٩٧-

القرآن — وفكينا فيها الحرف — قد تغيرت.. وكانت هذه الكتابات — تجمع ابناء طيبة واطفالها وهى المدارس الوحيدة لتعليم القراءة والكتابة.. وحفظ القرآن المجيد.. وكانت الى جانبها المدرسة الرشدية التي اسستها الحكومة العثمانية في المدة الاخيرة.. قبل الحرب العالمية الاولى وكان اقبال اهل المدينة عليها ضعيفا جدا.. اولا لان الدراسة فيها كانت باللغة التركية غير اللغة التي يعرفها اهل المدينة.. وثانيا — لما قام من دعاية ضدها.. من ان طلابها سيتحولون الى (عسكر) بعد التخرج منها.. حتى هذه الكتابات ليس لها اثر — فقد ضمت لتوسعة المسجد النبوي مع ماضم للتوسعة من اماكن.. واصبحت جزءا من المسجد النبوي الشريف.

وقد قفزت بي الذاكرة — الى تلك الاسطوانات التي كانت بقرب الكتابات والتي كنا نضع عليها الواحنا — التي نحفظ فيها القرآن.. بعد مسحها بالماء وطلائها، (بالمضر) بفتح الميم واضاد.. لتجفيفها على ضوء الشمس لكتابة درس جديد من القرآن.

وكان الخروج من الكتاب لتجفيف اللوح.. هو فرصتنا الوحيدة للفسحة والبعد عن عصا العريف الشيخ محمد بن سالم..

وللتاريخ — فإن هذه الكتابات — كان ثمانية منها اربعة في الدور الأرضى — واربعة في الدور الثاني — وكنا ندرس في كتاب الشيخ محمد الطرودي.. وكان شيخا هادئا وديعا — .. لا اذكر على طول بقائنا في الكتاب ان عصا الشيخ الطرودي — لامست ارجلنا او ظهورنا — اما العريف — (الشيخ محمد بن سالم)، فقد كان شديدا على الطلاب.. قل ان يسلم طالب من عصاه — وكانت لديه عصا طويلة اظن انها تزيد على مترين لتصل الى ابعد مدى فيه الطلاب — رحمهم الله واجزل لهم الثواب فقد كانوا سببا في حفظنا لكتاب الله.

والكتاب يضيق بالطلبة — فلا يقل عدد الطلاب عن خمسين أو ستين طالبا.. وأمام كتاب الطرودي — كان كتاب الشيخ ابراهيم فقيه والد

صديقنا الشيخ جعفر فقيه.. ولكن الشيخ جعفر فقيه لم يحفظ القرآن في كتاب والده — بل حفظه في كتاب الطرودي.. وكنا زملاء في الكتاب طيلة مدة دراستنا.

وكان هناك كتاب الشيخ عبده ابو خضير والشيخ النعمان، والشيخ محمد والشيخ احمد الكتامي.

كل هذه الكتاتيب كانت مزدحة بالطلاب.. وكان الطالب يدخل الكتاب في سن الخامسة — ولا يخرج منه الا بعد حفظ القرآن واقامة حفلة ختم القرآن المجيد وفي هذه الحفلة يلبس الطلاب احسن ثيابهم ويذهبون الى منزل صاحب الختم في طواير منسقة.. ينشدون القصائد التقليدية.. أثناء سيرهم، من الكتاب الى منزل صاحب حفلة الختم.. وهناك يقدم لجميع الطلاب انواع الطعام والحلوى..

ايام حلوة لذيدة لا تنسى ابدا — وذكريات تعاقبت عليها ازمان وازمان وهي قائمة في النفس وكأنها احداث الامس القريب — وكيف تنسى — وقد امتزجت بدم الانسان وعصبه.. ولقد اثارت هذه الذكريات الشعور ودغدغت العواطف.. وتركتني اسبح في خيالها الفسيح وصورها الرائعة ولا ادري لعلها طلائع التفكير في العودة الى تلك الربوع الحبيبة وقضاء بقية العمر في ذلك الجوار الرحيب.

حول ادارة خدمة الحرمين الشريفين

الحرمين الشريفان أكبر مساجد المسلمين في العالم وهما يضمنان أفضل بقاع الأرض وأطهرها فالتربة التي ضمت جدث الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم — هي أشرف بقعة على ظهر الأرض — والقطعة التي قامت عليها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس مثابة وأمانا هي أشرف قطعة على وجه البسيطة.

ويؤم الحرمين الشريفين المسلمون من جميع أقطار الدنيا.. وقد جعل الله افئدة من الناس تهوى اليهم ورزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون.

وقد فرض الله تعالى على كل مسلم حج هذا البيت لمن استطاع اليه سبيلا وندب لزيارة المسجد النبوي الشريف والصلاة والسلام على الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

والدولة تولى الحرمين الشريفين اهتماما بالغا وتهتم بكل مايتعلق بهما من اصلاحات وكان المغفور له الملك عبد العزيز — لاينسمح أبدا بأجراء أى اصلاحات أو تعديلات بالحرمين الشريفين.. الا بعد عرض الأمر على جلالته وموافقته ولما حصل تصدع بأحدى اسطوانات المسجد النبوي — وهمت بعض الدولة الإسلامية بإجراء إصلاحات بالمسجد النبوي الشريف رفض جلالته أن يصرف أى شئ على إصلاح ماتصدع من اسطوانات وأمر بإجراء جميع الإصلاحات على نفقة جلالته الخاصة وفي اثناء إجراء هذه الإصلاحات.. عرضت جريدة (المدينة المنورة) على جلالته غفر الله له في كلمة — نشرتها في العدد ٢٩٧ في ٦ شعبان سنة ١٣٦٨هـ — توسعة المسجد النبوي الشريف لضيقه على الوافدين واضطرار المصلين للصلاة في

نشرت في جريدة المدينة في ١٩/١١/١٣٩٧هـ

الشوارع والطرق فوافق جلالته على التوسعة وأمر — بإجراء التوسعة على نفقة جلالته — وقامت العمارة فكانت تحفة فنية في البناء الإسلامي والتنسيق والأضواء ثم صدر الأمر الكريم بتوسعة المسجد الحرام هذه التوسعة الكبرى التي ضاعفت من مساحته عدة أضعاف وأدخل مشعر المسعى الذي كان محالاً للبيع والشراء والسكن، والمغالق التجارية.. وطواف الحيوانات السائبة أدخل في حرم المسجد الحرام واختص بأداء نسك المسعى كما أجريت التوسعات الكبرى وأقيمت الميادين حول المسجدين الشريفين مما كلف الدولة مئات الملايين بل الوفها وفي الأزمنة السابقة كان قصاد الحرمين الشريفين يعدون بالألوف أو عشرات الألوف.. أما اليوم وبعد أن عادت الطرق وسهلت المواصلات وتنوعت فقد تضاعف عدد رواد الحرمين الشريفين حتى أصبحوا يعدون بالملايين وكان بعض قصاد الحرمين الشريفين يتخذون منها محلاً للنوم والطعام والشراب وأدخال الأطفال الذين يوسخون المساجد ويعبثون بها.

وكنت شرحت هذه الأوضاع في مقال نشر بجريدة المدينة المنورة بتاريخ ١٦ شوال سنة ١٣٩٧هـ وأشارت الى نوم الزوار وأتخاذهم المسجد النبوي محلاً لطعامهم وشرابهم.

ونظراً لما تتطلبه صيانة الحرمين الشريفين من عناية بالغة فقد اقترحت أن تسند ادارتها لمسؤول كبير في الدولة يتولى الأشراف على جميع شؤونها وأني أحمده الله أن الدولة كانت مهتمة بأمر الحرمين الشريفين وصدر الأمر الكريم بأستاد ادارة الحرمين الشريفين لسماحة الشيخ ناصر محمد الراشد الذي كان يشغل الرئاسة العامة لتعليم البنات وقد وفقه الله تعالى في هذه المهمة ونهض بتعليم البنات نهضة كبرى وانتشر تعليم البنات في كل مدن المملكة وقرائها.

وأني لاهنيء فضيلته بالثقة الكريمة وأهنته أن أسند اليه هذا العمل الجليل وهو خدمة الحرمين الشريفين وأرجو أن يجد من عنايته المعروفة ما يحسن أوضاعها من جميع النواحي.

ولقد كنت اقترحت في تلك الكلمة أن يكون محلا للدراسات الإسلامية واللغة العربية بحيث تنشأ فيها كليات الدراسات الإسلامية العليا واللغة العربية وتكون تابعة للجامعة الإسلامية أو أى — جامعة أخرى ليعيدا سيرتها الأولى فقد كانا مصدرا لتعليم الشؤون الدينية والإسلامية من صاحب الرسالة الأعظم صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة التابعين رضوان الله تعالى عليهم — فكانا جامعتين تخرج منها فطاحل العلماء — الأعلام والأدباء والكتاب.

وأسأله تعالى أن يأخذ بيد هذا الشيخ الجليل وأن يعينه للأشراف بنفسه على خدمة هذين المسجدين وأن يوفقه في عمله هذا المقدس كما وفقه في عمله الثقافي الجليل الأول.

مكتبة الحرم النبوي الشريف

المكتبات — هي المورد العذب .. الذي يغذى طلبة العلم .. بالعلم والمعرفة ولايستغنى طالب علم .. عن وجود مكتبة بجانبه .. يرجع اليها للمراجعة والمدارسة مع زملائه.

وكان اساتذتنا يقولون لنا — ان العالم — هو الذي يستطيع أن يعرف الكتاب .. ويعرف مظان المسألة التي يريد البحث عنها في الكتاب.

فالكتاب .. هو الاستاذ الاكبر للطلاب اثناء دراسته المدرسية والجامعية .. وبعد الدراسة أيضا .. ومن ترك الكتاب تركه العلم.

وتكاد تقاس ثقافات الأمم والشعوب بما لديها من مكتبات .. وماتحويه هذه المكتبات من نواذر الكتب المطبوعة والمخطوطة.

وكان العلماء الاعلام قبل أن توحد المواصلات السريعة .. وقبل أن توجد المطابع على هذا النطاق الواسع .. كانوا يضربون أكباد الآبل .. في الشرق والغرب للأطلاع على كتاب .. أو نسخ كتاب.

وأذكر ان الشيخ التركزى الشنقيطى الذي كان يسكن المدينة المنورة .. وكان يخالف النحويين في صرف (عمر) ويقول أن (عمر) ليس ممنوعاً من الصرف وهو جمع (عمرة).

زار هذا الشيخ الفاضل — السلطان عبد الحميد العثماني في استامبول — واعجب بعلمه وفضله وعرض عليه السلطان عبد الحميد — اى حاجة له ليقضيها — فقال له حاجتان اثنتان أولهما — ترحيلي إلى مدينة (قرطبة) بالاندلس ومعى من يدلنى على المكتبة هناك ونسخ الكتاب (الفلاني) ونسخ

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/٣/٢٥ هـ

مأجد من كتب اخرى ليس عندي.. والثاني ان تأمر بصرف (عمر) لأن النحويين ظلموه بعدم صرفه.. فأجابه للاولى أما الثانية فقال له أنها تخضع لأراء وعلماء اللغة العربية.

وتهتم دور العلم — والجامعات بالمكتبات اهتماما بالغاً حتى أصبح للمكتبات نظام خاص يدرس في الجامعات لتنسيقها وتبويبها وطرق الاستفادة منها في الداخل والخارج واعارة الكتب واعادتها.

وأذكر أنني زرت مكتبة جامعة (سكرامنتو) بلوس انجلوس.. فكانت عبارة عن مدينة قائمة بذاتها.. وكانت المكتبة مجاورة للجامعة ولكنها في ضخامتها وسعتها، وتوفير الخدمات فيها، ولا تقل عن الجامعة في نظامها وعطائها.

لا اريد أن أطيل الحديث.. والحديث عن المكتبات ذو شأن كبير.. ولقد أثار هذه المقدمة مارأيته بمكتبة الحرم النبوي الشريف في زيارتي الاخيرة للمدينة المنورة، وكانت الحكومة.. قد أقامت هذه المكتبة أثناء مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف الأولى.. وكانت تحفة في البناء والتنسيق وضربت عليها قبة بحجم المكتبة تشعرك بعظمتها وشأنها الخطير.. وتقع هذه المكتبة.. بين المحكمة الشرعية الكبرى ومنزل فضيلة امام وخطيب المسجد النبوي الشريف.

وأذكر أن أول من أسندت اليه ادارة هذه المكتبة الاستاذ الشيخ جعفر فيه.. وكان ذلك في عهد صديقنا العزيز الاستاذ السيد احمد العربي عندما كان مديراً عاماً للأوقاف.

ورغم أن الاستاذ فقيه قد استلم المكتبة عبارة عن مباني وليس فيها كتباً تذكر او دوايب لحفظ الكتب الا أنه ادارها على خير وجه وجعل منها مكتبة كبرى ذات شأن ونفع كبير للعلماء ولطلاب العلم.. عمرها بالكتب الثمينة، وتحصل لها على دوايب رائعة معظمها كانت هدايا تحصل عليها

بجهده وعنايته وفقهه وثقة الناس به.. وأصبحت هذه المكتبة موردا عذبا للعلم ولطلاب العلم، وكانت الخدمات فيها عظيمة ومواعيد فتحها منظم تنظيما دقيقا وكانت مكتبة عارف حكمت المجاورة لهذه المكتبة لها نظامها في استقبال المراجعين وخدمتهم.. وكانت مكتبة عارف حكمت هي استاذنا الأول فقد كنا نقضى فيها الساعات الطوال في المراجعة ونسخ ما نريد نسخه وكان شرط واقفها أن تكون جميع الكتب بها والذي أحضرها لها خطية ولكن في عهد مديرها النشيط الشيخ ابراهيم خربوقي أصبحت تقبل الكتب المطبوعة.. وبعد وفاته ضعفت بعض الشيء في خدماتها، واتجه الناس الى مكتبة الحرم النبوي الشريف.

ولقد كنت أزور مكتبة الحرم فأجدها عامرة بطلاب العلم والمراجعين وقد سهلت لهم المكتبة جميع الخدمات اللازمة. وفي المدينة المنورة عشرات المكتبات وآلاف الكتب، ولكن رواد هذه المكتبات قليلون جدا ولا يكاد يعرف هذه المكتبات الا القليل من الناس، وبعض هذه المكتبات كانت تابعة لمدارس أهلية لا يستفيد منها الا طلاب المدرسة، وبعض هذه المدارس خالية من الطلاب وبعض تلك المكتبات مكتبات خاصة، ولا يردها الا أصحابها أو اخصاء أصحابها فكتبة الحرم النبوي الشريف سدت فراغا كبيرا في مجال استعدادها للمطالعة والمراجعة.

ثم ما حدث لقد أحيل مديرها السابق الشيخ جعفر فقيه على التقاعد لبلوغه السن القانونيه ومن الصدف الغريبة أن أحال على التقاعد أنا واياه في عام واحد ونحن اصدقاء منذ الطفولة كنت واياه وأخي السيد على حافظ.. نحفظ القرآن في كتاب الشيخ (ابراهيم الطرودي) وكنا نجلس ثلاثتنا على طاولة واحدة وكنا نسمع دروس القرآن بعضنا لبعض كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى.. واستمرت صداقتنا في النمو والزيادة بفضل الله تعالى الى اليوم، وكان الشيخ جعفر يقرأ القرآن بصوت رخيم وكنا دائما نحب أن نسمعه.

وأذكر الآن انني قلت للمسؤول الكبير في وزارة الحج والأوقاف عندما أخبرني بظهور اسمي واسم جعفر فقيه للأحالة على التقاعد لأن تاريخ ميلادنا في سجلات الحج والأوقاف كان في عام واحد.. قلت للمسؤول الكبير أنني اعمل مديرا لادارة الحج عشرين عاما منذ ١٣٦٥هـ.. غير الأعوام التي قضيتها في خدمة الدولة في دوائر أخرى وقد تعبت من العمل.. وكنت اجث عن اليوم الأبيض الذي اخرج فيه من الوظائف وانا (بعيني وعافيتي) ولعل الله يعوضني خيرا مما كنت فيه.. وتذكرت وانا اتحدث مع المسؤول الكبير تذكرت قضية عامل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عزله من العمالة.. فقال له والله يأمر المؤمنين لقد وليت هذا الأمر وليس شيئا أبغض الى منه.. وتركه الآن وليس لدى احب منه.. ولكني وجدت أن هذا لا ينطبق على من كل الوجوه لا في الأولى، ولا في الثانية يعني لا حين توليت ولا حين تركت العمل وحمدت الله على العافية.

ثم قلت لهذا المسؤول أنكم سوف تجدون من يخلفني — بالراحة وقد تجدون من هو خير مني، ولكنكم سوف لا تجدون من يخلف جعفر فقيه في المكتبة، لأن جعفر فقيه أصبح ذا اختصاص في تنظيم المكتبات وأن معظم مافي المكتبة من كتب ودوايب وأثاث هو من جهده الخاص من الأوقاف ومن غير الأوقاف كان بوجهته وثقة الناس به فقال أن وزارة المالية مشددة في احالة الموظفين الذي يبلغون السن القانونية على التقاعد لأفساح المجال للناشئين المتعلمين ليشغلوا مراكز الذين انتهت مدة خدمتهم.. وقلت له كرة ثانية أن جعفر فقيه سوف لا يفقد المكتبة ولكن المكتبة وطلاب العلم الذين يستفدون من المكتبة هم الذين سوف يفقدون جعفر فقيه.. ورجوته أن أمكن تمديد مدة خدمته.

هذه المكتبة التي تحدثت عنها حديثا عابرا كانت كالزهرة المفتحة، نظافة، ونظاما، واناقة، ولأنس شراب ماء الفخار التي كانت موضوعة في رحبتها وعليها الأغطية الصفرة التي تلمع لمعانا وكانت هذه الشراب هي الوسيلة الوحيدة لتبريد الماء فكل شيء كان بها جميلا ومعني به.

ولقد مررت اليوم على هذه المكتبة.. فلم أجد بالمكتبة النشاط الاول.

أن الحكومة مهتمة اهتماماً كبيراً بالمكتبات في المملكة قد أقامت في كل مدينة كبيرة مكتبة وعمرتها بالكتب وأعدتها لطلاب العلم، ومن المدن الرئيسية التي اهتمت بها (المدينة المنورة) فقد شيدت فيها مكتبة كبرى في المناخة فقامت على احدث طراز لمباني المكتبات والأمل أن تجمع فيها كتب جميع المكتبات ويستفيد طلاب العلم والمعرفة من هذه الثروة الكبيرة من الكتب.. والمكتبة بالمدينة على وشك أن تتسلمها وزارة الأوقاف.. وأرجو أن تعود الحياة لهذه المكتبة ريثما يتم استلام تلك المكتبة وتشغيلها على أن وجود مكتبتين أو ثلاث بالمعرفة ليس كثيراً لو أمكن تشغيل هذه وتلك.. فتكون هذه لطلاب الجامعات والطلاب عموماً.. وتلك لطلاب المسجد النبوي الشريف الجامعة الأولى التي اخرجت العديد من طلاب العلم وفصائل العلماء منذ أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم.. على البر والتقوى.

ذكريات الحج في المدينة المنورة

ذكرت في عدد مضى — أن للمدينة تقاليدھا الخاصة في الحج.. وأن الحج «السراھ» تقليدا رائعا لا يقل عن تقاليد الأفراح والطفل الذي يحج سراره.. لا ينسى ابدا هذه الحجة طول عمره.. والسراھ — هو الطفل الذي يحج مع أسرته، أو مع والده لأول مرة.. وسنه من السابعة والثامنة الى الخامسة عشرة.. وربما الى العشرين.. ووعدت بالتحدث عن تلك الذكريات الرائعة التي كانت جزء من ماضينا البعيد وجزء من حياتنا الممتعة التي لفھا الزمن وطوتها الأيام ولم يبق الا ذكرها — وقد اختفى معظمها مع تعاقب «الحدثان».

وتدعوني المناسبة الآن ونحن في شهر ذي الحجة من الأشهر الحرم — والمسلمون يتأهبون لزيارة الأراضي المقدسة وحج بيت الله الحرام.. تدعوني هذه المناسبة للتحدث عن ذكریات الحج بالمدينة وذكريات حج أهالي المدينة المنورة.

* قدوم الحجاج:

تبدأ قوافل الحجاج تصل الى المدينة المنورة من شهر شعبان وأول ما يصل من الحجاج للمدينة حجاج الشرق الأقصى — الأندونسيون والملازيون — وغيرهم.. ويسمون بالمدينة «بالجاوى» ويبدأ وصول الحجاج — الجاوى — الى جدة من شهر رجب وربما شهر جمادي الآخرة.. ولا يبقى الحجاج — طويلا — بجدة ريثما تجرى معاملات قدومهم الرسمية.. ثم يتوجه بعضهم الى المدينة المنورة وبعضهم الى مكة المكرمة لصيام رمضان — وكانوا يأتون على الشقادف — كل بعير يشد عليه شقدفان مع أمتعتهم الخفيفة ودخل

نشرت في جريدة المدينة في ١٠/١٢/١٣٩٩هـ

الشقذف واسع يمكن للحاج أن ينام فيه ليلا بشكل مريح والقافلة الواحدة — من قوافل الحجاج يكون من مئات الشقذاف — وقد تصل الى ألف حاج أو تزيد.

وتصل قوافل الحجاج عادة مع الفجر وإذا جاء الحجاج كنا نعرفهم ووصولهم مع قيامنا من النوم.. نصحي على أصوات الباعة بين الشقذاف ينادون على بطائعهم (الانقرمنيس) وهو شراب الورد أو الليمون أو المهليليات مع القطر أو الحلويات والخبز.. ونرى مع شقائق النور — المناخة وقد امتلأت بالشقذاف — والمناخة هي مناخ الحجاج من قديم الزمان.. وهي ذات شقين مناخة «ديرو» وتبدأ من مسجد الغمامة شمالا الى باب الشامي وفيها أول نزل الشقذاف للحجاج ومناخة الحطب وتبدأ من مسجد الغمامة جنوبا الى الحجازية والمراكشية ينزلها الحجاج بعد أن تمتلئ مناخة ديرو.. وسميت مناخة الحطب لأن باعة الحطب والفحم كانوا يشغلون جزءا منها — وإذا زادت قوافل الحجاج نزلوا في رحبة باب الشامي الى سفح جبل سلع.

وقد اعتاد الجمالة أن يضعوا شقذافهم في المناخة على شكل دوائر لكل شيخ من مشايخ الجاوي، أو دليل من أدلاء الجاوي.. دائرة وتسد هذه الشقذاف الدروب والطرق.. فلا يستطيع سكان المناخة الذهاب الى المسجد النبوي أو السوق الا بصعوبة كبيرة.

وأقل مايق فيه الحجاج بالمدينة ثمانية أيام ليتمكنوا من أداء أربعين فرضاً متوالية بالمسجد النبوي لما في الأثر عن الأجر العظيم لمن يؤدي بالمسجد النبوي أربعين صلاة متوالية لانفوته صلاة مكتوبة.. على أن الحجاج الذين يصلون قبل رمضان دائماً يصومون رمضان بالمدينة وتزدحم المدينة المنورة بالحجاج في شهر شوال وذي القعدة قبل الحج.. ثم في شهرى المحرم وصفر بعد الحج.. حتى لم يبق مكان لقدم وبعضهم الى ربيع الأول انتظارا لبواخرهم..

* الحج أيام زمان:

لم يكن الحج أيام زمان — كما هو عليه الآن من السهولة واليسر — بل ان فيه كثيرا من المتاعب والمشاق وما كنا ننال الحج الا بشق الأنفس.

فالمواصلات كانت طويلة ومتعبة — كانت المواصلات على الأبل وعلى الخيل والبغال والحمير.. لاعلى الطائرة والحديد كما هو عليه اليوم وكان الطريق الى مكة المكرمة — طريق طويل ووعر.. وكانت الطرق على طولها ووعورتها ليست آمنة واذا لم يستعد المرء لمقاومة من يحاول الاعتداء عليه فإنه يكون عرضه للسلب والنهب وربما للقتل — أيضا ولم يؤمن الطرقات ويستقر الامن في البلاد الا في العهد السعودي الزاهر.

وكانت كل أسرة من المدينة «تحالف» أحد المشايخ القبائل أو الشخصيات المعروفة بين القبائل يحمونهم من الاعتداء عليهم أثناء سفرهم من المدينة للحج، أو تجوالهم ببادية المدينة وأطرافها.. وكان اذا جاء هذا الحليف للمدينة ينزل على حليفه من أهل المدينة.. ضيفا هو وجماعته ويقوم الحليف المدني بواجب الضيافة مدة اقامته.. كل يوم ذبائح وكساوى وهدايا.. واذا سافر أحد من أهل المدينة وحاول الاعتداء عليه بعض العربان ذكر حليفه أو القبيلة المتحالف معها فيكفوا عنه ويحموه.

وقد اراحنا الله تعالى من هذه المشاكل — بعد أن أمنت البوادي والخواضر في عهد السعودي الزاهر وأصبحت هذه الحوادث في ذمة التاريخ — تروى كقصص تاريخية.. ويأتي أبنائنا فلا يكادون يصدقونها لغرابتها لديهم وقد عاشوا في هذه الأيام الآمنة المطمئنة.

* حج أهالي المدينة:

أما عوائد الحج بالمدينة — فأني أذكر أن والدنا تغشاه الله برحمته اذ عزم على الحج — في عامه — بدأ في الاستعداد للحج من شهر رجب ويبدأ في

ارتياح سوق الأبل بعد كل عصر لشراء الراحلة التي يحج عليها.. وبعد أن يشتريها يسلمها لأحد الجمالة.. ليسرح بها في البادية على المراعي التي تشبع منها — ويعود الجمال في فترات متقطعة ليتفقدوا — الوالد.. ثم يعود بها للمراعي في العشرة الأخيرة من شهر ذي القعدة يأتي بها ويبركها أمام الدار.. وفيما أذكر أن قيمتها في حدود عشرين مجديا وهي اما زادت عن ذلك قليلا أو نقصت وكنا نتناوب على ركوها عصرا أنا وأخواني على حافظ الأكبر وابو السعود الأصغر — رحمه الله — عندما كان يأخذها الجمال ليسقيها أما من عين المناخة أو من عين باب الشامي.

وكانت دارنا في حوش المزوقي.. وكان جيراننا في الحوش أذكر منهم الشيخ عبد الكريم الخريجي والد الأخوان الشيخ محمد والشيخ عبدالله وصهره الشيخ عبد العزيز الخريجي.. وجار الجنب كان العالم الفاضل الشيخ محمد العلي التركي.. وكان جازنا المقابل.. الشيخ محمد بنائي موسيقار المدينة وكنا نسمع الليالي الذي كان يحبها ونحن بالسطوح أثناء النوم نسمع الليالي التي كان يحبها.. وكان من أضخم الناس صوتا وأجلهم أداء ويقولون أنه متقن ومجيد للأغنام ويسمونه (الحجة) ممن كان يتردد عليه ويأخذون عنه.. الفنانون ابراهيم سمان وحسين بخاري وعبد الستار بخاري وابو بكر كمال وغيرهم وكان مشهورا في فن الغناء كما هو الآن الموسيقار طارق عبد الحكيم.

* الاستعداد للحج:

ومن شهر شوال يبدأ الوالد رحمه الله بشرا لوازم الراحلة ولوازم متطلبات الحج من أواني وغيرها.. وأول ما كنا نراه من لوازم الراحلة الشداد والجاعد «الفرو» الذي يوضع فوق الشداد والأخراج الكبيرة.. وهي من قطعتين موشاة بالكتل الملونة المدلاة من الجهتين وعندما تشد على الأبل تبقى هذه الكتل مدلاة أثناء السير وتكاد تلامس الأرض.. ثم الأخراج الصغيرة التي تشد تحت الخرج الرئيسي ومن فوق الشداد اللحاف والسجادة والبطانية

يفرشها أثناء المقيـل وأثناء النوم وتوضيب لوازم الحاج — أثناء الرحيل..
توضع الحاجات كثيرة الاستعمال في الأخراج القريبة من تناول اليد
والحاجات قليلة الاستعمال في الأخراج الداخلية توضع علب المـمول وعلب
الغريبة وعلب الحلويات والمأكولات وأواني الشاهي والقهوة وأدوات
الشاهي والقهوة كلها توضع في الأخراج الداخلية وتوضع في الأخراج
الخارجية الملابس والبـصمات المبسوس بالسمن البلدى الهش — أما قرب
الماء فتشد تحت الأخراج وتعرض للهواء ما أمكن لتبريدها بالهواء وتتولى
الوالدة رـمها الله تحضير الملابس ومناشف الاحرام وصنع تباسي المـمول
الذي يحشي بالتمر والغريبة التي ترصع بالفستق والصنوبر والبـقلاوات.

ومن العوائد الجميلة — أن يقدم أقرباء الحاج والأصدقاء الهدايا فتجد
تباسي المـمول والحلويات المختلفة تملأ المنزل ويتبادلون أمثال هذه الهدايا
وإذا كان هناك «سـراره» تتضاعف الهدايا وتتنوع.

أما هدية الحاج بعد قدومه من مكة المكرمة فهي اللبان اللامي واللبان
الشجـرى وماء زمزم الذي يوضع في زمزميات تصنع خصيصا للهدايا —
والياف للاستحمام — شيء من المستكا والقرنفل والمساويك توضع في
تباسي من المعدن الأبيض وتقدم لأصحابها الذين سبق وأن قدموا هداياهم
لمن كان حاجا.

عوائد جميلة حلوة تؤلف بين القلوب وتقرب بين الأحباب.
وأهل المدينة كانوا أسرة واحدة.. وجميع الأسر رجالا ونساء يعرفون
بعضهم بعضا — وحتى من لم تكن صلة بينهم يعرفونهم بوجوههم.. ويتبادلون
التحية عند مقابلتهم بالشارع أو بالمسجد النبوي الشريف الذي يجمع معظم
السكان في الأوقات الكتوبة — أما في الجمع والأعياد فلا يتخلف عن
المسجد النبوي — الا مريض أو عاجز.

وكثيرا ما كان يسألنا بعض المارة.. ونحن أطفال صغار يسألوننا «يا بني
انت ولد مين» فنقول لهم ويرد علينا بأن والذي كان صديقا لهم وكان
يسكن في كذا ويعمل كذا وكانهم يعيشون في منزل واحد.

* الحج على الركوب:

اعتاد أهل المدينة — أن يحجوا مع الركوب.. وقليل جدا — جدا من يحج مع القوافل على الشقراق والشبارى والهواذج والذين يحجون مع القوافل الأدلاء الذين لهم صلاة مع مشايخ الجاوي.. ويقومون بخدمة حجاجهم وغالبا ما يأتي شيخ الجاوى مع حجاجه لزيارة المدينة المنورة ويعود معهم على القوافل.. فيحج الدليل مع القافلة مزاملا شيخ الجاوى صديقه.. أو أى نوع من أنواع الحجاج الآخرين الذين يأتي معهم مطوفوهم الى المدينة.

أما الركوب وسيرها وعوائدها وعوائد السرارات ونظامهم في الظعن والاقامة فالى العدد — القادم ان شاء الله.

ركوب المدينة (الحلقة الاولى)

كنت وعدت قارئى الكريم.. بالحديث عن ركوب «المدينة المنورة» عوائدها سيرها، وعن «السرايات» الأطفال الذين يحجون مع أهاليهم — مع الركوب، أو مع القوافل — لأول مرة والحديث عن ركوب المدينة.. حديث ممتع فيه طرافه وفيه عوده للماضي البعيد الى ما قبل نصف قرن أو تزيد وكثير من ابناء جيلنا لا يعرفون شيئا عن هذه المتع الروحية وعن تلك العوائد الجميلة — التي يحلو للانسان أن يستعيد ذكرها — وأن ينعم بلياليها وأيامها — ولو بعد حين.

وقد اختفت هذه الركوب عن الأنظار بعد أن تأمنت الديار.. وبعد أن عزت السيارات، البيداء والصحراء، وغزت الطائرات الأجواء، والفضاء — فلم يبق أى مجال لسفن الصحراء «الأبل» التي كانوا يسمونها سفن البر.

ولقد كانت الأبل هي الراحلة المفضلة لأداء النسك — وكانت الركوب تقطع الطريق بين المدينة — ومكة خلال ٨ الى ٩ أيام وجاءت السيارات فخففت هذه المدة الى خمس ساعات، ثم جاءت الطائرات فخففتها الى خمس وعشرين دقيقة.

فسبحان الله من خلق الأبل، وسبحان من خلق الخيل، والبغال والحمير وسبحان من يخلق ما لا تعلمون.

وأهل المدينة المنورة اعتادوا أن يحجوا على الركوب «والركب» هو مجموعة من الأهلين يحجون في «عزبة» واحدة متعاونين، متكاتفين، تحت امرة شيخ الركب ولهم نظام مخصوص، وقواعد متعارف عليها.. والمظنون أن سبب هذا التجمع الركبي — عدم وجود الآمان في الطريق في تلك الأيام

نشرت في جريدة المدينة في ١٠/١٢/١٣٩٩هـ

بين المدينة ومكة.. فأذا تجمعوا في ركب واحد أكسبهم ذلك قوة ومناعة ورهبهم من يحاول الاعتداء عليهم.

ويقود الركب شيخ يسمى «شيخ الركب» وشيخ الركب هو الأمر النهائي على كل من يحج معه في الركب ويطاع طاعة كاملة في كل شيء في الرحيل والمقيل، والمبيت، والدفاع عن النفس اذ لزم ذلك. ويتولى شيخ الركب المسؤولية الكاملة في الركب وأى لازم وأى مطلب لمن يحج في ركه يقوم به بدون استثناء.

وركوب المدينة المنورة كثيرة اذكر منها ركب الداغستاني — ركب الحوالة، وركب اللبان، وركب ابراهيم سيف، وركب الكعكى، وهناك ركوب اخرى، وعزب تشبه الركوب لا أذكرها الآن.. لأن — هذه الركوب جميعها قد اختفت — بعد غزو الحديد والنار للصحراء والأجواء — كما اسلفت

ولكل اسرة من أسر المدينة المنورة — ركب اعتادوا أن يحجوا معه من قديم الزمان ومشيخه الركب يتوارثها الأبناء عن الأباء كما يتوارث الأبناء عن الأباء الركب الذى يحجون معه.

ووالدنا تغشاه الله برحمته الواسعة يحج دائما مع ركب الداغستاني «وجميع آل حافظ يحجون مع هذا الركب منذ أن فتحنا عيوننا على الدنيا. وركب الداغستاني كما يبدو لنا أكبر ركب في المدينة — وأكثر الركوب تجمعاً واستعداداً. ولكل شيخ من مشايخ الركوب موضع خاص — اعتاد أن يضع فيه «ببىرق علم الركب» ليتجمع حوله من يريد الحج معه.. ومحل ببىرق ركب الداغستاني أمام مسجد الغمامة وركب الحوالة يضع ببىرقه أمام مسجد سيدنا علي — بالمناخة وبقية الركوب — تضع ببىرقها بين رحبة باب الكومة، ومسجد الغمامة، ويضع الشيخ ببىرق الركب من صباح اليوم الذى يعلن فيه الرحيل الى مكة المكرمة وسفر الركوب يكون دائماً من يوم ٢٦ الى

٢٨ من شهر ذى القعدة وقد يسافر ركباً أو ثلاثة في يوم واحد — في أوقات متفاوتة.

ويبدأ تجمع حجاج الركب من صحوة النهار — وتحدث الآن عن شاهد عيان لحركة ركب الداغستاني الذي حج معه والدنا السيد عبد القادر عثمان حافظ — رحمه الله تعالى — وقد كنا مع هذه الحجة خطوة بخطوة وساعة بساعة الى ان سافر الركب من المدينة المنورة ثم عاد بعد أداء النسك لقد كان ذلك في الثلاثينات للهجرة وقد مضى على تلك المشاهد أكثر من ستين عاماً — ولكن ذكرها ما زالت حية في النفس — وكيف تنسى هذه المجموعة الضخمة من الذكريات وقد عشناها بقلوبنا واعصابنا قبل أن نعيشها بأجسامنا وجوارحنا.

ويسعدني أن أتحدث الآن عن تلك الذكريات قبل أن يتسلط عليها «الجديدان» فتختفي هي الأخرى عن الوجود والجديدان وراء الانسان يمحو «بأستيكاً» الاحداث اذا لم تدون واذا لم تسجل وكثير من حلقات التاريخ مفقوده لأنها لم تدون.. وقد بما قال شاعرنا:

ان الجديدان في طول اختلافهما لايفنيان ولكن يفنيا الناس
وأعود الآن — الى ذكر حجة الوالد رحمه الله — التي كان يقول أنها حجة الوداع.

لقد قضينا — ليلة السفر مع الوالد والوالدة رحمهما الله — الى الصباح في تهيئة وترتيب لوازم السفر كانت علب المعمول، والغريبة، والحلويات وانواع المأكولات من جبن وزيتون وبقصمات ثم بقش الملابس، والمناشف والشراشف تملأ المجلس — سهرنا معهم في ترتيب ذلك وتوضيحه على لمبتين من الجازأحدهما فمرة «٤» للمجلس، والثانية فمرة اثنين للخروج والدخول والطلوع، والنزول، وكنا اطفالا نتفرج، ولانساعدا الا في تناول الحلوى والمرطبات اذا طاف بنا طائف الجوع.

وفي الصباح الباكر جاء أعمامي هاشم وإبراهيم أخوا الوالد من الأب، وحسين وعبد الجليل أخواه من الأم رحمهم الله جميعا وساعدوا الوالد في شد الأغراض على الجمل بالتعاون مع الجمال ربطوا الشداد أولا على سنام الذلول — ثم وضعوا بقية الأغراض بنظام وترتيب.

وبعد أن تم تحميل لوازم السفر على الراحلة أخذها الجمال الى المناخة وبركها بجانب بيرق ركب الداغستاني وكنت وأخواني ملا زمينها نلف وندور حولها وبعد صلاة العصر — جاء الوالد رحمه الله من المسجد النبوي بلباس السفر، ويده «خيزرانه» معكوفة ووقف بجانب الراحلة.. ثم أقبل الشيخ «شيخ الركب — محمد داغستاني» وهو يركب فرسا شقراء وأمر بالرحيل فنادي نقيب الركب «الفلاح» «الفلاح» سمعها كل من كان بالمناخة وتحرك حجاج الركب كل امتطى دابته وأصبحت رحبة مسجد الغمامة على سعتها تموج بالدواب وقد امسك كل شخص بلجام دابته وهي تدور حول نفسها وجاء «شيخ الحمارة» وهو يمتطي حمارا فارها — فنسق الصفوف في الركب — وجعل ركاب الحمير في مقدمة الركب، ثم ركاب البغال، ثم ركاب الخيول، ثم ركاب الابل، ثم هودج السيدات، جعلهم صفوفا متراصة منسقة.

وكان الشيخ الداغستاني شيخ الركب يتفقد الصفوف والركاب وهو على فرسه. وأذكر أن لباسه كان مميزا، كان يلبس عباءة وقد وضع إحدى طرفيها على كتفه وعليه شال كشميري عريض لفه على رأسه وتدل على كتفيه — وللشيخ ذلول مسرحة مجهرة بكل شيء، ولكنها كانت تسير دون أن يركبها أحد وتكون في مقدمة الركب ومعروفة أنها ذلول الشيخ، يركبها عندما يجد الركب في المسير — والشيخ دائما يصحب معه عدد من الدواب يحمل عليها بعض (القش) وإذا لزم الامر حمل عليها من تكون دابته قد انقطعت، أو تخلفت.

* الحادى

ومن ضروريات الركب — وجود «الحادى» ويختاره الشيخ — من بدري — يهيء له الرحلة والزاد، وكل ما يحتاجه. ويكون دائماً في مقدمة صفوف الابل — وللحادى دور كبير في الركب فهو واسطة العقد.. كما يقولون — ونخبرنا الوالد — رحمه الله — أن للحادى تأثيراً كبيراً في الركب، وليس على حجاج الركب فحسب بل أن الابل اذا طلع الحادى بنشيدته أثناء الليل ترخي آذانها تستوحي الصوت.. ثم «تدرهم» سرعة مع الحادى.. واذا ما تكاسل الحادى في ألحانه أو سكت تكاسلت الابل في سيرها.

ويكون عشاء الركب في ذي الحليفة.. ومع شروق الشمس يحرم الركب من ذى الحليفة ميقات أهل المدينة المنورة — ويغادرها الى بئر الماشى أول محطة من المدينة وتبعد عن المدينة حوالي ٥٠ الى ٦٠ كيلومتراً، ويتجه من بئر الماشى في طريقه الى مكة المكرمة عن طريق «سطح الغاير» — لم يقدر لنا الحج على الركوب لنعرف سطح الغاير — الذى كثيراً ما كان يتردد اسمه من الحاجين — والغاير — فيما نسمع جيل مرتفع يطلعه الركب صعوداً وهو يختصر الطريق عشرات الكيلومترات — ومنه يتوجه الى «القضيمة» ومن القضيمة الى مكة المكرمة عن طريق عنان — ولا يمر بجدة اختصاراً للطريق. وحادى الركب — في السنة التي حج فيها الوالد — رحمه الله — كان الشيخ محمد بناني وهو جار لنا ودورنا متقابلة في حوش المرزوقي — وبحكم الجيرة — كانت تربطه صداقة مع الوالد، وكانوا يتزاورون في الاعياد والمناسبات. وكان اذا تحدث فضوته متين وفيه بجة وكان اذا غنى كان آية في الفن والجمال.

ورغم أن الشيخ الداغستاني متحالف مع كثير من العربان، ومشايخ القبائل، الا أنه كان يحسب حساب الاعتداء على ركه — ولديه بعض الشباب يسمون — بالبورادية — يجعلهم الشيخ في مقدمة الركب وفي مؤخرته.. وهؤلاء البورادية — يتناوبون على الركب طوال الليل لحراسته.

ولركوب المدينة — مواقع مخصوصة في مكة المكرمة ومنى — وفي منى —
حوش كبير مخصوص يسمى حوش — المداينة — تنزل فيه ركوب المدينة ومن
يحج من أهل المدينة على القوافل وأذكر الى وقت قريب كان نزول حجاج
المدينة في هذا الحوش حتى بعد ان أصبح الحج على السيارات وقد نزلنا في
هذا الحوش عندما حججنا على السيارات في الخمسينات.

أما السيدات — اللائى يحججن مع الركب فانهن يركبن هودج —
ويشد كل هودج على جل بخلاف الشقادف — فان كل شقدين يشدان
على جل — وعليه فان كل هودج لا تتركب فيه الا سيدة واحدة. أما
الشقادف فانها معدة لركوب اثنتين كل شخص في شقدف — والهودج
والشقادف تستر بالحنابل أو بالزل لتقى سموم الشمس صيفا، ورياح البرد
شتاء، وتسير هودج السيدات في آخر الركب وبعض السيدات يركبن خلف
رجاهن — فتوضع توصيله في الشداد وتكون مريحه وتمهد وتفرش فتكون
مركبا مريحا لبعض السيدات أو السرارات.

واذا — أتم الركب النسك قرر الشيخ — موعد الرحيل الى المدينة
المنورة.. وفي العدد القادم نواصل الحديث عن الركب والسرارات التي
تصاحبه.

ركوب المدينة و (الحلقة الثانية)

في العدد الماضي.. تحدثت عن تقاليد الركوب أثناء سفرها من المدينة المنورة لأداء النسك — نسك الحج — وحديثي اليوم عن عودة هذه الركوب من مكة المكرمة الى المدينة المنورة.. وتبدأ عودة الركوب من مكة المكرمة الى المدينة المنورة في اليوم الثالث عشر والرابع عشر من شهر ذي الحجة.. ويسلك الركوب في الغالب عند عودتها طريق عسفان.. وإذا وصل الركب الى سطح الفاير.. بعث شيخ الركب (نجاب الطواقي).. ويأخذ نجاب الطواقي طاقة من كل سرارة في الركب يوصلها الى أهله بالمدينة المنورة يبشرهم بصحة السراة وبقرب عودته.. ويقدمون له في المقابل الهدايا والبخاشيش والكساوى.. ويطوى نجاب الطواقي الطريق في حوالي ثلاثة أيام وتكون فرحة المدينة كبيرة بوصوله ويلتف الناس حوله.. يسألونه عن حجاجهم وعن موعد وصول الركوب.. وهو يطوف حوار المدينة وشوارعها على ذلوله بهيئته الخاصة ويلف على رأسه شال كبير يميزه عن الناس.. وعند منزل كل سرارة يبرك ناقته ويسلم الطاقة لأهل السراة.. ويلتف الأطفال حول ذلوله.. يشيعونه من حارة لأخرى ويدلونهم على بيوت السرارات.. وكان نجاب الطواقي في تلك السنة التي حج فيها والدنا رحمه الله — (محمد حسن الخسته) وإذا وصل الركب (الى بئر الماشى) قام منها (نجاب المكاتبى) — يحمل كتباً ورسائل ممن في الركب لذوهم ويحدد موعد وصول الركب الى المدينة المنورة.. وشأن نجاب المكاتبى أقل من شأن نجاب الطواقي.. لأن الناس قد عرفوا كل شيء عن الركب وموعد قدومه من نجاب الطواقي.

وأذكر الآن.. وكنا أطفالاً صغاراً في حدود السابعة أو الثامنة.. عندما جاء خطاب والدنا رحمه الله بتحديد موعد وصول الركب الى المدينة..

نشرت في جريدة المدينة في ١٧/١٢/١٣٩٩هـ

استأذنا والدتنا أنا وأخوى السيدين على، وأبو السعود رحمه الله في مقابلة والدنا في الطريق فأذنت لنا وقالت: (اصحو) تقدموا عن عروة.. وعروة تبعد عن المدينة ثلاث كيلو مترات.. ورافقنا جازنا (كامل عبد الجواد) وكان أخوه اسماعيل في الركب.. وحذرت أمه أيضا عن تجاوز محطة عروة.

خرجنا لاستقبال الركب ونحن لانعرف المسافة ولا الطريق.. واتجهنا من باب العنبرية نحو عروة.. جريا على الأقدام.. ولما وصلنا عروة لم نجد أثرا للركب.. وسألنا بعض المزارعين هناك فأخبرونا أن الركب بالاحساء وأن مقيله هناك.. وكنا بين أمرين إما أن نعود الى المدينة، أو نواصل الرحيل الى الاحساء — ذى الحليفة — وصعب علينا العودة الى المدينة بينا والدنا على مقربة منا.. فواصلنا السير جريا على الأقدام.. وقد بلغ منا التعب والعطش والخوف منتهاه..

ووصلنا ذى الحليفة بعد جهد مضن.. وارتمينا في خيمة الوالد رحمه الله.. وبعد الغداء عدنا الى المدينة مع الركب بعد العصر مترادين مع من كان بالركب ووصلنا عروة بعد المغرب.. ووجدناها عامرة بالمستقبلين.. أنوار الأتاريك الغازية تسطع في كل مكان.. والذبايح تنحرف هنا وهناك لعشاء القادمين.. وأكثر من يذبجون ويضيفون هم أصحاب السرارات.. وعاشت عروة ليلة قدوم الركب في ليلة صاخبة.. مازلت أتخيل تكتل الجماعات في أنحائها.. ولأول مرة — رأينا — الزير وعوائد الزير والمزمار والصهبات. وكان اللعب في المزمار غير اللعب في الزير.. في المزمار يلعبون بعصيم ويطوفون في الميدان ويتضاربون بعصيم مزاحا — وفي الزير يكون اللاعبون في دوائر كل دائرة تأخذ دروها في النشيد.. أما (الحادي) فقد كان سيد الموقف.. وكلما طلع بلحن من ألحانه نادى بصوت مرتفع «مغبون يانايام الليل» يرددها عدة مرات.. كانت ليلة ليلاء لا تنسى أبدا وكنا لأول مرة نرى مثل هذه المشاهد لذلك نقشت في الذهن كالنقش في الحجر.

** السرارات

ويستعد السرارات.. قبل دخول الركب من باب العنبرية.. ويلبس السراة الثياب المزركشة والمقصبة وربما بعض المصاغ يوشى به العقال المقصب، والمشعاب الذي يحمله وهو على الحصان.. كل ذلك يلبس بالقصب وبالأحجار الكريمة.. ويلبس مثلها مطرزا بأنواع المقصات.. وتراه عل حصانه كأنه قطعة مقصبة تلمع في الشمس.. وتتقدم السرارات الركب عند دخوله من باب العنبرية — ويركب السراة حصانا — هو أيضا — ملبس بالحرير المقصب ويمسكه من الطرفين بعض أقارب السراة.

وتتقدم كل سراة فرقة موسيقية يسمونها (الطاسة) وتعزف هذه الفرقة أغانا مخصوصة ويتجه الركب من باب العنبرية الى رجة باب السلام بالمسجد النبوي عن طريق المناخة فسوق الحباة فسوق الحدة الضيق.. والطاسات تدوي في أرجاء المدينة.. وتخرج البلد بأكملها للفرجة على الركب.. الاطفال والكبار في الشوارع والنساء في البيوت التي يمر أمامها الركب.

واذا وصل الركب الى باب السلام نزل السراة عن حصانة مع بعض أقاربه واتجه الى الروضة المطهرة وصلوا ركعتين ثم سلموا على الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.. وفي رجة باب السلام يتفرق الكرب كل في اتجاه داره — أما السرارات.. فإنهم يعودون الى أحصنتهم وتزفهم الطاسة الى منازلهم. وتبقى الطاسة فترة من الزمن تعزف أمام المنازل الى أن يأتي وقت الغداء وبعد الغداء ينصرفون الى اماكنهم — وبذا ينتهى موكب الركب.

هكذا كانت مواكب حج الركوب بالمدينة المنورة.. كلها بهجة وفرحة وجمال.. أما حج السيارات الآن.. فإن الحاج يسافر ويعود ولا يدري عن أحد.

وأذكر بالمناسبة حجة لنا تاريخية بالسيارات.. كانت هذه الحجة سنة

١٣٦٥هـ السنة التي عينت فيها مديرا لادارة الحج بالمدينة المنورة.. استأذنت معالي المشرف على الحج يوم ٥ من شهر ذى الحجة. وكان الجواب أن لا بد من الاشراف على آخر حاج يتوجه من المدينة وفي صباح يوم ٧ من ذى الحجة توجهت آخر قافلة بالسيارات .. وأبرقت لمعالي المشرف بسفر آخر حاج وقد كنت عدلت عن السفر للحج لضيق الوقت.. وتلقيت برقية جوابية من معاليه بعد منتصف الليل تقول البرقية (لأبأس من توجهكم) وكنت قررت قضاء العيد بالمدينة لأنه لم يبق أى سيارة من سيارات الشركات وبعد فجر يوم ٨ شاهدت سيارتين تقفان أمام القهوة ولم يخطر ببالي أن هذه السيارات سوف تحج.. وبعد خروجي وجدت الأخوان — الشيخ عبد الله خاشقجي والشيخ محماس بن دخيل والسيد ابراهيم الرفاعي وعدد من الأخوان حول هذه السيارات وعرضوا على السفر معهم الى الحج.. وفي تلك اللحظة في ضحوة يوم ٨ ذى الحجة قرنا السفر ومع آذان الظهر كنا على ظهورها حوالى ٢٥ شخصا.. والسيارات كانت قديمة وتعبانة.. وآذن علينا العصر ونحن في المسجد وقد تعطلت إحدى السيارات فأصلحنا واحدة من الاخرى وتوجهنا فوصلنا رابع بعد منتصف الليل وظهر أن الكربراتير محروق ولا بد من تزويده بالماء بعد كل آونة وأخرى ولم نستطع القيام من رابع الا بعد فجر يوم عرفة.. وواصلنا سفرنا (وايدنا على قلوبنا) ووصلنا تول بعد العصر ولم نتوقف في الطريق لحظة الا لاصلاح السيارة ولم نصل الى جدة الا في الساعة الثالثة غروبي ليلا — وكان البنزين قد نفذ ولم نجد احدا يبيعنا بنزيناً.. ثم اهتدينا الى قهوة متطرفة واخذنا منه تنك بنزين..

وعندما وصلنا مكة طلعنا من الحجون وكانت الساعة السادسة غروبي ليلا ووصلنا الى عرفات وكانت عرفة فاضية.. نفر جميع من فيها الا قليلا — وحمدنا الله أن أدركنا الحج لأننا وصلنا عرفه قبل الفجر بحوالى ساعة أو ساعتين.. وكنا في حيرة لم نجد طعاما ولا نعرف أماكن الماء وكنا قد أنهكنا التعب وعدنا الى المزدلفة فبنى حيث رمينا جمره العقبة ثم واصلنا السير الى مكة المكرمة وأخذنا الشيخ عبد الله خاشقجي رحمه الله — الى دار ابنه عبد

الفتاح خاشقجي كان هو وزوجته وولديه الصغار وما كان يعلم بحج والده.. دعانا الشيخ عبد الله فلبينا جميعا وملأنا المجلس والصلوات ثم ملأنا السلام.. وكنا نتناوب على الحمام — الكل منا يريد فك الاحرام والاعتسال ويريد دورة المياه.

كان الشيخ عبد الله خاشقجي رحمه الله — على كثرة ما أتعبناه كان بشوشا ضاحكا وذهب الى السوق لاحضار افطار لنا فوجد الأسواق مغلقة كان يوم العيد والناس في الحج ولكنه دبر لنا خبزاً وفولاً وشاياً ومسحناً كل ما جاءنا لنا يومين لم نتناول زادا وذهبنا للمسجد للطواف ولكن الشيخ ألزمننا بالعودة لتناول الغداء ولم نجد بدا من العودة وعدنا فلأنا غرف الدار — فالدار لم تسعنا ولكن كما قالوا (رحب الفلاة مع الأعداء ضيقة سم الخياط مع الأحباب ميدان) وبعد الغداء عدنا الى منى.. فلم نجد مكانا يقلنا وفما في القهواوي.. وفي الصباح وجدنا خيمة لدى احدى القهواوي قضينا فيها نهارنا وفي صباح اليوم الثاني كنا في طريقنا الى المدينة المنورة وكنت أبرقت الى معالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله وكان المشرف العام على الحج بسفرنا وملاحظتنا وقد زرته عصرا وقال أنه الآن تسلم برقيتي وسألني (عسى ماتعبتو) فقلت له يروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها أن السفر قطعة من العذاب، فقالت لا — أن العذاب قطعة من السفر ونحن شاهدنا من التعب ما يصلح لتطبيق نظرة السيدة عائشة — وكلما رويت له قصة من القصص التي لاقيناها انفجر ضاحكا — وهو الذي رتب لنا سيارة العودة للمدينة.

ولو اردت سرد بعض القصص في الحج وما مر بنا في أشهر الحج من نوادر لطال الوقت ولكن الآن الى الملتقى وأرجو الا أكون أطلت فأملت وأكثر فأنقلت.. ومرة أخرى الى اللقاء في أحاديث أخرى.

**** ماضنك باثنين الله ثالثها..**

كلمة قالها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي بكر الصديق - وهما في الغار.. وكان صاحبه يوجس خيفة من المشركين الذين يطاردونهم - ويترصدون بهم الدوائر.

قالها صلى الله عليه وسلم - في اليوم العظيم الخالد - يوم الهجرة - اليوم الذي بدأ فيه عليه السلام نضاله وكفاحه لنصرة الدين الاسلامي الحنيف.

قالها قبل ألف وثلاثماية وخمس وتسعين عاما - ولكنها كلمة خالدة مع الدهر - وأي شيء أعظم من أن يكون الله تعالى مع عبده في كفاحه وجهاده.

لقد كان لهذا اليوم العظيم شأن عظيم في تاريخ الاسلام.. فقد غير وجه تاريخ البشرية - وأنقذ الانسانية من الضلال والشرك - الى الهدى والرشاد.

لقد أراد الله تعالى للاسلام - أن توطد دعائمه بهذه الهجرة المباركة.. فقويت شوكة الاسلام بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة وعز جانب المسلمين وانتشر الاسلام في ربوع الارض.. ليعم الخير والسلام وبشر العدل والامان.

ولنا من هجرته صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة.
أن الاسلام وإن المسلمين يرون اليوم بمحنة قاسية - فقد تألب عليهم

نشرت في جريدة المدينة المنورة في ١٣٩٦/١/١هـ

أعداؤهم فأغتصبوا الأرض، وامتنهوا المقدسات وشردوا اخوانا لنا الى مختلف أنحاء العالم — يعيشون في العراء.. والأمل معقود اليوم على نواصيكم معشر المسلمين.

إن المسلمين يمثلون أكثر من سبعمائة مليون مسلم — وإنهم ان تعاونوا وتضافروا وتوحدت كلمتهم فلن يغلبوا اذا ابدا. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول «لن يغلب اثني عشر ألفاً من قله».

إن المسلمين لن يغلبوا من قلة ولكنهم يغلبون اذا تفرق جمعهم واختلفت كلمتهم — فعليكم أيها المسلمون بتوحيد الصف وتوحيد الجهد وتعبئة القوى لتتالوا حقكم وتطردوا الغاصب من أرضكم وتثبتوا وجودكم بين الامم. ان عالم اليوم لا يعرف الحق ولا يعرف العدل — ولكنه يعرف القوة فتي أثبتنا وجودنا بقوة سواعدنا يحترمنا خصومنا ويحترمنا العالم ونأخذ حقنا بأيدينا.. وان كنا لم نأخذ هذا الحق بأيدينا — فلن يعطينا اياه أحد.

لقد رأينا — كيف كان احترام شعوب الأرض لنا بعد حرب رمضان التي دحرنا فيها قوى الشر والعدوان.. وانتصرنا على عدونا.. ورأينا بعد أن اثبت الفلسطينيون وجودهم في المحافل الدولية والمعارك العسكرية — كيف اعترفت شعوب ودول العالم بهم وأصبحت منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة في مختلف المحافل والمنظمات الدولية — رأينا كيف اعترف بهم من كانوا لهم أعداء بعد ان أسمعوأ أصواتهم للعالم ووقفوا يناضلون ويدافعون عن حقوقهم بقوة السلام وبقوة الكلمة.

فعلينا أن نتخذ من هذا اليوم العظيم — يوم الهجرة — دستوراً لنا في كفاحنا وجهادنا — والله ناصرنا لأن الله تعهد بنصر من ينصره.. والله ولى التوفيق.

ذكرى بدر .. دستور الكفاح

من الايام الحاسمة في تاريخ الاسلام يوم بدر الكبرى .. هذا اليوم العظيم الذي انتصر فيه الحق على الباطل .. وارتفعت راية الاسلام في ارجاء الكون .. فعز الاسلام وقويت شوكته.

انتصر المسلمون في يوم بدر .. وهم قلة .. انتصروا على جيوش الكافرين — وهم كثرة — تجمعوا من اطراف الجزيرة العربية — وقد قذفت بهم — مكة — وكانت قاعدة تجمعاتهم .. وسوقياتهم العسكرية .. ووطن امداد الجيش بالمال، والعتاد، والسلاح، والرجال .. قذفت بهم مكة في يوم ١٧ رمضان من العام الثاني للهجرة .. بأبطالها وصناديدها ورجال الحرب والسلاح فيها — الى وادي بدر يختالون على خيولهم .. ويلوحون بسيفوفهم، ورماحهم — يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

كان المسلمون قلة في العدد والعدة — كانوا أقل من ثلث جيش الكفر والضلال .. ولكنهم كانوا كثرة بايمانهم بالله وبعقيدتهم واتحاد كلمتهم، وتضامن قلوبهم، وصفاء نفوسهم .. والتضحية في سبيل اعزاز كلمة الحق وازهاق الباطل.

كانوا يطلبون الموت في سبيل الله .. فوهب الله تعالى لهم الحياة والعزة. لم تستطع السيوف المشرعة، ولا الرماح اللامعة، ولا السواعد المفتولة — أن تنال من قوة الايمان والعقيدة .. فالتصر من عند الله يهبه الله للذين اتقوا والذين هم مؤمنون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله.

نشرت في جريدة المدينة في ١٧/٩/١٣٩٢ هـ

وما أشبه يومنا بأمسنا.. ان المسلمين يعانون اليوم اشد انواع الظلم والطغيان من تألب الكفر والصهيونية الباغية عليهم، وان قوى الشر والبغى العالمية تساعدهم وتؤيدهم.. وتمدهم بالسلاح والعتاد.. وكما كان الحال يوم بدر الكبرى.. يوم تألبت قريش على المسلمين.. وأجمعوا امرهم — ان يحوا هذا الدين الاسلامي من الارض.. ولكن الايمان والعقيدة كانت أقوى من تجمعهم وأقوى من سلاحهم وعتادهم.. فتحطمت أصنام قريش، وطاحت رؤوسهم على صخرة العزيمة الصادقة التي تستمد قوتها من قوة الايمان ومن نصره دين الله.

وما أشبه وضعنا اليوم — بوضعنا بالامس لقد استباححت الصهيونية مقدساتنا وامتهنت كرامتنا وأخرجت أخواننا في فلسطين من ديارهم وقذفت بهم في الوهاد والجبال..

وما أحوجنا أن نتخذ من هذه الذكرى الكريمة ذكرى يوم بدر الكبرى ذكرى يوم الفرقان التي نفر فيه المسلمون لصون كرامتهم وللدفاع عن مقدساتهم التي استباحها المشركون.

وما أحوجنا أن نجعل من هذه الذكرى دستوراً لنا في كفاحنا ضد الصهيونية العالمية وضد الشيوعية البغيضة — فنرجع الى بارئنا ونجعل من توحيد كلمتنا وصفاء نفوسنا وتضامن قلوبنا، واعتصامنا بالله سلاحاً لنا في كفاحنا ونضالنا ضد اعدائنا اعداء الله والاسلام.

المدينة المنورة .. البداية — الوداع

في الشهر الرابع من عام ١٣٥٥ هـ الموافق للشهر التاسع من عام ١٩٣٦ م — في رحلتي للقاهرة — لشراء مطبعة لاصدار جريدة (المدينة المنورة) .. كنت اقف خلف مطبعة (خاطر).

وخاطر (بك) المسمى باسمه هذه المطبعة — هو مدير مطابع شركة مصر للطباعة احدى مؤسسات بنك مصر الذي كان يرأسه اقتصادى مصر الاول في ذلك الحين طلعت حرب (باشا) وكنت احمل لطلعت حرب باشا خطابا من معالى الشيخ محمد سرور الصبان — ورحمه الله يوصيه على مشروعى الطباعي، وهو بدوره اوصى خاطر بك ليساعدني في هذا المشروع .. بحكم اختصاصه.

كنت اقف خلف هذه المطبعة .. وهي تعمل بصوت خافت ونظام رنيب .. اشاهد ولأول مرة — كيف تسحق شفاطات الهواء الورق من طبليية المطبعة العليا — وتسلمها برفق الى الالات التي تمر بها على طوق الحروف .. فتخرج هذه الاوراق من الخلف مطبوعة منسقة مصفوفة .. دون ان تمسها يد .. ودون ان يكون اى عامل على المطبعة.

سرحت مع خيالي .. وانا اقف خلف مطبعة خاطر .. وانتقلت من واقعي الذي اعيش فيه .. واقع المغامرة بالسفر الى مصر .. الى عالم اخر مملؤ بالاماني والامال .. وتمنيت على الله تعالى ان ارى هذه المطبعة أو مثيلاتها بالمدينة .. وهى تتحرك بمثل هذه الحركة — وانا اقف هذا الموقف منها .. اشاهد جريدة المدينة المنورة .. وهى تصف على هذه الطليية .. كما تصف هذه

نشرت في جريدة المدينة في عام ١٣٩٦ هـ

الاوراق.. تمنيت ذلك — وهى — منى ان تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا — وقلت : في نفسي — ان الله يعطى اكثر من هذا.. يعطى الجنة ونعيمها.

ونقلنى من هذا الخيال العذب.. صوت خاطر (بك) وهو يربت على كتفى ويقول.. يبقى لى عندك رجاء — يا عثمان.. اذا اخذت هذه المطبعة للمدينة الا تغير اسمها (انا عاوز) اسمى يكون بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا الموقف من المواقف التي لانساهها — ابدًا — لاني كدت اصاب بخيبة امل — وتتحطم امالي في شراء المطبعة.. فخاطر بك طلب منى ساعتئذ قيمة لهذه المطبعة مبلغا فوق احتمالي.. وفوق طاقة المبلغ الذي لدى.. والمبلغ الذي عندى محدود.. ولا روافد له الا في حدود ضيقة جدا.. وفوق هذا — فالمطبعة تحتاج الى ادوات اخرى.. حروف وتواظيب ومكائن، معاونه، للقص، والختم، والتخريم — لا تقل قيمتها عن قيمة المطبعة.

وانا قدمت الى القاهرة.. دون تخطيط او تقييم لاقيام المطابع أو الحروف أو الادوات اللازمة لاصدار جريدة.

ولكن الله تعالى يسر.. واشترينا مكنة طباعة لا تقل كثيرا عن مطبعة خاطر.. مع جميع مايلزم من حروف ومكائن اخرى معاونة.

ويسر الله — ايضا — وركبت المطبعة بعد عناء وبعد ان اضطرت للسفر الى مكة المكرمة لارى بعض ماخفى على من تركيبها.. لاني كنت (مهندس المطابع الوحيد بالمدينة).. وكنت ايضا رئيس قسم الصف، ورئيس قسم التوضيب والطبع، والنشر والتنظيف — وللضرورات احكام.

هذه القصة وغيرها.. من قصص مشروع المطبعة والجريدة.. كتب عنها بتوسيع اكثر.. في الجزء الثاني من تطور الصحافة.. فن اراد المزيد — فهو — هناك — في ذلك الكتاب.

ووفق الله تعالى.. وصدرت (جريدة المدينة المنورة) في ٢٦ المحرم ١٣٥٦هـ — الموافق ١٨ أبريل عام ١٩٣٧م وذكرت.. وأنا أقف خلف المطبعة.. وهي تصدر العدد الاول من جريدة المدينة المنورة.. تذكرت ذلك الوضع المضطرب.. الذي كنت اعيشه.. بين الامل والرجاء.. وشكرت الله تعالى على فضله.. وازددت يقينا بالله.. بانه هو وحده الفعال في الامور كلها.. وانه اذا اراد امرا.. هيا اسبابه.. وان النجاح من الله تعالى.. ومن الاتكال عليه.. لا بالمال.. ولا بالحساب.. ولا بالتخطيط.. وان ما كان لك ياتيكَ على ضعفك.. وما كان لغيرك.. لن تناله بقوتك.. وان من توكل على الله كفاه..

مطبعة النهار:

وأعاد التاريخ نفسه.. بعد ٣٠ عاما من موقفي خلف مطبعة خاطر.. حيث كنت أقف خلف مطبعة النهار — الاوفست — عام ١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦م مع الاستاذ غسان التويني صاحب جريدة النهار.. وهو يطوف بنا على اقسام المطبعة.. وهي تطبع جريدة النهار.. في ١٢ صفحة — مصفوفة.. مقصوفة.. مطبقة جاهزة للتوزيع — وقلت لنفسى — متى تطبع جريدة المدينة المنورة على مثل هذه المطبعة.. ولكنني تذكرت ماخطر لي بالامس.. وهو ان الله تعالى يعطى اكثر من هذا.. يعطى اللجنة ونعيمها.

هذا طرف — من بداية تأسيس المطبعة والجريدة.. التي كان تأسيسها اشبه بأسطورة.. ومن لم يعاصرها.. ويعاصرنا قد يرتاب في احداثها.

مطابع جريدة المدينة:

والان — الان.. وبعد ٤١ عاما على موقفي خلف مطبعة خاطر.. بالقاهرة — وبعد ٢٠ عاما على موقفي خلف مطبعة النهار في بيروت — الآن — أقف خلف مطابع جريدة المدينة المنورة.. (الاوفست) من احدث ماخرجته مصانع المطابع في العالم — الى جانب المطبعة.. قسم الصف

والتصحيح والتصوير (الالكتروني) اخر ما اخترعه الانسان لتطوير الصحافة وتقدمها.. وهي احدث من مطابع النهار، وكانت مطابع النهار — واعتقد — مازالت تصف حروفها وتوضب بالرصاض اما مطابع المدينة فهي تصف وتوضب بالالات الالكترونية.. دون ان يدخل الرصاص في نظامها. اقف هذا الموقف.. وانا — احمد الله تعالى.. ان اقر عيني.. بما وصلت اليه جريدة (المدينة المنورة) من تقدم ونجاح.. فبعد ان كانت خيالا تدور في الازهان.. صدرت جريدة اسبوعية في ٤ صفحات.. وليس لديها شيء من الاجهزة الاعلامية المختلفة.

أو الاختصاصات الصحفية، أو الوكالات الاخبارية — وكان يدير ادارتها وتحريرها.. وكل شيء فيها شخصان فقط — هما — علي وعثمان حافظ — وقد تنقصها الخبرة الصحفية.. ولكن لا ينقصها بذل الغالي والثمين.. من الجهد ومن العرق ومن المال في تدعيم الجريدة واضطراد نموها.. وقد اصبحت اليوم بفضل الله وعونه تصدر في ١٢ صفحة.. وهي في تقدم ونمو مضطرد..

ومن وراء هذه المجموعة.. من الات الطباعة، والات الصف والتصوير.. ادارة نظيفة، امينة، مخلصه.. وجهاز تحرير على خير المستويات.. دراية وفهما وثقافة صحفية ممتازة، ولا ابالغ اذا قلت انها الجريدة الاولى في المملكة العربية السعودية او هكذا يخيل الي.

الوداع:

واقف — اليوم — لادع جريدة المدينة.. اودع قرائ الاعزاء بعد هذا العمر الطويل.. الذي قضيته معهم ومعها.. اكثر من ٤١ عاما وقد كان في مبدأ تأسيسها — على طاولة.. ذات درجين.. وعليها شرف اخضر يتدلى من اطرافها — ومساحة ارض المكتب لا تزيد على ٣ x ٣ مترا — وبه دكاك — كنت شبهتها — فيما نشر في كتاب تطور الصحافة بدكاكين الحلاقين في زماننا.. وهي الان بمكاتها الفخمة.. وما بها من (ديكور)

منسقى لا تقل عن كبريات الصحف العربية — في الشرق الاوسط وهي اليوم — وبعد ان بلغت اربعين عاما.. وهو سن الرشد.. في عنفوان مجدها الصحفي — ادارة وتحريرا، واخراجا ومادة.

وقبل ان اترك القلم.. احب ان اشيد بمجهود معالى مديرها العام الشيخ احمد صلاح جمجوم.. الذى كان له الفضل في تأسيس هذه المطابع الحديثة للجريدة — وكان حزمه واقدامه ونبل اهدافه.. الاساس — الذى قام عليه مشروع مطابع المدينة — كما انه كان — خير معوان للتحريير — وتأمين جميع متطلباته الفنية، والوظيفية — وهو يؤمن ان نجاح الجريدة.. يتوقف على دعم تحرييرها وتوفير متطلباته — واحمد جمجوم — فيما عرفته — نظيف القلب والضمير واللسان.. وهذا التعاون بين الادارة والتحريير جعل للجريدة.. هذه المكانة السامقة.. والتقدم والنجاح المرموق.

كما اشيد — بنائب المدير العام الاستاذ الابن محمد على حافظ — الذى تولى الشئون الفنية للمطابع، والالات الالكترونية — واشرف على انتقال الجريدة من الطباعة على (الدبلكس) والجمع والتوضيب بالرصاص.. الى الطباعة على (الافست) والجمع والتصحيح والتصوير على الات الالكترونية..

ومحمد على حافظ.. ذو خبرة واسعة في الشؤون الصحفية والادارية والتحريرية.

وكان يسهر الليالى الطوال في مبدأ انتقال الجريدة من عهدها الاول (الدبلكسى) — الى عهدنا الثاني (الافستى) ولم يترك الموقف حتى سارت الجريدة خطواتها الموفقة الناجحة في عهدها الجديد — ومحمد — ليس غريبا عن الجريدة فقد كانت ولادته مع ولادة الجريدة ولدا في يوم واحد.. فهو ربيب الجريدة نشأ معها وربى في احضانها وزاملها حتى بلغت هذا المستوى العالى من التقدم والازدهار فهى جزء منه وهو جزء منها وقد هياه اختصاصه دراسة الصحافة وخيرته لأن يكون بطل هذا التطور الفنى يدعمه المدير العام

الاستاذ احمد جمجوم وان مايكتبه يوميا تحت عنوان صباح الخير يكاد يكون خيرا ما يكتب في الجريدة..

ولاريد ان اغادر هذا المكان حتى اقدم لقرائى الاعزاء الاستاذ رئيس التحرير احمد محمد محمود.. فقد كنت عرفته قبل اكثر من عشرة اعوام.. وعرفت فيه الاتزان، والاستقامة، والاخلاق الفاضلة.. والتمسك بأهداب الشريعة الاسلامية المطهرة المبدأ الذى سارت عليه الجريدة منذ نشأتها فهو خريج كلية الشريعة.. الى جانب خبرته الصحفية الممتازة فقد سبق ان سافر الى بريطانيا لدراسة اللغة الانجليزية — والشئون الصحفية.. ثم سافر الى الولايات المتحدة الامريكية للتدريب على الشئون الصحفية الحديثة تحريراً واخراجاً وتبويماً.. وعاد لوطنه مزوداً بكل جديد مفيد.. واني مطمئن كل الاطمئنان باسناد رأسة التحرير — للابن احمد محمود — واعتبر اسناد رأسة التحرير اليه رحا اكبر للجريدة وللمؤسسة.

كما اذكر بالتقدير الجهد المشكور للاستاذ عبد الله القصبي عضو مؤسسة المدينة ومديرها العام السابق — فقد تعهد بتغطية جميع الاسهم المكشوفة التي طرحت لبناء وتأسيس المطبعة الحديثة وقد غطاها فعلاً مما عجل بتأسيس المطابع.. وكان من اكثر الاعضاء حماساً لتأسيس المطبعة والاستاذ القصبي.. ذو ذوق صحفي رفيع وله قلم شحذته السنون والاحداث ولو تفرغ لمهنة المتاعب والمشاكل — لانتج فيها انتاجاً ذا شأن يذكر في عالم الصحافة.. ولكنه آثر التخلي عنها والانشغال بالارقام والارصدة فاستراح ولايفوتني وانا اودع القلم (الرسمي) في الجريدة.. ان اثني ثناء جميلاً على الاخوة الزملاء في التحرير والادارة — الذين تعاونوا معي.. وكنت اشعر باخلاصهم وحجم العمل — وارجو ان يسامحوني ان اخطأت عليهم — والعشرة الطويلة — لابد فيها من شروق وغروب واصباح وغلس.. كما اني اشهدهم بأني قد ساحت — ومن القلب — يعلم الله — كل من اساء الى سرا أو علانية كتابة أو كلاماً والقلوب روائد.. والرائد لا يكذب أهله.

واذكر بالشكر الأخوة الزملاء الذي تعاونت معهم في الفترة الثانية بعد ان عدت الى رأسه التحرير في عهد المؤسسات الصحفية وهم السادة الأساتذة محمد صلاح الدين، وهاشم عبده هاشم ، أحمد محمود، سباعي عثمان، عباس عبد المجيد علي، سعيد العامودي فقد كانوا خير عون لي في الادارة والتحرير والرأى.

هذا وفي الوقت الذى اودع فيه (جريدة المدينة المنورة) كموظف رسمي فيها.. فأني لأزال اعتبر نفسي.. جنديا من جنودها المخلصين..

ولقد اديت واجبي نحوها.. واعطيته زهرة الشباب وربيع العمر.. واتماما لهذا الواجب — اعطيها الان — الفرصة — ليتولاها من سيكمل رسالتها الصحفية — وكما يقولون (الصنعة شباب) واستودع الله اخواني في الجريدة وسنلتقي دائما في ميدانها وعلى صفحاتها ان شاء الله وهو الموفق.

** ماضي المدينة المنورة العريق وحاضرها المتطور

ليس أحب الي من الحديث عن بلد المصطفى صلى الله عليه وسلم (المدينة المنورة) ومآثرها، ومغانها، ومتطلباتها، وحاجاتها — فهي الوطن الام بحكم المولد والنشأة — وهي التي سماها الرسول الأعظم عليه السلام (المحبة).

ولأعرف مسلما زارها — على كثرة من زارها من مختلف انحاء العالم الاسلامي وفي كل عام — الا وقتن بها وتمنى لو ييسر الله الهجرة اليها، والممات فيها — كيف لا!! — وقد اختارها الله تعالى لهجرة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم — فهي احب البقاع الى الله.. (اللهم كما اخرجتني من احب البقاع الي فأسكنني في احب البقاع اليك).

ولقد تطورت المدينة.. تطورا كبيرا.. بتطور النهضة العمرانية، والثقافية، والصناعية، والزراعية في المملكة — وقد اولتها الدولة الكثير من عنايتها ورعايتها — والمشاريع تجرى الآن على ساق وقدم.

وللمدينة — ماض عريق وحاضر زاهر، ومستقبل مشرق..
أما ماضيها القديم.. فإنها عندما خططت قبل مئات السنين خططت.. على اساس الوضع الطبيعي لحياة سكانها ومعاشهم، وعبادتهم.. وكان الاتجاه في ذلك الحين — ان تكون المساكن، والسكن حول المسجد النبوي الشريف لامكان اداء الصلوات الخمس — في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ليتضاعف لهم الاجر والمثوبة.

نشرت في جريدة المدينة في ١٤/٦/١٣٩٦ هـ

لذلك كانت المساكن مكتظة حول المسجد النبوي — ومتداخلة بعضها ببعض سيما القريبة من المسجد.. كذروان، وباب الرحمة، وباب السلام، وباب النساء، وحارة الاغوات، وسوق الحدره، وكومة حشيفة، وسقيفة الرصاص.. وغيرها من الازقة والشوارع المحيطة بالمسجد بالمدينة.. كانت في حدود متر ونصف أو اقل من ذلك.

ولم تكن ساعتئذ حاجة لتوسعة الشوارع.. الا بقدر مرور الانسان أو الدواب — لذلك لم تكن في تلك العهود اي فكرة لتوسعة الشوارع، وازقتها.. ولم يشتك احد من ضيق الشوارع او ازدحامها.

وكان يحيط بالمدينة المنورة (سور) قوى — يزيد ارتفاعه على اربعة عشر مترا بسمك مترين من الحجر الاسود القوى.. اقامته الحكومة العثمانية في القرن التاسع الهجرى.. وكان هذا السور يضم رقعة المدينة القديمة.. ويمتد من الباب الشامي.. من قلعة المدينة الكبرى.. فيحتضن الحماطة فباب المصري ثم مقعد بني حسين فالشونة — ثم يضم ذروان، فباب الجمعة فحارة الاغوات، ويلف بعد ذلك زقاق الحبس فالساحة.. ويصل الى الباب الشامي.

وكان المسجد النبوي هو المركز الرئيسي — التي تتفرع منه الشوارع والازقة.

وكان لهذا السور خمسة ابواب سميكة جدا — ومصفحة بالحديد.. وتغلق هذه الابواب — ليلا من الساعة الثالثة مساء بالتوقيت الغروي — ولا تفتح الا مع الفجر.

وهذه الابواب — هي (باب المصري) ويقع في غربي المدينة وهذا الباب الوحيد الموجود حتي الان — وهو الباقي من آثار ذلك السور ويعطي فكرة عن قوة السور، ومثانة بنيانه — وبداخله وبأعلاه مركز لرجال الامن — وكل باب من ابواب السور — كان به مركز للشرطة للعمل والسكن.. ويأتي بعد باب المصري الباب الشامي ويقع في شمال المدينة — ثم باب

الجمعة ويقع في شرقي المدينة ثم باب المجيدي ويقع في الشمال الشرقي للمدينة. وباب العوالي وهو في الجهة الجنوبية الشرقية وباب قباء وهو في الجهة الجنوبية.

واذكر ان فخرى باشا — حاكم المدينة العسكرى في العهد العثماني ازال بعض مواقع هذا السور وفتح بعض الابواب.. فقابله بعض رجالات المدينة وقالوا له ان هذا السور هو حصن المدينة ضد الاعداء — فقال — ان الحصون يجب ان تقام في الجو — وان العدو اذا وصل باب السور وطرقه — لابد ان يدخل.. كل ذلك اثناء الحرب العالمية الاولى عام ١٣٣٣هـ.

كانت تلك الاوضاع قائمة — الى حياتنا الاولى بالمدينة والى مابعد الحرب العالمية الاولى.. ولما قامت بعض المساكن في المناخة، وباب العنبرية، وخارج باب المجيدي — اعتبرت هذه المساكن في فناء المدينة.

وما كنا نرى — اى عجلة داخل سور المدينة — الا (العرييات الكرو).. التي كانت المركب الوحيد للعوائل اثناء طلوعهم الى بساتين المدينة.. وما كانت تصل هذه العربات على صغر حجمها الا في اماكن قليلة جدا.

* شارع العينية:

اما شارع العينية.. فقد فتحه فخرى باشا اثناء الحرب العالمية الاولى.. ومازلت اذكر الازقة الضيقة جدا والمساكن التي بين باب السلام وباب الرحمة والتي لايمكن المرور منها الا بكل صعوبة لضيقها — اما موقع هذا الشارع — فقد كان بستانا يسمى (بالعينية) واقام صاحبه السيد العيني حوله مساكن تطل عليه — وتسمى تلك المنطقة بوقف العيني — وقد فتح الشارع من جهة باب السلام حتى نفذ الى المناخة — وكان تخطيطه ليصل الى محطة السكة الحديد — بباب العنبرية — وبعد فتح هذا الشارع مد فخرى باشا شريطا للسكة الحديدية منه تصل الى رجة باب السلام — وكانت تقف فراقين السكة الحديدية في رجة باب السلام — وكانت في شارع العينية

(فراقين) من عربات الخط الحديدي — وهي مملوءة من البضائع بأنواعها النقل والمؤن ومختلف الحلويات والمأكولات — وبعض الاقشة والاواني — يأتي بها تجار الشام لبيعها بالمدينة — واذكر ان الزحام لا ينقطع عن هذه الفراقين للشراء منها.

وشارع العينية — هو الشارع الوحيد المستقيم بالمدينة وبنيت على جوانبه دكاكين بتقدمات يمتد امامها رصيف مسقوف بعرض متر ونصف تقريبا — وقد ازيلت معظم الدكاكين التي بالجهة الشمالية في التوسعة الجديدة.

اما شارع قباء — فقد كان شارعا ضيقا يلف ويدور بين البساتين التي تبدأ من باب قباء تقريبا — ولايزيد سعة الشارع في اغلب الاماكن عن مترين — وقد سحقت عربات الفلاحة الذين ينزلون متتوج بساتينهم الزراعية — سحقت اتربة الشارع حتى جعلته كالغبار يتطاير اذا مرسته ارجل الدواب أو الانسان.

وقد وسع شارع قباء وفتحته باستقامة من باب قباء مما يلي: المدينة الى مسجد قباء الامير عبد العزيز بن ابراهيم رحمه الله امير المدينة وكان ذلك في عام ١٣٤٧هـ أو ٤٨هـ — وجعله بعرض ١٢ مترا فكان من يقف بباب قباء بالمدينة يرى قباء وماآذنه — بعد ان كان سدا منيعا من البساتين والملفات.

وكان فخري باشا قد حاول فتح هذا الشارع وخططه بعد ان خلت المدينة من سكانها ايام الحرب العالمية الاولى — ولكنه لم يوفق لفتحه بالكامل — ومازاله من بساتين في الشارع عاد اصحابها فاقتطعوها.

اما الان فقد اتصل العمران من باب قباء الى مسجد قباء — وفتح في العهد السعودي شارع مواز لهذا الشارع وجعل للذهاب كما جعل الشارع الاول للعائد من قباء.

وبعد ان دخلت السيارات بالمدينة على نطاق واسع تغير الوضع في المدينة والى الحديث آخر عن تطورها وتوسيع شوارعها ومشاريعها.

*** المدينة المنورة في حاضرها

تحدثت في كلمتي السابقة عن المدينة المنورة في ماضيها.. وحديثي اليوم عن حاضرها. وحاضر (المدينة المنورة) — هاهو شاهد — عامر بالاصلاحات والرعاية من الدولة.. ولكن رضا الناس غاية لا تدرك (مايعجبهم عجب ولا الصيام في رجب).. خلق الله الناس — وخلق معهم — اختلاف افكارهم، ومذاهبهم، واختلاف امزجتهم.. فما يعجب هذا — قد لايعجب الآخرين — بل قد يؤذى بعضهم — ومصائب قوم عند قوم فوائد — والناس لايزالون مختلفين الا من رحم ربك.. هذه المقدمة اقتضاها الموضوع الذي سأحدث عنه.. لقد اقبلت على المدينة المنورة.. فسرت كثيرا — وانشرح صدرى عندما وصلت الى الشارع الرئيسي لدخول المدينة — من ناحية (ذى الحليفة) — وهو على خطين — احدهما للذهاب — والاخر للآيب وبينهما جزيرة — قد غرست بها الاشجار والزهور — لتلطيف الجو وجمال المنظر — ويبدأ هذا الشارع من (ذى الحليفة) الى شارع العنبرية — ويبلغ طوله حوالى ١٠ كيلومترات.

وكان مدخل المدينة في هذه المنطقة يمر بعضه من مسيل وادى العقيق — وكله رمال تغوص فيه عجلات السيارات — واذا ماسال الوادي — انقطع الخط — فلا يستطيع احد دخول المدينة او الخروج منها — وبعضه كان يمر بحرة ضيقة — ترتفع وتنخفض في اماكن عدة..

وجاء الشارع بهذه الدقة.. وهذا التنسيق — لاثقا لمدخل مدينة كمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

نشرت في جريدة المدينة في عام ١٣٩٦هـ

ولم تقتصر العناية بهذا الشارع — ف معظم الشوارع قد سفلتت. ولا يزال العمل مستمرا في توسيع الشوارع التي تحتاج الى اسفلت. وحتى الاحوشة — التي كانت عبارة عن (علبة) مقفلة — بها ابواب تفتح نهارا وتغلق ليلا — ولا يستفيد منها الا ساكنوها.. اصبحت متنفسا للبلد — واصبحت ميادين مخططة تخطيطا هندسيا رائعا يستفيد منها الزوار والاهلون على السواء.

هذا انطباعي اول مادخلت المدينة المنورة — بعد غيبة طويلة.. ولكن صاحبي الذي صليت معه الفجر بالمسجد النبوي.. قال لي — وهو يحاورني — شفت كيف صارت المدينة — لقد اصبحت عبارة عن (خرابة كبيرة) — وحاول ان يأخذني الى الاماكن الذي جرى هدمها بأطراف المسجد النبوي — أو لتوسعة الشوارع.

وقلت لصاحبي — ان الحياة تتطور من يوم لآخر بسرعة كبيرة.. ويتطور معها العمران — وقد اصبحت السيارات هي الوسيلة للمواصلات داخل البلد — فلا بد من لحاق الزمن — ولا بد ان تسير المدينة مع هذا التطور — ومتطلبات الحياة.. ولا بد من توسعة الشوارع — سيما الموصلة للمسجد النبوي الشريف — الذي تشد الرحال اليه في كل عام من كل جانب عدد كبير من المسلمين.. ويزداد عدد زوار المسجد في كل عام زيادة كبيرة مع سهولة المواصلات والامن والاستقرار الذي يشمل المملكة السعودية.

وبعد الخطوة المباركة التي خطتها الدولة بتوسعة المسجد النبوي — اصبحت من الضروري — توسعة اطراف المسجد والشوارع المؤدية له — لافساح المجال للسيارات التي تؤمه.. وليتسنى للزوار والحجاج اداء الصلوات الخمس في يسر وراحة.

وسيكون المسجد النبوي — فيما اعلم — هو المركز الرئيسي الذي تنطلق منه الشوارع — واذكر ان بعض المسؤولين قد اقترح منذ زمن بعيد — ان يكون المسجد النبوي هو المركز لالتقاء الشوارع — وان تزال جميع المباني من

جهااته الاربعة بمقدار ثلاثمائة أو خمسمائة متر — نسيت الرقم الان — ثم يبدأ تخطيط المباني من بعد هذا الحزام الفضائي.. وفي ظني ان هذا الرأي لا بد ان يتحقق — ان لم يكن اليوم — فسيكون غدا.. لأن الدولة عندما تخطط لمشاريعها واصلاحاتها — دائماً.. تختار الافضل، ولان الاصلاحات والتوسعات تسير في المدينة بسرعة لاتعرف التوقف — ولا بد ان تتعاون البلدية مع مكتب تخطيط المدن على انفاذ الاحسن والاجمل.

واذا كان بعض الكتاب — وانا منهم — قد طالبوا بايقاف عمارة الاوقاف التي اقيمت بالقرب من جدار المسجد النبوي من الجهة الشرقية — فإن لهم كل الحق في ذلك — لان هذه العمارة لاتتفق مع تطور الزمن.. ولاتتفق مع الاصلاحات الشاملة والتوسعات التي تقيمها الدولة.. ولا بد من ازالتها وازالة ماحولها ان عاجلاً او اجلاً — ولا بد من توسعة الجهة الشرقية للمسجد النبوي لان بقاء العمارات في تلك المنطقة — هكذا تكاد تلتصق بجدار المسجد النبوي اصبح غير ذي موضوع.

واخيراً.. قلت لصاحبي — ان ماقلته من ان المدينة خرابة كبيرة — قد يكون لك وجهة نظر — ولكن هذا طبيعة العمل (ومايمكن حلاوة بلا نار) وان في استطاعتك ان تهدم اكبر عمارة في مدى سبعة او ثمانية ايام — اذا سلطت عليها الفؤوس والدركترات.. ولكنك لاتستطيع ان تبني مثلها الا بعد شهور او سنين — فالهدم لا يحتاج الى زمن ولكن العمران لا بد فيه من عامل الزمن.

ان الخطوط الاسفلتية قد انطلقت في ضواحي المدينة وقد طوق المدينة الحزام الاخضر الجميل.. وهو ليس بعيدا عن المسجد النبوي فيجب ان ينتقل العمران الى تلك المناطق.. وفي المدينة متسع كبير من جهاتها الأربع لتقام فيها المساكن والعمارات على احدث الطرق الفنية الهندسية.

يجب ان نسير مع الزمن — ولانتخلف عنه.. اننا ان تخلفنا عنه سبقنا وبقينا حيث كنا.. والزمن لاينتظر احدا فن تقاعس عن اللحاق به تخطاه.

** المدينة المنورة اليوم

ماشعرت أنني غريب في بلدي المدينة المنورة.. الا يوم زرتها أخيرا في أيام عيد الأضحى المبارك.. لم يقدر لي اداء نسك الحج هذا العام.. ففضلت ان أقضي أيام العيد — في الجوار الكريم — بالمدينة المنورة لأتمتع بالصلاة في مسجدھا الشريف والسلام على سيد المرسلين عليه افضل الصلاة وازكى التسليم.

وكننت أعتقد أن المدينة خالية — كالعادة — ماذا الناس في الحج، وأن الطرقات المؤدية للمسجد النبوي لازحام فيها ولامتاع.. وحبب الى بعض الأصدقاء النزول في فندق (الرحاب) لقربه من المسجد النبوي.

وكننت أنزل في فندق بهاء الدين، أو فندق التيسير، أو فندق قصر الحجاز.. وكلهم بجوار المسجد النبوي.. والاقى من أصحاب هذه الفنادق السادة بهاء الدين خاشقجي، وسمان بخيت، واحمد بكرى.. الاقى كل عناية وتكریم وترحاب — وكلهم أخوة أعزاء وأصدقاء كرام.. وقد اضطررت للموافقة على النزول في قصر الرحاب لظروف عائلية — فقط —.

التوجه الى المدينة

وفي يوم الثلاثاء — يوم الوقفة — توجهت الى المدينة المنورة، تأخرت ليوم الوقفة لأسلم من الزحمة.. الذى قالوا أن الطريق الى المدينة قبل العيد مشحون بالسيارات السير فيه (بالسرى) من شدة الزحمة.

وفي الساعة الثانية بعد الظهر.. كنا على مدخل شارع الساحة.. المؤدى

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/١٢/٢٨ هـ

الى فندق الرحاب.. فنحننا الجندي من دخول الشارع — وكان الشارع خاليا — لا حركة فيه، لامن السيارات، ولا من المشاة.. وسألناه لماذا هذا المنع والشارع فاض والناس في الحج.. فقال هذه الاوامر.. ثم سألناه عن الطريق الموصل الى فندق الرحاب — وكان الفندق أمامنا — فقال.. (روحو من الشارع الثاني يمكن يدخلوكم).. وتقدمنا للشارع الثاني — شارع السحيمي — ودخلنا فيه قليلا، واذا بجندي المرور يصفر لنا ويوقفنا بعنف، يطالبنا بالرخصة وسألناه لماذا فقال (بس هات الرخصة).. وسلمناه الرخصة والاستمارة.. سحب الرخصة وأعاد الاستمارة واضطرت ان اترك السيارة.. لاسأله عن سبب سحب الرخصة فقال.. انت ماتعرف ان الدخول من هنا ممنوع.. فقلت له.. انني قادم من جدة الان.. ولو عرفت أنه ممنوع — ما دخلت — ونحن دائما نحض على أتباع النظام، لا أن نتخطاه.. فرد الى الرخصة.. وقال لو كنت من أهل المدينة لما أعطيتك الرخصة الا في المركز.. وقلت في نفسي انني والله — من صميم اهل المدينة، وماشعرت بالغربة فيها الا اليوم.. وسألته عن الطريق المؤدي الى فندق الرحاب.. وكان الفندق على مقربة منا، فقال من هناك.. وأشار الى رجعة باب الشامي.

وتقدمنا.. وكلما وصلنا منفذا للفندق أو المسجد النبوي وجدناه مغلقا.. الى أن وصلنا الى شارع الساحة.. مرة ثانية.. وقلنا للجندي المكلف بمنع دخول السيارات.. اننا لم نجد منفذا للفندق ومعنا سيدة تعبانة) لا تستطيع السير الى الفندق.. فأذن لنا بالدخول.. وبعد كل هذا التعب.. لم نجد في الفندق غرفا مناسبة على الواجهة.. وبحثنا عن صاحب الفندق السيد الصديق (محمد حسن) فلم نجده لاشخصيا، ولا تليفونيا.. وكنا اتصلنا به قبل سفرنا من جدة فرحب بنا ووعدنا خيرا.

وبعد ان مسنا التعب، ومن المضايقة مامسنا اضطربنا الى الذهاب الى فندق (شيراتون المدينة) الذي قالت الصحف انه افتتح أخيرا.. وهو في سلطانه.. (آخر الدنيا).. وبرغم بعده عن المسجد النبوي.. ووجدناه على

مستوى رفيع من التنسيق والنظافة والسعة وسألناه عن وجود غرف فيه فقال موجود بـ ٤١٣ ريالاً.. ثم سألنا — ماشى فقلنا له ماشى.. والسيارة تقرب البعيد.

وعجبت لماذا إغلاق الشوارع الموصلة للمسجد النبوي وحرمان الناس من الوصول إليه.. ولا زحام ولا مشاكل — أبداً — في الشوارع أيام العيد.. وقد يكون معقولاً ذلك.. عندما تمتلئ المدينة بالحجاج والشوارع من السيارات.. أما والشوارع خالية ولا حجاج ولا زحام فلا أرى مبرراً لغلاق الشوارع.

ولكنهم فيما يظهر — جعلوا النظام المتبع قبل الحج وفي أيام الزحمة — سارى المفعول في أيام العيد.. حيث لا زحام ولا حجاج.

نزلنا في فندق (شيراتون) المدينة.. وهو لا يقل فخامة عن أرق الفنادق التي رأيناها في أوروبا وغيرها.. ولكن — كما يقولون — (الزينة ما يكمل). كل شيء طيب وجميل في الفندق إلا أسعار الطلبات فإنها مرتفعة.. ارتفاعاً لا يطاق.. وكل شيء في حدود المعقول.. مقبول.. والدنيا مملوءة من الفنادق.. ولا بد من السير مع الركب.. لئلا يفسر ذلك تفسيراً غير مرضى.

واضرب مثلاً بسيطاً — لارتفاع أسعار الطلبات في الفندق.. لقد كلفني فنجاناً — اثنان — من الشاهي حوالي ٤٠ ريالاً فن يصدق هذا؟.

ولقد أعتدت أن أتناول فنجاناً من الشاهي — على الريق — صباحاً.. وفي قائمة الأسعار.. الموضوع في الغرفة ان فنجان الشاهي بـ ٥ ريال.. وما استكثرت ذلك.. وأنا في هذه البلوكنة الجميلة والهواء العليل في هذا الوادي المبارك.. وادى العقيق.. والشمس تبدأ في إرسال خيوطها الذهبية.. منظر فائق رائع جميل.. يكمل جماله وروعته فنجان الشاهي.. واخذت فنجان الشاهي.. في ذلك الصباح وسرحت معه.. في ذكريات عزيزة غالية أعادتني الى نصف قرن الى الوراء.. تذكرت.. أيام كنا نقضى الأعياد في هذا الوادي الجميل — وادي العقيق — في خيام تضرب هناك.. وكثيراً ما كنا نستقبل شروق الشمس.. كما كنا نودعها في المساء.. وكان يقوم

امامنا (جبل احد) الجبل الذي يحبنا ونحبه.. وتحضنا الجمادات التي ابدع الشعراء في وصف جمالها والتي كان (ابن عائشة) يرتادها وتخرج لسماعه المدينة كلها أو معظمها.

تذكرت تلك الأيام الحلوة الجميلة.. أيام الصبا والجمال.. التي كانت كلها هناء ومرح مع (شلة) من الأخوان الكرام الأعزاة.. وقد مضى الآن معظمهم الى الدار الآخرة.

وتذكرت — بكل حسرة — مصطفى عطار — وفهمي الحشاني — وعبد العزيز برى — وعبيد مدني — واسعد عويضة — وحلمي الدقاق — وناصر غوث — وعارف براده — وحزمة خليل — وعارف اسعد — وحامد سمان — وحسن خشيم — وحسن طاهر — واديب صقر — وعبد العزيز عبد الجواد رحمهم الله ورحمنا اذا صرنا اليهم.

تذكرت هذه (الشبكة) التي قضينا معها أجمل أيام العمر وأبهاها كل هؤلاء الأخوان فارقونا الى الدار الآخرة.. وفارقنا معهم تلك الوجوه المشرقة النيرة، والثغور الباسمة الضاحكة، والقلوب النظيفة الطاهرة.

كنا نقضي الأيام الأربعة أو الخمسة من أيام العيد في سرور وهجة.. وأذكر أننا في سنة من السنين دفعنا مبلغا قاسيا (في الأربعة) مانسأه أبداً.. فقد دفع كل واحد منا (جنينا ذهبيا) وكان الجنية بعشرة ريالات.. وما كنا تزيد الأربعة عن خمس ريالات الى ستة.. وكنا لانبالي نذبح خروف كل يوم للغداء والعشاء.

أيام حلوة وجميلة رحية.. أثارها هذا الفندق (فندق الشيراتون) في هذا الوادي المبارك.. وبعثها هذا الفئان من الشاهي.. الذي قلت في أول الحديث — إنه كلفني مع الفئان الثاني ٣٤ ريالا — نعم لقد كلفني ٣٤ ريالا... فكيف؟؟.

لقد وصلني مع فئان الشاهي فاتورة بمحوالى ١٢ ريالا وقلت للساعى..

ان قيمة الفنجان في بطاقة أسعار الفندق ٥ ريالات.. فقال نعم ولكن تلحقه ٥ ريالات تقديم الطلب و١٥% خدمة.. ثم وقف امامي وقال (عازة خدمة ثانية) وفهمت كل شيء.. فقدمت له (البخشيش) وخجلت أن أقدم له ريالاً.. وأنا بطولي وعرضي (ونفشتي) وأنا داخل الفندق، فقدمت له ورقة به ٥ ريالات.. فأصبح فنجان الشاهي بـ ١٧ ريالاً.

ولم يكن البخشيش لازماً فندقياً... ولكنه لازم أدبياً وتقليداً.. والا أهملنا الفراشون.. وما (طالعوا في وجوهنا) وأقول هذا عن تجربة.. فإذا نسينا البخشيش نسينا الكل.. وأهملنا الكل.

وعندما قامت ام البنين طلبت هي الأخرى فنجان الشاهي وتكاليفه مثل تكاليف سابقه وعليه فقد كلف الفنجانان ٣٤ ريالاً.
مع ان هذين الفنجانيين لا يكلفان أكثر من ١٢ الى ١٥ قرشاً لأنها عبارة عن قرطاسين من شاهي لبتون، وقالين من السكر مع شوية ماء مغلي.

ثم لأدرى ماهو الفرق بين ال ١٥% الخدمة وبين وضع ٥ ريالات لكل طلب — وهي من نوع الخدمة أيضاً.. ولماذا لا تخضع هذه ال ٥ ريالات للنسبة المئوية..

وقد كان معقولاً بعض الشيء.. وضع ٥ ريالات للطلب على فاتورة الغداء التي بلغت ١٢٠ ريالاً لشخصين.. لأن الصينية التي قدمت للغداء تحوى أكثر من عشرة أطباق.. والمبلغ يتحمل ذلك.. أما أن يفرض على فنجان الشاهي خدمة أخرى مثل قيمته مرة ورربع.. فهذا غير معقول ولا مقبول. والريالات الخمسة بسيطة لقيمة لها.. ومن يدفع أجرة الليلة الواحدة في فندق أكثر من ٤٠٠ ريال لاتهم الخمسة ريالات — ولكن الشيء الأعوج لا يستطيع المرء ازدراده.

العودة من المدينة

وغادرت المدينة الحبيبة.. في صباح السبت، رابع أيام العيد على أمل أن

يكون ذلك قبل الزحمة .. ولكنني وجدت الطريق مزدحماً بالسيارات .. وبدأ سرى السيارات من باب العنبرية على اختلاف أحجام السيارات .. ومن سوء حظنا أن صادفنا أمامنا سيارتين تحملان أطنانا من الحديد من نوع (التريلا) .. وما كنا نستطيع السير أكثر من ١٨ الى ٢٠ كيلومتر في الساعة .. لازمتنا هذه السيارات الى الفريش ولم نجد منفذا لتجاوزها لكثرة السيارات القادمة من مكة .. وبعد تجاوزها في الفريش صادفتنا وايتات أخرى كبيرة فعاققت سيرنا .. وقطعنا الطريق الذي كان مقررا له من ٤ الى ٥ ساعات في أكثر من ٧ ساعات .

ولقد وجدنا من تهور السواقين واستهتارهم بالسير مأذهلنا .. وملأ قلوبنا فزعاً ورعباً .. فكثير منهم يتجاوزون السيارات بدون مبالاة .. بينا الخطوط مملوءة من السيارات الذاهبة والعائدة .. وفي بعض الأماكن اوشكوا أن يشكلوا خطاً ثالثاً في هذا الطريق الضيق .. لولا أن بعض سيارات الشرطة كانت تعقب الطريق من حين لآخر .

وقد رأينا في طريقنا — حادثين اثنتين — احدهما حريق وايت بنزين وبقرية سيارة صغيرة وكلتاهما قد احترقا نهائياً .. وقد سدت هاتان السيارتان الطريق وسببتا تحويلة خطيرة في الخط .. والثانية صدام بين سيارة نقل كبيرة وأخرى صغيرة .. ومن حولها عدد من سيارات الشرطة للتحقيق في الحادث ولأدرى هل هناك حوادث أخرى أم لا .. ان الطريق بهذا الوضع .. وهذا التهور من السائقين مدعاة لحدوث كثير من الحوادث .

**** ازدواجية الخط**

ولاسلامة من هذه الحوادث الا بازدواجية خط المدينة جدة — والسلامة من الله تعالى .

لقد تحدث كثير من الكتاب عن ضرورة ازدواجية الخط .. وأذكر أن دراسات قديمة وحديثة قد اجريت اذاك . كما أذكر أن معالي وزير

المواصلات قد أشار لذلك في الصحف.. وأن هذه الازدواجية وشيكة التنفيذ، وانى لأرجو من معاليه الاهتمام بذلك لأنني أراه من الضروريات.. وكم تمنيت أن يمر معاليه أو أحد المسؤولين الكبار من هذا الخط ليروا خطورة هذا الخط وضرورة ازدواجيته.

وطريق المدينة في مواسم متلاحقة.. اذا انتهى موسم الحج، يأتي موسم زيارة الآهليين من مكة وجدة والطائف وغيرها.. وغيرهم في ربيع وربيع ثم في رجب وشعبان.. ثم موسم رمضان.. وهكذا المواسم لاتنقطع عن هذا الطريق لذا لزمنا ازدواجيته.

وأدركتنا صلاة العصر ونحن مقبلون على تول.. فقصدنا مسجدنا لأداء صلاة العصر ولقعد وجدنا ماسورة ماء للوضوء على مقربة من المسجد يسبح ماؤها على الارض فيحدث شبه مستنقع.. ولم يكن أمامها حوض أو مصرف بل كان ماؤها يمشى كيفما اتفق.. أما المسجد فكل مافيه غير مرض.. الفراش معظمه ردىء وبعضه ممزق وأظن أن له (كذا) يوم لم ينظف.. وبالمسجد قليل من المصاحف الشريفة على بعض الادراج معظمها ممزق.. أما سقفه وجدرانه فقد تساقطت منها اللياسة والبياض وبدت بلوكات الاسمنت ظاهرة من أماكن كثيرة.. انني أعرض هذه الصورة على معالي وزير الحج والاقواف الذي عرف بعنايته ببيوت الله وتحسينها وتجميلها وجعلها في مستوى يليق بمستوى مساجد الله.. وأرجو أن تجد هذه المساجد من عنايته واهتمامه ما يصلح شأنها ويجعلها على خير مايرجى.. كما أقترح على معاليه تشكيل لجنة تطوف بالقرى والطرق النائية لتفقد ما بها من مساجد.. وتقديم تقارير لمعاليه عن كل مسجد تمر به.. فاني أعتقد أن معظم المساجد في الطوق والقرى تحتاج الى ترميم وفرش ونظافة وإيجاد دواليب لحفظ المصاحف.

وبالمناسبة.. فقد كنت رأيت بالمسجد النبوي الشريف عددا كبيرا من المصاحف وبأحجام مختلفة وطبعات مختلفة أمام دكة الأغوات على شباك

الحجرة الشريفة من الجهة الشمالية.. أعدادا كثيرة جدا من المصاحف الشريفة لا تحصى ولا تعد.. بالألوف ان لم تكن بعشرات الألوف.. وسألت صاحبي الاستاذ (الشيئاوي) - حمادة المسجد - عن تكديس هذه المصاحف بلا نظام أو ترتيب.. المصحف الكبير فوق المصحف الصغير والصغير فوق الكبير.. ورصات منها طالعة ورصات نازلة بلا تنسيق ولانظام فقال: ايش نسوى المستودعات كلها مليانة.

وأرى ضرورة حفظ هذه المصاحف وتبويبها وتنسيقها وتوزيع ما يمكن منها على المساجد لاستفادة المسلمين منها وأن يوضع في كل مسجد ما يمكن من الدوايب لحفظها في مساجد المدينة وفي غيرها من المساجد للاستفادة منها.. وكذا توزيعها على المدارس والمعاهد والمساجد الأخرى في بلاد المسلمين.. وقد علمت أن مصاحف كثيرة جدا جدا موجودة في المستودعات.. وهي تزداد مع الأيام.. من هدايا وأوقاف الحجاج للمسجد النبوي.. فيجب حفظها وعمل دوايب لاثقة بها واستفادة المسلمين منها في كل مكان.

هذا الموضوع أتركه لمعالى وزير الحج والاقواف وأرجو أن يجد من عنايته واهتمامه ما يحقق رجاء المسلمين في ترميم وتحسين بيوت الله.. ووفق الله الجميع لما فيه رضاه.

أغرب الذكريات في حياتي

قبل الوداع

منذ أن تلقيت دعوة الصديق الحبيب عبد المجيد شبكشي الى التحدث عن الذكريات وانا اعتبرها توريطة لأن الحديث عن الذكريات لا بد أن يجر للحديث عن النفس.

والمرء اذا تحدث عن نفسه — أما أن يكون مفرطاً منتفخ الأوداج — يعطى نفسه أكثر مما تستحق — ويجعل من الحبة قبة.. (وقد يركبها ملطه) كما يقولون..

واما أن يكون متواضعا يكره الظهور ويكره الحديث عن النفس ويعتبر نفسه مقصرا ولم يوءد ماعليه من واجب.. فلا يعطى الصورة الواضحة عن الحقيقة.

وفي كلا الحالتين — فأأن الحقيقة سوف تكون ضائعة بين الافراط والتفريط..

ولا يدري هؤلاء وأولئك..؟ وقد يدرون أن الناس لهم عقول يميزون بين الغث والثمين.. وعلى المرء أن يقول عن نفسه ما يشاء وعلى الناس أن يدركوا كل شيء..

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وان خالها تخفي على الناس تعلم

لقد حاولت في كلمتي السابقة أن أتحدث عن ذكريات طفولتي — وابتعدت — جهدي — عن الحديث عن نفسي — ولكن صدقني أيها الأخ

نشرت في جريدة المدينة في ١٩/٥/١٣٩٧هـ

الكریم — القاريء — أن الكلمة بعد نشرها — لم تعجبني.. وإذا كانت ما أعجبتني أنا — فيا هل ترى ستعجب من؟؟؟

وقلت في نفسي.. ما الذى يهم الناس من سفرى واقامتي.. وما الذى يستفيد — الجليل الصاعد — على رأى الأستاذ الشبكشي من الدراسة في الكتاب — بتشديد التاء — وطريقة الدراسة فيه..

وتذكرت بعد أن نشر الحديث السابق كلمة قالها الأستاذ الزيدان وهو يخطب في حفل وأظنه حفل زواج بدار الخريجي.. تذكرت الكلمة التي افتتح بها خطابه وهي.. «ثرارة في كل ناد يخطب» وضربت هذا المثل على نفسي وقلت: (ثرارة في كل واد يكتب)..

ورأيت أن أترك الحديث — عما بقى من ذكريات الطفولة وما بعدها — وأن أتحدث عن ناحية واحدة هي ذكريات اصدار (جريدة المدينة المنورة).. وماقبلته من مشاكل وعقبات.. وما نالته من عون ومساعدات.. ولكن عندما مسكت القلم لأكتب عن هذه الذكريات وجدت نفسي في خضم من الذكريات لا أول لها ولا آخر.. يسابق بعضها بعضا.. وكنت قد حاولت أن أكتب عن هذه الذكريات من قبل فكتبت أكثر من ٢٦ حلقة استوعبت كل حلقة صفحة من صفحات الجريدة.. وقد جمعتها في سفر فكانت ٣٠٠ صفحة ولم أبلغ بعد غايتي من الحديث عن ذكريات الجريدة وقد يكون مابق من الذكريات أكثر مما نشر!!.. فهل أختصر كل تلك الصفحات — في مقال أو مقالين — وأين هي القدرة على هذا الاختصار؟.

وما أزال في ورطة من الحديث عن ذكرياتي، ولا بد من الخروج من هذه الورطة — ليستريح الخاطر — وليساعني القارئ العزيز ان رأى ما لايعجبه.. فهذا جهد المقل.

وذكريات جريدة المدينة المنورة مشحونة بالمغامرات والارتجال.. لأنها ماكانت تستند الى تخطيط أو حساب.. بل أقدمنا عليها دون أن نفكر فيها

تطلبه من مادة نقدية.. أو علمية أو صحفية.. أو هندسية.. ولو أردنا — أن نضع في كفه — مايتطلبه تأسيس الجريدة من مطبعة وعمال طباعة وأدوات طباعية وأحبار وهندسة طباعية، وإدارة تحرير، ومالى ذلك مما يتطلبه إصدار جريدة.. ووضعنا في الكفة الثانية — طاقتنا من المادة ومن علوم الصحافة، والأدب.. لما خطونا خطوة واحدة في المشروع لأن التكاليف المادية والأدبية والهندسية فوق طاقتنا، وفوق احتمالنا.. لذا كنت أقول: أننا كنا نفكر بعواطفنا وأحاسيسنا عندما أقدمنا على تأسيس المطبعة والجريدة.. لابعقولنا وأدمغتنا.. ولكن الله يسر فكانت المطبعة وكانت الجريدة في ظروف أشبه بالخيال — والا.

فمن يصدق.. أن المهندس الذي ركب المطبعة في المدينة لم ير مطبعة في حياته، وأنه مهندس طلبات ماء تعلم هندستها نظريا لادراسيا.. كما قال عن نفسه عندما دعيته لمساعدتنا في تركيب المطبعة

ومن يصدق.. أن شخصا يتعلم هندسة المطابع في أربعة أيام.. وهو لايفرق بين الزرادية والمفتاح.. ويضع «فنه» بأجزاء المطبعة وطريقة تركيبها.. ثم يتعاون مع مهندس طلبات الماء.. وتركب المطبعة وتعمل كما لو كان قد ركبها مهندسها المختص ؟

ومن يصدق.. أن شخصين يعملان في وظائف الدولة سحابة نهارهما.. ويعملان فيما فضل من وقت في إصدار جريدة أسبوعية.. ويستمران على هذا الوضع ٢٨ عاما.. دون كلل أو ملل.. ودون أن ينالا أى ربح مادي من الجريدة.. بل أنها يقتران على أبنائها وأسرهما.. وينفقان على الجريدة بسخاء ورضا.

من يصدق.. أن هذين الشخصين هما كل شيء في الجريدة.. يعملان في الإدارة.. والتحرير.. يستقبلان البريد ويردان عليه.. ويكتبان الأخبار المحلية والخارجية — دون أن يكون لهما أى مصدر لتلك الأخبار — فلا وكالات أنباء ولابرقيات — ولا وزارات أو دوائر حكومية رئيسية يستمدان

منها الأخبار.. وكان عليها أن يملأ في كل أسبوع حوالي صفحتين من هذه الأخبار.

من يصدق.. أن مع هذه الأعمال الكثيرة كانا يدققان الكلمات التي تنشر، وكانا، يصححان الجريدة ويوضبانها.. ثم يقومان بتطبيقها وكتابة عناوين المشتركين بالقلم، ثم يحزمان أعداد كل مدينة من مشتركين ووكلاء.

فهل يوجد في الجيل الصاعد من يتحمل هذه المتاعب والمشاق — الا ان يقرأها لازجاء الوقت والتسليم.

ذكريات ومفارقات بين الامس واليوم

الذاكرة — هي الشريط الذي يسجل حياة الانسان.. يسجل كل ما يمر به من احداث .. صغيرها وجليلها.

وتختلف الذاكرة قوة وضعفا لدى الانسان.. كما يختلف الذكاء والغباء من شخص لآخر.. فالبعض يذكر تفاصيل كبيرة لما مر به من احداث في مختلف مراحل حياته.. والبعض ينسى غداء امسه.

هكذا الناس خلقهم الله اطواراً وأنماطاً.

اذكر انني سمعت من فضيلة الشيخ محمد العلي التركي رحمه الله من علماء المدينة المنورة.. وكان يحفظ كثيرا من الدواوين الشعرية، ولا تكاد تأتي مناسبة في الادب الا ويستشهد ببيت من الشعر.. قال.. انني عندما اقرأ قصيدة مرة واحدة فأني احفظها ولا اعرف اني قرأت — قصيدة مرتين ولم احفظها ابدا مهما كانت معقدة.. وروي عن ابى العلاء المعرى — القصة المشهورة — وهي ان شخصا طرق دار جاره ولما لم يجده.. تكلم بكلام بلغته التي لا يفهمها ابو العلاء المعرى.. وذهب لسبيله.. ولما جاء جاره اخبره ابو العلاء المعرى بالخبر.. وذكر له ماسمعه باللغة التي لا يعرفها.. فبكى جاره.. لان فيما قاله وفاة عزيز عليه.. ويروى عن الامام الشافعي. انه اذا اراد قراءة كتاب ما غطى بيده الصفحة المقابلة لثلا يقع نظره عليها فيحفظها قبل التي كان يقرأها.. هذه مواهب من الله تعالى.. وهي ان كانت نادرة.. فان التاريخ الادبي يروى الكثير من هذه القصص.

والاغلب الاعم.. ان تحتفظ الذاكرة بالاحداث الهامة.. التي لها شأن

نشرت في جريدة المدينة في ٢٧/٣/١٣٩٧هـ

في حياة الانسان.. أو التي غيرت مجرى حياة الانسان.. سواء كان ذلك في طفولته أو مابعد الطفولة. على ان الجديدين.. اذا تعاقبا على المرء انسياء معظم الذكريات.. وقد يضعفها الى حد كبير ويلاشي اكثر ماعلق بها ان لم يكن قد مسحها مسحاً.

ويشبه بعض علماء النفس الذاكرة بالغربال كلما تقادم العهد به.. ارتخت خيوطه واتسعت ثقوبه وتساقط منه ماكان يحتفظ به.. حتى لايبقى الا الجراويل.

وعندما تلقيت خطاب الصديق العزيز.. الاستاذ عبد المجيد شبكشى.. والذي طلب مني فيه.. الكتابة عن ذكرياتي.. وجدته يقول: الذكريات تنفع الجيل الصاعد بما بذل من جهد ومعاناة في شق طريق الحياة.

عندما طلب مني ذلك.. وجدت شيئاً من الاحراج.. وعدت الى الذاكرة استجديها.. وانبش مافيا من ماض عريق وحاضر طرير.. فلم اجد الشيء الدسم الذي يمكن ان يفيد الجيل الصاعد.

لقد تفتحت امام الجيل الصاعد الحياة بأوسع معانيها.. وبما فيها من امكانيات كبيرة.. علمية، وثقافية، وادارية.. وبسطت ذراعيها لتعطيه كل مايطمح اليه.. فأصبح كل شيء متوفر لديه.. واصبحت الطريق امامه مفروشه بالورود والرياحين ووجد في عصر زاه قد لايفيده تجارب عصورنا المليئة بالمتاعب والمشاكل والعقد.

لقد كانت للفترة التي عشناها قبل نصف قرن أو تزيد.. فترة عصبية قاسية.. ويكني أنه تخللها حربان عالميتان.. كل حرب دامت حوالى خمس أو ست سنوات كما أنها أكلت عدة سنوات قبلها للتأهب للحرب.. وأكلت عدة سنوات اخرى بعدها.. للتخلص مما حل بالعالم من دمار وخراب بأسباب تلك الحروب.

ويعيش الجيل الصاعد — اليوم — بحمد الله — في رخاء واستقرار

وحياة رتيبة هادئة.. وشتان بين حياة الجيل الصاعد — اليوم — والجيل المتخلف بالأمس.

لقد كان التعليم.. الذي هو اساس نهضات الشعوب في العالم — في زماننا — ينتهي عند التعليم الابتدائي — فقط — ثم يخرج الطالب الى الشارع.. ويترك لجهده تيسره الايام كيفما اتفق.. والطالب حديث السن.. اذا لم يجد دوافع قوية تدفعه للعلم وطلبه.. استمرأ الراحة والدعة.

أما اليوم فقد قفز التعليم قفزته الكبرى.. قفز الى الشهادات الجامعية.. والدراسات العليا.. وأصبح طالب اليوم لا تقنعه الشهادة الجامعية.. بل لابد من الشهادات العليا.. وكنا نسمع في الكتب بالدراسة الثانوية والجامعة.. فأين الجو العلمي اليوم من الجو العلمي بالأمس

أظن انني شطحت كثيرا أو خرجت عن الموضوع ولو اردت أن أعطي القلم مداه.. لأطلت اطالة قد يملها القارئ.. وانا احاول جهدي.. الا اكون ثقیل الظل — أحاول — ولكن هل كل محاولة مجدية.. ومتى اعطى المرء ماتمني.

ولأعود لموضوع الذاكرة.. التي هي صلب الموضوع — وأمری لله.

برغم ما ذكرته من مفارقات بين الأمس واليوم.. وبرغم ان ذكريات الأمس لا تفيد رجال اليوم.. فقد عولت أن أكتب شيئا من الذاكرة.. استجابة لطلب الصديق الغالي.. ولكني بعد أن أقدمت على الكتابة.. احترت ابدأ منين.

نعم احترت من أين ابدأ.. ستين عاما أو تزيد وأكثر من عشرين ألف يوم.. والاحداث يلاحق بعضها بعضها.. والصور متشابهة، ومتشابهة، ومتداخلة.. بعضها يطرد بعضها.. والأيام تهز الذاكرة هزا عنيفا.. فيتساقط منها معظم ما بها ولا يبقى الا النذر القليل.

والغريب.. ان النسيان قد غطى جزءا كبيرا منها.. ومن أسوأ مامنيت به الذاكرة. أنني اشتبهت في كلمات كتبها، وآراء نشرتها في جريدة المدينة المنورة قبل ربع قرن أو ثلث قرن.. فعندما ماعدت اليها لم أذكر منها شيىء.. وأصبحت أقرأها كما أقرأ لأى كاتب اخر.. مع ان عليها توقيعى فهل بعد هذا يمكن ان يعول الانسان على الذاكرة.

وحلا للمشكلة — فقد رأيت أن آخذ من كل بحر قطرة.. كما يفعل الاستاذ (عوده) في برنامج الاسبوعي وان اختار من الذاكرة.. مافيه شيء عن تاريخ البلد وذكر ماعفى الزمن من عادات وتقاليدها اثر في تكوين البيئه وتقييم الحياة في زماننا.. أو مافيه شيء مما غير مجرى حياتي شخصيا.. ان لم يكن فيه فائدة لأحد.. فإن فيه تاريخ للبلد.

رفقا بجيران المصطفى

كنت أريد أن أتحدث عن طريق المدينة وملاحظته فيه من مشاكل ومتاعب.. ولكن وجدت ما هو أهم من الطريق وما هو أجدر بالحديث.

لقد رأيت.. أن مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم.. في حاجة الى عناية كبيرة من مختلف الوزارات والمصالح.

فالمنطقة التي نكبت بالحريق في العام الماضي — المجاورة للمسجد النبوي الشريف — والتي التهمت النيران كل ما بها من أثاث وفراش، وأمتعة، وأموال، وبضائع بالمحلات التجارية وكذا المنطقة المجاورة لها التي هدمت من أجل توسعة المسجد النبوي الشريف وإيجاد ميادين حوله معظم أصحابها من الملاك لم يعوضوا عن أملاكهم ولم يجز تخطيط أو تنسيق الميادين حول المسجد الشريف فأصبح الوضع حول المسجد النبوي مشوها مساحات كبيرة من بعض الجهات ومن حولها انقاض أو مظللات مؤقتة.

وجدير بهذه المنطقة أن تخطط وتنسق ويجرى توسعة المسجد النبوي التي هدم كثير من تلك الأماكن من أجل توسعته والتي رددتها الصحف المحلية في كثير من المناسبات.

ولاشك أن مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في أمس الحاجة الى التوسعة الحديثة التي أعلن عنها من قبل فلقد ضاق المسجد بالمصلين في الأيام العادية يمتلئ وما حوله واطرافه بالمصلين فكيف في أيام المواسم الذي يؤمه الألوف بل عشرات الألوف إني اترك ذلك لحكومة صاحب الجلالة ورجاها الأمناء المخلصين.

نشرت في جريدة المدينة في ١٢/٤/١٣٩٨ هـ

وأريد أن اتحدث هنا عما لحق المواطنين من متاعب وأضرار من عدم تعويضهم عن الأماكن التي نكبت بالحريق والأماكن الأخرى التي هدمت من أجل التوسعة حول المسجد النبوي الشريف.

لقد سمعت كثيرا من شكاوى الناس من عدم تعويضهم عن الأملاك التي حُرقت أو هدمت — ولا يمكن لهؤلاء الذين حُرقت أماكنهم أو هدمت — إقامة أماكن تأويهم — الا اذا عوضوا بأقيامها — وأن كثيرا منهم الآن عالة على ذوبهم وأقربائهم — وهم في حالة يرثى لها من الفاقة والضعف وقد علمت أن المشكلة القائمة دون صرف التعويضات عدم معرفة وتحديد الأماكن التي التهمتها النيران.. وإذا كان المسؤولون يطلبون من أصحاب الأملاك تقديم حجج وذرع لأماكنهم التي حُرقت حسب الأصول المتبعة فأن كثيرا من الحقوق سوف تضيع — لأن الأماكن التي حُرقت كلها قديمة وبعضها أوقاف على أسر فقيرة.. والمعروف أن الحجج القديمة ليس بها ذرعه للمساكن بل أن تحديدها يكون بأملاك الدور المجاورة — من الجهات الأربعة دون ذرعه معينة والدور المجاورة أختلط حابلها بنابلها وضاعت معالمها كما أنها قد فقدت أو التهمتها النيران في المنازل والدكاكين وقد خرج الناس من دورهم ومتاجرهم بأطواهم طلبا للنجاة بأرواحهم.. ومعظم أصحاب تلك الأماكن ضعفاء لا حول لهم ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد لاتصل أصواتهم وشكواهم الى ولاية الأمور.

وخدمة لجيران المصطفى صلى الله عليه وسلم أرى أن تشكل هيئة من الامارة والمحكمة الشرعية والبلدية والمالية ومن أرباب الخبرة الذين يعرفون الأرض ويعرفوا أصحابها منذ قديم الزمان لدراسة أوضاع تلك الأماكن ومسحها وتحديدها ثم تعين الأماكن لأصحابها حسب الطاقة والحجج الضائعة أو التي حُرقت يمكن معرفة أصحابها ومساحات أراضيهم حسب ما يراه أهل الخبرة وتضع اللجنة الخرائط اللازمة ومن ثم يجرى تقديرها تقديرا مجزيا ويصرف لكل ذى حق حقه ولا أظن أنه يوجد حل غير هذا يوصل الناس لحقوقهم.

أما بقاؤها بهذه الحالة أو مطالبة أصحابها بإثبات أملاكهم وتقديم حججهم وتعيين أماكنهم فقد يكون ذلك متعذرا لأن جميع معالم المساكن والدور قد ضاعت بأسباب الحريق وتبقى المطالبة بذلك مضيعة للوقت وايضا مضيعة لحقوق الناس سيما الضعفاء منهم والأرامل.

والدولة — لم تأل جهدا في مساعدة رعاياها والعطف عليهم بكل الوسائل — وهي لم تقصر حتى من الناس الأبعدين تساعدهم وتأخذ بيدهم وتعينهم.

واعتقد أن مثل هذا الحريق لو حصل في أقصى الدنيا واستنجد أهله بالدولة لأعانتهم وعوضتهم وأغدقت عليهم العطاء فكيف بأبنائها ورعاياها وكيف بجيران الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد يوجد من بينهم من اهل بيته عليه السلام الذي أوصى بهم خيرا.

اعتقد أنه لا يحل هذه المشكلة الا تشكيل هذه الهيئة وتعطى صلاحيات للدرس والتعيين والبت..

والى الحديث انشاء الله عن طريق المدينة في كلمة لاحقة.

حول المسجد النبوي

اهل المدينة المنورة كانوا يسمون الأزقة المحيطة بالمسجد النبوي الشريف من جهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية.. يسمونها (فرش الحجر) لأنها كانت جميعها مفروشة بالحجر الأسود المقطوع من جبال المدينة.

وكانت هذه الأزقة قبل التوسعة السعودية للمسجد النبوي ضيقة جدا لا يزيد عن ٣ امتار تقريبا.

أما الجهة الجنوبية (القبيلة) فكان قسم منها يسمى (ديار العشرة) والقسم الثاني اتخذته الأوقاف مستودعا لحفظ بعض لوازم المسجد النبوي، وكان يوجد زقاق ضيق في الجهة الجنوبية ملتوي.. لا يزيد عرضه عن متر ونصف.. يأتي خلف الحوش المتخذ كمستودع للوازم المسجد، والمنازل التي على هذا الزقاق مبنية على الطراز القديم ومتلاصقة بعضها ببعض.

وأذكر اننا كنا نزور في هذا الزقاق الشيخ محمد علي عبد الجواد، كانت داره هناك.. وكنا نرى أخاه الشيخ حسن عبد الجواد وهما من أعيان المدينة وفضلتهما رحمهما الله.

وكنا نعجب من ضيق الزقاق والتوائه مما يدل على أن هذه الأزقة، والمنازل التي بها كانت اقيمت (كيفما اتفق) ولعل ذلك كان من أجل توفير الجو البارد.. حيث لا توجد وسائل لتلطيف الهواء.. ومن مميزات هذه الدور قرها من المسجد النبوي، فقد كانوا يسمعون قراءة الامام الجهرية في الصلاة، ويسمعون تكبيرات المؤذن ولم يكن هناك (مكبرات) للصوت أو مكرفونات.. بل كانت تسمع الاصوات على الطبيعة.

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/٥/٢٢ هـ.

* دوارق الماء المبرد:

وكان عن يمين الداخل لباب السلام (زقاق الخياطين) وهذا الزقاق نافذ الى (ذروان) وفيه معظم سبل الدوارق والتي يأتي بها سقاة المسجد النبوي في أوقات الصلاة وكان لمعظم أسر المدينة مكان مخصص بالمسجد النبوي يجلسون اليه ويضعون الكاسات النظيفة على الدوارق لسقيا الناس. وكنا نخرج من الكتاب في الظهيرة نبحث عن دوارق الماء المبرد.. فلا نجدها الا عند دكة الأغوات.

ولا يوثق بهذه الدوارق بكثرة الا في أوقات الصلاة.. وكان من أكبر السبل من هذه الدوارق سبيل الشيخ (حسين جباد) بقرب باب الرحمة، وكان يضع أمامه عدة صناديق من — الصناديق المصفحة بالزنك لحفظ الدوارق.. وجميع الصناديق التي توضع بها الدوارق داخل المسجد مصفحة بالزنك لألا تلوث بقايا المياه المسجد.

وكان يأتي عند سبيل السيد الجباد عليه القوم وساداتهم أذكر أنني كنت أرى هناك السادة السيد عبد الجليل مدني واخوانه السيد عبد العزيز والسيد زين العابدين مدني والشيخ ابراهيم برى والشيخ ابراهيم خربوتي.. وهناك كثير من السبل يجتمع حولها كبار أهل المدينة ومن كنت أراهم السيد ابراهيم هاشم والسيد ماجد هاشم والسيد ادريس هاشم والشيخ ذياب ناصر والشيخ محمد حسن السمان والسيد حمزة الرفاعي وابنه السيد احمد والشيخ محمد زاهد والسيد ماجد عشقي والشيخ محمد داغستاني والسيد زين العابدين والشيخ يوسف عبد الجواد والسيد زكي برزنجي والشيخ احمد كمانخي — رحمهم الله جميعا — وكنا نصلي المغرب دائماً أنا واخي السيد علي حافظ مع والدنا غفر الله له في تلك المنطقة.

وكان الشيخ حسين جباد يعتني بنظافة طاسات الماء الكولندي — ويقدم الماء المبرد بيده للذين يقصدون سبيله.

وكانت سبيل الدوارق منتشرة في كل مكان بالمسجد النبوي سيما وقت المغرب.. وليس الذ ولا شهى من ماء الدوارق المبرد.

* قراء العشر من القرآن:

وأذكر أن الشيخ (مصطفى الاكنلى) من الانضول كان يقرأ عشرا من القرآن كل يوم قبل المغرب في تلك المنطقة.. ومن الغريب.. ان هذا الشيخ لا يحسن اللغة العربية — ابدا — ولكنه كان يقرأ القرآن مجودا، وينطق الكلمات من مخارجها ولا يلحن ابدا ولكنه لا يستطيع أن يتكلم كلمة واحدة بالعربية.

اما فضيلة الشيخ حسن الشاعر شيخ القراء بالمدينة فقد كان يقرأ عشرا مطولا في رجه المسجد — الرملة صيفا وبداخل المسجد شتاء، وكان يجتمع حوله الكثيرون ممن يستمعون للتلاوة.. بينا كان الشيخ صالح عويضة يقرأ عشرا من القرآن بدكة الاغوات أمام بيت السيدة فاطمة الزهراء.. وكل هذه القراءات كانت قبل المغرب.

* حلقات الدروس بالمسجد:

وكانت تنتشر حلقات الدروس بعد صلاة المغرب في جميع انحاء المسجد.. وكان العلماء، والمشايع يدرسون في مختلف العلوم الدينية والآلية.

ومن أذكر من المشايخ الذين كانوا يتولون التدريس بالمسجد.. قرأت على اكثرهم الشيخ عبد القادر توفيق الشلبى، والشيخ ابراهيم برى، والشيخ محمد الطيب الانصارى، والشيخ محمد على التركي، والشيخ محمد الخضر، والشيخ محمد الامين الشنقيطي، والشيخ احمد بساطى، والشيخ حمزة بسطاي، والشريف محمد العربي، والشيخ محمد صقر، والسيد احمد الفيضى آبادي، والشيخ عبد الباقي، والشيخ محمود شويل، والحال الشيخ محمد صادق، والشيخ عبد الوهاب ابو خضر، والشيخ ماجد برى، والشيخ عمر برى.

وكان المسجد كخلية النحل من المصلين ومن طلبة العلم الذين يدرسون بالمسجد النبوي — كانت أيام حلوة جميلة ماالذها وأمتعها وأمرحها راحت وخلفت لنا ذكريات ننعم بخيالها، ونتحسر على فراقها.

* الازقة الضيقة الملتوية:

نعود الى ذكرى الازقة الضيقة الملتوية التي حول المسجد النبوي — والتي كانت — موضع حديث اليوم.

لقد تحسنت كثيرا الازقة المحيطة بالمسجد النبوي.. بعد التوسعة السعودية الاخيرة للمسجد النبوي.. في السبعينات.. ووسعت تلك الشوارع وجعلت بين ١٢ الى ١٨ مترا.. وفرشت بالرخام الأبيض اللامع.. ومنع مرور العجلات من تلك الشوارع بأنواعها.. السيارات والموتوسكل والموترسكلات والعربيات البلدي (الكرو) لألا تعوق حركة المرور الى المسجد.. وكانت العجلات ممنوعة بطبيعتها لضيق الأزقة.. وتعذر مرور العجلات منها.. وفتح شارع واسع نسبيا في الجهة الجنوبية يصل باب السلام بباب النساء وفرش بالرخام الأبيض الناصع.

* صيانة الاروقة المحيطة بالمسجد:

وعندما كانت الاروقة المحيطة بالمسجد النبوي مفروشة بالحجر الأسود لم تكن تحتاج الى صيانة كثيرة كانت تنظف دائما.. وفي بعض المناسبات كالأعياد كانت تغسل بالماء.

أما بعد أن فرشت بالرخام فهي تحتاج الى صيانة مستمرة وتنظيف دائم.. ولقد لاحظت في زيارتي الاخيرة للمدينة المنورة أن بعض قطع الرخام مكسورة وباقية في موضعها وبعضها نزع من محله.. وبقي محله على التراب.. وقد يعثر فيها الغافل.. ويوجد شريط منزوع عنه القطع الرخامية في الجهة القبلية وربما نزع لمد مواسير الماء أو التليفون.. وبقي محله ترابا.. وأرى ضرورة اصلاح هذه الأشياء أولا بأول لألا يتسع الخرق على الراقع.

* واقع الازقة الضيقة:

وبجرني الحديث عن الازقة التي حول المسجد النبوي الشريف الى ماعليه واقع هذه الازقة الضيقة الملتوية التي يرجع تاريخ اقامتها الى مئات السنين.

هذه الازقة على ضيقها وتعرجها وقدم المباني التي عليها.. وعلى قربها من المسجد النبوي ومضايقها للمرور فأنها مازالت باقية.. ومازال الناس يرون منها.

ومن هذه الازقة.. الزقاق المتفرع من جهة باب النساء الموصل الى البقيع، والذي كان ممرا للجنائز. والزقاق الذي يمر من جنوب بيت شيخ الحرم، والزقاق الذي يمر من قرب مكتبة عارف حكمت ويمر من تحت سقيفة مظله وضيقة الى زقاق الحمزاوي وكل تلك الازقة المتفرعة منها كلها ضيقة وعسيرة وقد يتعذر مرور دكة الجنائز في بعضها.. فهي لا تصلح مجالا للسكني ولا تتفق مع هذا التطور الكبير في العمران وفتح الشوارع وتوسعتها في طول البلاد وعرضها وقد رأينا عمارات ضخمة، وشوارع وأحوشة أزيلت بالكامل من أجل توسيع الطرق وإيجاد مواقف للسيارات.. بعد أن تطورت الحياة في البلد وغزت السيارات البلاد.. وكان لابد لها من شوارع واسعة تدور فيها، ومواقف تقف عليها وكان المفروض الا تبقى هذه الازقة الضيقة، والمباني المتهالكة قرب المسجد النبوي لمضايقتها للمسجد وعدم صلاحيتها.

وأذكر الآن أن مسئولا كبيرا كان قد اقترح قبل عدة سنوات.. أن تزال جميع المباني التي حول المسجد النبوي، وأن يحاط المسجد بحزام يقدر بخمسمائة متر من جهاته الاربعة.. وبعد هذا الحزام يخطط للشوارع الموصلة للمسجد تخطيطا يتناسب مع قدسية المسجد النبوي الشريف.. ويتناسب مع حركة المرور للسيارات ومواقفها من اطرافه الاربعة.

أنها كلمة مغلظة أقدمها للمسؤولين وأرجو أن تكون محل العناية والدرس

وتنفيد ما يراه المسؤولون من اصلاحات هذه المنطقة الواقعة في شرق المسجد وجنوبه فقد طال أمد انتظار الناس لذلك، وفق الله تعالى رجال دولتنا المخلصين الى ما فيه خير العباد والبلاد.

طبق الصحيفة وقال «في أمان الله»

من يصدق.. ان هذه المطبعة بامكانياتها الطباعية والفنية والصحفية البسيطة.. تصدر أعدادا ممتازة وبثلاثة ألوان وبصور متعددة للأشخاص وللأحداث وليس في المدينة أى — امكانيات للتصوير أو الحفر على الزنك.. وتصدر هذه الأعداد الممتازة في ١٢ و ١٦ صفحة.. والورقة الواحدة من الجريدة تطبع مرتين أو ثلاث مرات.. كل لون يطبع على حدة بعد تغيير الحبر باللون المراد طبعه.. وغسل المحابر والردافات من الحبر السابق.

لقد قالها الأستاذ — محمد سالم — مدير المطبعة الأميرية بمصر.. وهو واقف خلف مطبعة المدينة وهي تصدر العدد الممتاز في ثلاث ألوان — قال.. — والله العظيم لو لم أربعيني أن هذا العدد يطبع بالمدينة وهذه الامكانيات ماكنت صدقت أنه صدر بالمدينة — (١).

من يصدق.. أن دكانا بشارع العينيه مساحتها ٣ في ٣ متر.. قد أشغل أكثر من ربعها مكتب ودولاب: تصلح لأن تكون إدارة لجريدة أسبوعية.

ثم من يصدق أن ادارة الجريدة تعجز طول السنين عن تعيين كاتب أو محاسب أو أى موظف يساعد أصحابها.. فيتحمل صاحبها كل ما فيها من مسؤوليات كتابية وحسابية وأدبية وتحريرية.

كل هذه الألوان وكل هذه الأحداث كان واقع جريدة المدينة المنورة.. وقد خرج أصحابها منها وعليهم لا لهم. وأرجو بعد هذا ألا يفتخر علينا أصحاب المؤسسات الصحفية بأنهم

نشرت في جريدة البلاد في ١٣٧٧/٥/٦ هـ

يصدرون الصحف يومية في ١٢ و ١٦ صفحة.. فلو قارنا بين مالديهم من امكانيات ضخمة ومكاتب وثيرة وغرف مكندشة ومالديهم من أعداد كبيرة من موظفي الادارة والتحرير — وبين ما كان الوضع في أيامنا مكتب الجريدة عبارة عن دكان مساحتها — كما أسلفت — ٣ في ٣ متر والعاملين في الادارة والتحرير هم صاحبها فقط — وكان يعجزها تدير ٧٠ ريالاً رواتب موظفي المطبعة «بينما تصرف المؤسسة اليوم على الجريدة مئآت الألوف شهرياً رواتب للموظفين عن سعة والدولة تساعد الصحف بملايين الريالات.. وتسد كل عجز للمصحف.. فلا مقارنة بين من كان يمشى على الشوك وبين من يمشى الآن على الورود والرياحين..»

وساحاول بعد هذا أن أتحدث عن ذكريات مطبعة المدينة وجريدة المدينة.

تبدأ هذه الذكريات.. بصدر الأمر الملكي الكريم بأعفاء المطبعة ولوازمها من الرسوم الجمركية.. وعندما بلغنى الأمير عبد العزيز بن ابراهيم رحمه الله أمير المدينة في ذلك الحين الأمر بأعفاء المطبعة من الرسوم.. لم يكن لدى في صندوق مطبعة — طيبة الفيحاء — التي كانت تسمى بهذا الاسم في السابق.. لم يكن لدى سوى ٢٠ ريالاً عشرين ريالاً فقط.. وكان قدر لى الشيخ عبد الحليم أبو خضير أحد تجار الأدوات الكتابية والطباعة بمصر قدر قيمة المطبعة ومايلزمها من حروف ومكائن معاونه للقص والتخريم والخرم قدرها بألف جنية مصري.. وكان الجنيه المصري يزيد عن الجنيه الانجليزي الذهب بقرشين ونصف القرش.

ولكن الله تعالى اذا أراد اتمام أمر يسر أسبابه.. لقد أراد بعض الأخوان مشاركتنا في المطبعة والجريدة.. ولكن والدنا رحمه الله وأجزل له الأجر والشواب حذرنا من الشراكة.. وقال (أحذروا حروف — الشوك) الشين للشراكة.. والواو للوكالة.. والكاف للكفالة.. فأنها تسبب المشاكل دائماً.. فعدلنا عن قبول الشراكة.. رغم حاجتنا الماسة للنقود.. وتوكلنا على الله.. وقررنا أنا وأخي السيد على حافظ أن نقوم بالمشروع وحدنا.. وكان لدى

أخى السيد على دكان بقالة كبيرة صفاها وأعطاني قيمتها نقودا ذهبية.. وكان لمطبعة طيبة ديون استطعت أن اتحصل على أكثرها.. وصفيت كل ماكان بالمطبعة والمكتبة من كتب وأدوات كتابية.. وملأت الكمر من هذه النقود وتوكلت على الله.

وكننت في أوائل ربيع الثانية سنة ١٣٥٥هـ عدت الى جدة.. ومعى ١٨ طردا هي المطبعة والحروف والمكاين المعاونة لها لاصدار الجريدة.. وقد نزلت في جدة.. وعادت الباخرة — لتضع حمولتها من مكائن وأدوات في ينبع أقرب الى المدينة من جدة.

وتحصلت على سيارة لوري من الشيخ حمد السليمان وكيل وزارة المالية اذ ذاك وبمساعدة — الشيخ محمد سرور الصبان رحمها الله. ونقلت المطبعة من ينبع الى المدينة في خمس ردود — وسهل الله وركبت المطبعة، وصدرت الجريدة في يوم الاربعاء ٢٦ المحرم عام ١٣٥٦هـ بعد متاعب كثيرة وجهد مضنى...

وذكريات جريدة المدينة أكثر من أن تحصيها مثل هذه العجالة.. ومن أراد المزيد من هذه الذكريات.. فإن الجزء الثاني من تطور الصحافة قد حوى الكثير من هذه الذكريات والغرائب وهو في متناول الجميع.

ولكني سأحدث عن ذكرى واحدة — اذا سمح لى القارئ الكريم — وهذه الذكرى أبطلها موجودون وفيها من الطرافة ومن تاريخ الادب والفكر مايدعو للتحديث عنها.

تلك هي: الحوار الذي دار بين الاديب الاستاذ محمد حسن عواد ومعالى الاستاذ محمد عمر توفيق.. لقد نشر الاستاذ عواد مقالا في العدد العاشر من جريدة المدينة المؤرخ ١ — ٣ — ٥٦هـ تحت عنوان الادب الكاسد — تحدث فيه عن الأمثال العربية ومنها — القدح المعلى — ومارضى أن يكون هذا المثل للرفعة والسمو وقال — فيما أذكر — ان العرب قبل الاسلام كانوا

يسمون خشبة اليسر بهذا الاسم وكان لها النصيب الفائق من لحم الجزور عند الاقتسام بالازلام.. وانها خشبة مات عنها أصحابها ولا يجوز أن تستعمل للرفعة والسمو..

ومما قاله: اننا لاننكر فصاحة الأمثال العربية القديمة ولكن ننكر صلاحية الكثير منها في الادب الحديث.

وناقش الاستاذ توفيق الاستاذ عواد.. فقال: ان مثل هذه الامثال فيه مجاز عن طريق الاستعارة — وهي — أى الدرجة العالية — في الكمال شبت بتلك الخشبة التي فسرت بالقدح المعلى — بجامع أن كلا من الكلمتين يشعر بالعلو والرفعة ثم استعير اسم الخشبة به وهو — القدح — وأطلق على المشبه وهو الدرجة العالية على سبيل الاستعارة الاصلية.

وكان في المقال شيء من الهجوم على الاستاذ عواد.. وخشنا من حلة مماثلة من الاستاذ العواد — على الفتى الشاب — فقابلت الاستاذ توفيق بمنزله ورجوته أن يسحب مقاله.. لأن الاصطدام مع الاستاذ عواد قد لا يأتي بخير.. ولكن الاستاذ توفيق لم يرقه كلامي وأصر على نشر المقال والا نشره في صوت الحجاز أو جريدة أخرى.. واضطررنا الى نشر مقال الاستاذ توفيق في العدد ١١ في ٨ — ٣ — ١٣٥٦هـ.

والى هنا والموضوع طبيعي — والجديد فيه أن الاستاذ محمد عمر توفيق أثار هذا الموضوع بعد ٢٧ عاما من حدوثه — فقد نشر مقالا في جريدة المدينة المنورة في العدد ١١١٧ المؤرخ ٢٣ — ٦ — ١٣٨٢هـ ولأعلم الآن مناسبته.. تحدث عن الموضوع كما لو كان وقع بالامس وذكر في مقاله مقابلتي له ورجائي اياه أن يعدل عن نشر ذلك المقال.. وقال الاستاذ توفيق في مقاله الأخير: وأخذ زائري الكرم يناقشني في هجمتي على الاديب الكبير.. وأخذت أتصور خطورتي بمنتهى الغرور كلما تخيلت نفسي موضع الهمس والنقاش بين الاساتذة الكبار يعنى — هيئة تحرير جريدة المدينة المنورة — وقال: وأذكر الآن أنه خوفني مغبة الدخول مع ذلك الأديب.. في

صراع قد أظير بعده كلياً من سلم الخلود.. فأصررت أنا وقلت للأستاذ عثمان حافظ زائري الكريم فليكن ما يكون وبدأت أشحذ سكاكيني.. ونشر المقال وظلت أعصابي مشدودة.. وسكت الأديب الكبير.. وكان شعوري بالراحة لصمته تخالطه عزة الانتصار.

هذه من الذكريات التي لا تنسى.. وهي تعطي صورة واضحة لما كان عليه الأدب والصحافة قبل أكثر من أربعين عاماً..

ولأأريد المزيد فقد رأيت الموضوع قد طال زيادة عن اللازم ولو أردت الاسترسال في سرد الذكريات لمل القارئ الحديث.. وطبق الجريدة «الصحيفة» وقال في أمان الله.

مجالس الأدباء بالمدينة المنورة

نشأة الأدب بالمدينة:

إذا كان الأدب هو فصاحة اللسان، وقوة البيان، ورصانة الشعر، والقدرة على التعبير عما يختلج في النفس بكلمات سهلة عذبة صافية مقبولة — لا عوج فيها ولا امتاء.. إذا كان الأدب هو أهداف سامية وخلق كريم وخدمة للصالح العام.

إذا كان هذا هو الأدب.. فإن الأدب قد نشأ بالمدينة المنورة منذ الأزل — منذ نشأت الحياة الأولى ولا أستطيع أن أتحدث عن الأدب في السنين الخوالى فهذا محله بطون الكتب والموسوعات الأدبية وسوف أتحدث عن الأدب — في عصرنا الذي عشناه وزاملناه.. أتحدث عما سمعناه كثيرا وكثيرا في مجالس الأدباء وأنديتهم من قبل ومن بعد.

لقد كنا نسمع منذ أن عرفنا الدنيا.. أن سوق الأدب رائجة وأن مجالسه عامرة بالمدينة المنورة عامرة بالأدب والشعر، والقصة الأدبية والنكتة الفكاهية.

وكانت هناك ندوات أدبية يرتادها الأدباء، ويتطارحون فيها الأدب والشعر، والنقد الأدبي والاجتماعي والفكاهي.

وكان المسجد النبوي الشريف.. هو الجامعة الكبرى لتخريج العلماء والأدباء منذ أبعد الأزمان حتى اليوم — منذ اليوم الذي كان ينصب فيه المنبر الأدبي لشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم — حسان بن ثابت الذي نافح عن رسول الله : ولم يكن في مبدأ حياتنا التعليمية والأبوية مدارس أو

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/٣/٢٤ هـ

معاهد للتعليم بل كانت هناك (كتاتيب) لفك الحرف وحفظ كتاب الله تعالى وكانت مدارس ابتدائية — وليست أكثر من مدارس تحضيرية أو ابتدائية وكانت هناك دعاية سيئة ضد المدارس — سيما في العهد العثماني — وهى أن الدولة العثمانية سوف تأخذ أبناء المدارس عسكريا لذلك كان الأقبال على المدارس ضعيفا جدا.. فالطالب ينتقل من الكتاب بعد حفظ المصحف الشريف الى المسجد النبوي الشريف لاكمال دراسته وتعليمه.. وكان الانسان اذا ما أقبل على المسجد النبوي بعد الصلوات أو قبلها أحيانا يجد حلقات الدروس غاصة بالطلاب من مختلف الطبقات وفي مختلف العلوم والفنون العلمية والأدبية.

والرعييل الأول من العلماء والأدباء مدينون بالفضل للمسجد النبوي الشريف فكلهم أبناء مدرسته وكلهم طلبة أروقتة.

محالس الأدب بالمدينة:

كانت الأجماعات المسائية بالمدينة في الأندية الأدبية ومنازل الأدباء تحفل بدراسة الأدب والشعر والبلاغة.. وقليل جدا من هذه المحالس التي يضيع فيها الوقت — في لعب الورق أو الشطرنج أو (الكنجفة) التي كانت لعبة ذلك العصر المفضلة.

ومن هذه الأندية والمحالس الأدبية ندوة — الشيخ عبد الجليل برادة رحمه الله — وكان من شيوخ الأدب والعلم بالمدينة — ومن شعرائها المجيدين.. وكانت تعقد ندوته في بستانه (الاباريه) والاباريه في موضع فندق التيسير الآن.. وكانت ندوة السيد أنور عشق وكان من الشعراء والأدباء البارزين.. وكانت تعقد ندوته.. في بستانه بباب الشامي — في شمال ثنية الوداع في سفح جبل سلع — وقد سماها (العشقية) وقد أدرناها قبل أن تتحول أرضها الى منازل.. فكانت جنة خضراء وقد قال فيها صاحبها السيد أنور عشق البيتين التاليين:—

وروضة مارضيت عنها بملك كسرى ولا بقصر
وكيف وهي المنى و (عشقى) بها وزهر الربيع (أنور)^(١)

وفي هاتين البيتين تورية — فأسم أكبر أبنائه عشقى وأسمه هو أنور.

وكان بالمدينة عدد من الأندية يجتمع فيها أدباء المدينة وفضلاؤها وعلمائها والعديد من شيوخ المدينة وأدبائها للمطارحات الأدبية والشعرية، ومن هذه المنازل — منزل الشيخ عبد القادر البرى، ومنازل السيد احمد الصافى، والسيد عبد القادر هاشم، والسيد عبد الجليل مدني وأخوانه السادة: عبد العزيز وزين العابدين، والشيخ محمد زاهد والشيخ ابراهيم اسكوبى والشيخ يحيى دفتر دار، والشيخ محمد داغستاني وغيرهم ممن لست أذكرهم الآن.

كل هذه المنازل كانت مقصدا للأدباء والشعراء يتطارحون فيها الأدب شعرا ونثرا، وقصصا ومعظمهم كانوا يتخذون كتابا من كتب الأدب القديمة أو الحديثة يدرسونه ويتناقشون فيه.. وكثيرا ما كانت تطرح الأبيات الشعرية لتشطيرها في المجلس، وكانت طريقة التشطير، والتخميس، والتشجير تطيف بأفكار الشعراء والأدباء آن ذاك.. ويكاد يكون شعار ذلك العصر التشطير والتخميس والتشجير ومن القطع الشعرية التي شطرها عدد كبير من الشعراء وفي فترات متلاحقة معروفة — حتى قالوا أن أكثر من سبعين شاعرا شطرها — الأبيات التالية :

من لى بظي أهيف ختم الجمال به وتَم
في فيه ماء حياتنا والموت في جفنيه وتَم
ان قلت صلتى قال لى من رام وصلى مات غَم

(١) عشقى هو الابن الاكبر للسيد انور عشقى رحمه الله.

وقد أخبرني السيد عبید مدني رحمه الله — أن لديه أكثر من سبعين
تشطيرا لهذه الأبيات وأيضا فأن البيتين التاليين شطرا من عشرات من
الأدباء:

ظبي حاوى قد سباني وجهه الباهي الأنيس
ثغره كنز اللالىء ريقه (انقر منيس)

وأذكر مرة أننا حضرنا أنا وأخى السيد على حافظ إحدى هذه الندوات
الأدبية مع خالنا الشاعر محمد صادق — رحمه الله — وكان يقول الشعر
ويتذوق الأدب — وقد كنا أطفالا صغارا.. ولكن الأشياء النادرة — دائما
ترسخ في أذهان الصغار ولا تنسى — فتكون كالنقش على الحجر — وقد أثار
ذكرى هذا المجلس وريقات بالية — فيها تشطير الأبيات الغريبة الآتية
وقافيتها (اسم صوتي) ولعل احتفاظي بها كل هذه المدة كان لغرابتها: وندرة
قافيتها حيث لا ينطبق، دخل المجلس أحد السادة الأدباء وأنشد وهو واقف
قبل أن يجلس وقال:

مررت بعطار يدق قرنفلا ومسكا وكافورا فقلت له (علامة الشم)
فقال لى العطار رد قرنظلي ومسكى وكافورى فقلت له (علامة رد الشم)
ثم قال عندى ثلاثة أبيات من يشطرها له عندى (يوم سلطاني) واليوم
السلطاني هو (قيله) في أحد البساتين بذبيحة — وأنشد الأبيات:

ولقد قلت للمليحة يوما وهي بالطاق يامليحة (إشارة طلب القبله)
فاجابت بحالة الضحك قالت أيها العاشق التيم (إشارة الرفض)
مذ سمعت الجواب قلت لجحشى قد ينسنا من المليحة (إشارة سوق الدابة)

وقد تنحى أحد الأدباء جانبا.. وبعد فترة شطر الأبيات الثلاثة وقال
لمن جاء بها في المجلس لقد شطرت الأبيات — ولكن لا يمكن أن أقوها الا

بشرط — أن تجلس أمامي ثانيا ركبتيك وألزموه أن يجلس ثانيا ركبتيه أمامه
ليسمعوا التشطير — وبعد أن جلس أمامه جلسة الطالب أمام أستاذه ذكر
التشطير وهو:

ولقد قلت للمليحة يوما عند رشف اللمي المعسل (إشارة المص)
ثم لما مررت قلت مشيرا بسرور بعد المحبة (إشارة طلب القبلة)
وأشارت بمعصم وبنان أيها العاشق المتيم (إشارة الرفض)
منذ سمعت الجواب قلت لجحشى وهوبين الحمير ينق (إشارة لصوت الحمار)
ليس يجدى البقاء والمكث هيا قد ينسنا من المليحة (إشارة سوق الدابة)
وفي اليوم الثاني كان اليوم السلطاني في إحدى البساتين بالمدينة المنورة
— الذى كلفه أكثر من ريال مجيدي كما سمعنا.

هكذا كانت مجالس الأدباء والأدب بالمدينة المنورة كلها أدب وشعر
وفكاهة ومرح وطرب. وكان لأدباء المدينة قطع شعرية ونثرية رائعة —
وتوجد عدة دواوين شعرية لبعض الأدباء ومعظمها غير مطبوعة.

ومن هذه الدواوين الشعرية ديوان السيد محمد البقي، وديوان الشيخ
ابراهيم اسكوي، وديوان الشيخ عبد الجليل براده، وديوان السيد أنور عشق،
وديوان الشيخ رفاقت على، وديوان الشيخ عمر برى، وديوان السيد عبيد
مدني، وديوان الشيخ محمد سعيد دقتر دار، وديوان الشيخ سعد الدين عبد
الجليل براده، وديوان السيد علي حافظ، وهو تحت الطبع، وديوان الشيخ
هاشم رشيد، وقد طبع هذه الديوان حديثا، وهو شاب نابغ وديوانه يعطى
صورة واضحة عن شعراء المدينة المنورة وقد تكون هناك دواوين أخرى أيضا
في مكتباتهم لم يصل إليها علمنا.. وأمامي العديد من القصائد الشعرية
المطولة — وغير المطولة لايتسع المجال لذكرها في هذه العجالة القصيرة.

وسوف أذكر هنا بعض الملح الشعرية والطرف الفكاهية كنموذج لأدب تلك الفترة في القسم الثاني من هذه الدراسة أن شاء الله.

القسم الثاني:

تشطير للشيخ عبد الجليل براده والأصل له أيضا:

ناولت ذات البها المرأة أوهمها بأنها سرقت منها معانيها
لكي تكف عن الأعجاب أن علمت بأن فيها لها شكل يحاكيها
فعندما نظرت فيها محاسنها تحققت أنها عين الذي فيها
فكسرتها كتكسير الجفون وما جارت وطالت على عشاقها تها

وهناك بيتان رقيقان لأعرف قائلهما وأظنها لأحد الأدباء بالمدينة لأني
سمعتها في إحدى ندواتهم.. وهي تدل على مبلغ الخيال الخصب الذي يخلق
فيه الشعراء في أجوائهم الحاملة..

هيفاء لو خطرت في جفن ذى رمد لما أحسب لها من وطئها الما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها رقصا على الماء ما ابتلت لها قدما

ويذكرنا هذا الخيال المجنح بخيال المتنبي حين قال:

كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتى اياك لم ترن
ومن قصيدة له يمدح بها سيف الدولة قوله:

واخفت أهل الأرض حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق
ولعل من قال أن أعذب الشعر أكذبه يقصد أمثال هذه الأبيات الخيالية
ولا يقصد الكذب بمعنى الافتراء.

ومن قصيدة للسيد على المعصومي:

لمعت ليلا فقالوا ذهب	وصفت لونا فقالوا لهب
واذا ما ادفقت من دنها	في الدجى قالوا طراز مذهب
قهوة رقت فلولاً كاسها	لم يشاهد جرسها من يشرب
وتراها في يد الساقى بها	كوكبا تسعى بها لى كوكب
البستها الكاس ثوبا مذهباً	وجناها بالآلى الحجب
عجبوا من نورها اذا اشرقت	وشذاها من سناها أعجب
بننت كرم كرمتم أوصافها	اى بنت قام عنها العنب
ومن أبيات للسيد يحيى هاشم المدني:	
الشعر في غابر الأزمان قيمته	والآن لا يشتري والله بالمدر
ان كنت تمدح لم تعط جوائزه	أو كنت تهجو فن تهجو من البشر
فأجعل مديحك في راح وساقية	واقضى الزمان على الروضات والزهر

ومن أبيات للسيدة سلمى بنت القراطيش:

عيون مهى الصرم فداء عني	واجياد الظباء فداء جيدي
ازين بالعقود وان نحري	لازين للعقود من النعقود
ولا اشكو من الأوصاب ثقلاً	وتشكو قامتي نهب النهود
وللسيدة حفصة الركونية:	

ازورك أم تزور فأن قلبي	الى ماتشتهي ابدا يميل
------------------------	-----------------------

فشغرى مورد عذب ذلال وفرع ذؤابتى ظل ظليل
وقد املت ان تظمى وتضحى اذا ماغاب عنك بي المقيـل
فعجلوا بالجواب فما جميل اباؤك عن بثينة ياجـيل
وللسيد أنور عشقى:

امدام لو ابصرت مايعتادني عند الهجوع وليس غير هواك
ارق يلملني كأن بمضجعي جماً يؤججه اشتياق لقاك
لرحمتنى ان كنت ذات ترحم ولتـحزـنـين وربـما ابـكـاك
عيشى منعمة وان كنت التي نغصت عيشى فيما نعى يـهـناك

ومن قصيدة لشاعر المدينة الشيخ ابراهيم اسكوبي ينه فيها الحكومة
العثمانية الى ماتبيته لها اوربا من غدر وقد نشرتها جريدة القبس السورية
اذ ذاك.. واحداثت دويا كبيراً في الأوساط العثمانية وطلب الشاعر
للاستانة من المدينة وحوكم عليها — ولكنه استطاع اقناع السلطات العثمانية
بحسن نيته واخلاصه في النصيح وقد عرض عليه بعد المحاكمة وظيفة كبيرة في
وزارة المعارف ولكنه لم يوافق عليها وطلب عودته الى المدينة وهذه هي
القصيدة:

يا آل عثمان فالغرور من غرا بناهل اوربة أو عهدهم طرا
اتأمنون لموتورين ديدنهم ان لا يروا منكم فوق الثرى حرا
تمالؤا فخذوا حذرا فأنهم يرون ابقاءكم بين الورى ضرا
فهذه دولة الطليان حين رأـت اسطولكم ليس يغنى فاجأت غدرا
وشقت البحر بالاسطول معجة تختال تـيـها به مغرورة سـكـرا

وانزلت بطرابلس عساكرها فهل اربه كفت عنكم الشرا
فما على من رأى لحما على وضم يجتره غيره لو ما اذا اجترا
دون الدنية ايثار المنية في قوم من البغض ودوا محوكم مكر
لا تحسبوا انهم ناسون ما فعلت اسلافكم بهم في سالف مرا
والله انزل طه رحمة وهدى للكل فانفتقت انواره نشرا
فقامت العرب قبل الناس اجمعهم دينا ودنيا وشدوا عزمهم ازرا
نجد جدكم جهدا بما شرعت شرائع الدين حتى وطدوا الامرا
واهل اروبة في الغرب اجمعه في ظلمة الجهل تستاقونهم اسرا
فتحوا بكتاب الله ارضهم فأصبحت بكم من رجسهم طهرا

والقصيدة طويلة تقع في حوالى ثمانين بيتا وكلها على هذا النمط من
ايفاظ العرب — والمسلمين لما يدبره الغرب لهم من مكر وخداع — والشيخ
ابراهيم اسكوئى — كان يقول الشعر النبطى ومن شعره النبطى — قوله:

يا الله اسألك يا حي يا معبود يا من تجيب العبد اذا جاك سائل
تجعل عزيزي النصر مقرون بسعود والحظ خادم للعطايا وحامل
وسعود لولاك منك بالله مسعود مانجا من كل عدو مماطل

وقال الشيخ عبد القادر طاهر في — الشيشه —:

هذه شيشة انس تمت كل نظامى
قد حوت من كل فن وهما زاد غرامى
حظيت من ثغر ظي ريقه يشفى سقامى

وللشيخ عمر برى:

ومليحة كلف الفؤاد بجهها تغزو القلوب بذابل ومهند
لما اصابتنى بنار صدودها ناديتها لم لا بوصلك تسعد
قالت ازورك في غد فأجبتها والدمع مثل اللؤلؤ المتبدد
ياربة الحسن البديع الا اسرعى هيات ان ارجو الحياة الى الغد

ومن تخميس للشيخ عمر داغستاني:

قل للتي فتكت أسنة هُدهبه في قلب عاشقه ومهجة صبه
كم ذا تروع آمنا في سربه «يا محرقا بالنار خد محبه
مهلا فان مدافعي تطفيه» فيمن حباك سهام لحظ جارح
لا توقدن النار بين جوانحي فاذا ابيت وكنت غير مساعي
«احرق بها جسدى وكل جوانحي فاذا ابيت وكنت غير مساعي
«احرق بها جسدى وكل جوارحي

وهذا تشطير للخال الشيخ محمد صادق:

«نبارز ابطال الوغى فنبيدهم» بصارم هندی مغل الكتائب
ونقرع هام الحرب في حومة الوغى «ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب»
«وليست سهام الحرب تغني نفوسنا» ونوردها حوص المنايا بشاحب
ولو بارزوا نابا لظي لاتقيها «ولكن سهام فوقت في الحواجب»

ومن ابيات للشيخ عمر برى:

وبيضاء كالبلور شف أيُّها يكاد يرى مافي حشاها من السر
تقول وقد جاءت عشاء تزورني وقد برزت كالبدر من فلك الزهر
أبصرت عينا في جمالي يشينه وهل عاينت عيناك حسنا له وفري؟
فقلت معاذ الله انت جمعت ما تفرق في الدنيا من الحسن والبشر
ولكن أرى ما بين جانبك شاهدا يخبرني ان قد طبعت على الغدر

والمجموعة التي أمامي لشعراء أهل المدينة في تلك الحقبة من الزمن كبيرة جدا - في مختلف فنون الشعر.. المديح والغزل والهجاء، والرثاء، والملح الأدبية - ومن بين هؤلاء الشعراء السيد محمد البيتي، والشيخ ابراهيم اسكوي، الشيخ عبد الجليل براده، الشيخ انور عشق، الشيخ سعد الدين عبد الجليل براده، السيد على المعصومي، السيد حسن هاشم، السيد عبد القادر برى، الشيخ ابراهيم برى، الشيخ عمر برى، الشيخ يحيى دفتر دار - الشيخ عمر داغستاني، الشيخ عابد سندی، الشيخ محمد امين زلى، الشيخ يحيى الجامي، السيد حسين الشدقي، السيد زين العابدين جمل الليل، الشيخ محمد صادق الجزائري، الشيخ عثمان داغستاني، السيد على برزنجي، الشيخ عبد الحفيظ سندی، السيد ابو القاسم البرزنجي، السيد جعفر البرزنجي، السيد عبد الله اسعد، السيد شاهين الحسيني الشدقي، السيد عبيد مدني، الشيخ عبد القدوس الانصارى، السيد على حافظ، الشيخ هاشم رشيد، الشيخ احمد سفر، السيدة سلمى القراطيش، السيدة حفصة الركوبية، السيد محمد الجفري، الشيخ محمد سعيد سفر.

ولااستطيع حصر ماهو مدون ومعروف من الشعراء ونكتفي بمن تحدثنا عنهم.

وهذا الأدب المدني كان مسجونا في المكتبات وفي صدور الرجال ولم يصدر الى المناطق الاخرى لأن وسائل التصدير كانت معدومة فالمطبعة لم

ترها هذه البلاد الا في أوائل القرن الرابع عشر وبقيت هذه المطبعة مقتصرة على أعمال الدولة أكثر من ربع قرن والصحف لم يبدأ صدورها الا في عام ١٣٢٦هـ - وكانت صحف بدائية في تحريرها واخراجها وافكارها واصدرتها الدولة العثمانية لأغراض سياسة وأدباء المدينة لم يشتركوا في تحريرها.. والبريد لم يكن منظما بين المدينة وأطراف العالم فقد كان مجيئه وسفره كل اسبوعين مرة.. لذلك فأن الأدب بالمدينة يكاد يكون معزولا عن العالم ولم يتجاوز محيط المدينة في تلك الفترة.

وانتقل بالحديث الى الفترة الثانية - عصر الشباب الذي اندمجنا فيه وعاصرناه وشاركنا في نمو الأدب وتسجيل بعض اثاره.. والصحف التي صدرت في منتصف الخمسينات هي التي ابرزت الأدب وحفزت من كانت له ميول أدبية بمزاولة ميوله.

وقبل الحديث عن الصحف أتحدث عن الارهاصات التي سبقت صدور الصحف.

وأول هذه الارهاصات التي سبقت صدور الصحف الأدبية - الأندية - التي كانت تعقد بصورة منظمة اسبوعيا ويحضرها الكثير من الأدباء والضيوف وزوار المدينة المنورة من رجالات السياسة والأدب وتلقى فيها المحاضرات الأدبية والاجتماعية والنقدية والاقتصادية وسواها. أجل لقد كان بالمدينة المنورة في أوائل الخمسينات ندوتان أدبيتان.

أحدهما: كان اعضاؤها السادة: الشيخ عبد القدوس الانصارى - السيد احمد الخيارى والاستاذ رضا حوحو وغيرهم من الاخوان وتسمى هذه الندوة «نادي الحفل الأدبي».

والثانية اعضاؤها - السادة - عبد الحق النقشبندى، والاستاذ محمد عمر توفيق والسيد علي حافظ والسيد عثمان حافظ والاستاذ عبد الحميد عنبر والسيد ماجد عشقي وتسمى هذه الندوة «نادي جماعة المحاضرات» ويحضرها الكثير من الأدباء واساتذة المدارس - وكانت هاتان الندوتان

تعتقدان اسبوعياً.. وتعتقد ندوة «نادي الحفل الأدبي» في مساء يوم الجمعة من كل اسبوع ويعقد «نادي جماعة المحاضرات» يوم الثلاثاء من كل اسبوع.

وكانت تعقد هاتان الندوتان بمنازل الأعضاء واخيراً كانت تعقد ندوة نادي جماعة المحاضرات في المدرسة الناصرية — وعندما ظهرت الصحف أصبحت تنوه دائماً بعقد هذه الندوات وتنشر تفاصيل مايدور فيها من محاضرات ومذكرات وتنشر بعض المحاضرات.

ومما نشرته جريدة المدينة المنورة في العدد ٣ المؤرخ ١١ صفر ١٣٥٦هـ تحت عنوان «جماعة المحاضرات والحفل الأدبي» ان مبادئ جماعة المحاضرات ترمى الى ايقاظ الروح الديني العام وتنمي المواهب العلمية وفي طليعة أغراضها الأساسية بث الدعاية الواسعة للحج وازهار معالم النهضة العمرانية في المملكة السعودية القابض على زمامها العاهل الكبير «جلالة الملك عبد العزيز الأول» وبجانب هذه الحركة المبرورة «نادي الحفل الأدبي» وفي كليهما تلقى اسبوعياً المحاضرات العلمية والأخلاقية والأدبية ومما هو جدير بالاعجاب أن أتذكر المحاضرة التي ألقاها في نادي جماعة المحاضرات ليلة الثلاثاء الموافق ١٣٥٦/٢/٢هـ — الاستاذ عمر على عبد الله خريج الجامعة المصرية وجامعة برستول بالانجلترا والمدرس بمدرسة النجاح — وموضوعها «نحو الاسرة والمدرسة».

ولايتسع الموضوع للطالعة.. وقد كانت جريدة المدينة ومجلة المنهل تهتمان بما يلقى في هذه الأندية من محاضرات ومناقشات والتنويه عن هذه النوادي الأدبية وكثيراً ما كانت تنشر نص المحاضرات.

وأذكر ان ممن حضر نادي جماعة المحاضرات في عام ١٣٥٧هـ — معالي السيد شكرى القوتلى — وكان وزير المالية بالجمهورية السورية والسيد امين الحسيني وكان الزعيم الأول في القضية الفلسطينية وقدلقى كل واحد منها محاضرة في النادي وكانت محاضرة السيد شكرى القوتلى عن الحج واحكامه

دعا فيها لتوعية الحجاج من بلادهم على أحكام الحج وفوائده ومنافعه الدينية والأجتماعية وقال ان معظم الحجاج القادمين من الخارج لا يعرفون ماهي مناسك الحج ولا ما هي فوائده واسراره بل ربما لا يعرف بعضهم لماذا هم قادمون وماذا هم يعنون.

والقى السيد امين الحسيني محاضرة عن فلسطين وعدوان اليهود الغاشم عليها - وفند افتراءاتهم على فلسطين واهل فلسطين وقد نشرت جريدة المدينة هذين الخطابين.. ولي كلمة أخرى عن الصحف ودورها في ابراز أدب المدينة وأدباء المدينة في ذلك التاريخ.

لقد صدرت أول مجلة أدبية بالمدينة المنورة وكان صدورها في شهر القعدة ١٣٥٥هـ - وهي مجلة «المنهل» أصدرها الأستاذ عبد القدوس الانصارى وصدرت جريدة المدينة المنورة بعد صدورها بشهرين في ٢٦ المحرم ١٣٥٦هـ - وقد وجد أدباء المدينة ميدانا فسيحا لنشر أثارهم الأدبية والعلمية والتاريخية في هذه الصحف وظهر العديد من الأدباء والشعراء بالمدينة المنورة ومن هؤلاء الأدباء الذين ظهرت اسمائهم وكانوا يزاولون الكتابة في صحيفة المدينة المنورة السادة الأساتذة - السيد امين مدني - الاستاذ ضياء الدين رجب - الاستاذ محمد زيدان - السيد على حافظ - الاستاذ محمد عمر توفيق - الاستاذ عبد السلام الساسي - الشيخ محمود شويل - السيد احمد العربي - الشيخ عبد الحق النقشبندي - الاستاذ عبد الحميد عنبر - الاستاذ عزيز ضياء - الاستاذ عمر علي عبدالله والاستاذ محمد سعيد دقتر دار.. وغيرهم..

جل من لا ينسى

تحدثت في كلمة سابقة عن نشأة الأدب بالمدينة المنورة كطلب الصديق الأديب الأستاذ عبد السلام الساسي وعن الرعيل الأول من كبار أدباء المدينة المنورة وشعرائهم، وكتابهم، ونواديهم الأدبية، ونواديهم الفكاهية، وتحدثت عن أدباء سمعنا عنهم وقرأنا لهم.. وعن مجالس أدبية سعدنا بحضورها مع فارق في السن والمدارك.

وكنّا في تلك الفترة لانعرف شيئاً اسمه الأدب ولكننا كنا نظرب لسماع الشعر الرقيق، والنكتة الرائعة، والفكاهة الصاعدة.. كنا أطفالاً.. ولكن الأطفال — دائماً — ينطبع في نفوسهم ويثبت في ذاكرتهم — ما يستحوذ على مشاعرهم، ويمتلك اعجابهم.. وأن ماتحفزه الأحداث في ذاكرة الأطفال — يثبت مع الأيام فلا يمحوه مرور الحداث ولا تعاقب الجديدين.

وبعد نشر تلك الكلمة عتب على أحد الأصدقاء «محمد عمر كردي» وقال بتواضعه ورقته المعروفة.. قال — لقد قرأت كلمتكم عن أدباء المدينة .. ابنكم «عمر» يقصد أبنة الأكبر.. يقول أنك نسيت أستاذك لم تذكره مع من ذكرت من الشعراء والأدباء الأول ذكرت زملاءه — الشيخ عبد الجليل براده، والشيخ ابراهيم اسكوي، والسيد محمد البيتي، وغيرهم من الشعراء — ونسيت الشيخ عمر كردي.. وهو ليس أقل منهم شأنًا في الشعر والأدب وضربت كفا على كف.. وقلت له — نعم والله نسيتك وقال — كيف تنساه وقد كنا وإياكم جيرانا — وكنا نتزاور — دائماً — وقلت له اذا كنت نسيت ذكر فضيلة أستاذنا وشيخنا الشيخ «عمر كردي الكوراني» فلست أول من نسي.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/٥/٨ هـ

وماسمى الانسان الا نسيه ولا القلب الا انه يتقلب

واذا كان النسيان يجوز على الأنبياء والرسل — فأى غرابة أن أنسى أنا.. أن سيدنا موسى عليه السلام — نسى حوته فأخذ سبيله في البحر سرباً — «وجل من لاينسى».

وقصص النسيان لا تكاد تنتهي — فنه من كان ينسى اسمه يكتب الكلمة وينسجم معها فإذا اراد توقيعها وقف القلم يستوحي اسمه من الذاكرة أو من ابنه ليذكره بأسمه وهذه وأن كنت أعتبرها أسطورة — الا أنها ذكرت في ترجمة بعض رجال الفكر الفرنسيين والأستاذ الصديق ضياء الدين رجب رحمه الله كان مشهورا بالنسيان ومن حوادث نسيانه التي لا تنسى ما أخبرنا به شخصيا عن حادثتين اثنتين من حوادث النسيان.

أحدهما: أن جلالة الملك المغفور له الملك عبد العزيز زار حائلا وكان الأستاذ الضياء قاضيا في العلا وجاء ليسلم على جلالته ويستأذنه في العودة الى المدينة المنورة — وأذن المؤذن لصلاة المغرب والتفت الملك عبد العزيز — رحمه الله — يبحث عن الإمام — وقد «سماه» فوجد الأستاذ ضياء أمامه فشده من كتفيه وقدمه للإمامه ويقول الأستاذ أنها كانت مفاجأة لي مربكة.. لم أكن أتوقعها ولما وقفت للصلاة بالناس بحثت عن سورة الفاتحة في الذاكرة فلم أجدها وقلبت صفحات الذاكرة يميناً وشمالاً فلم أجد سورة الفاتحة وأخيراً قرأت سورة «قل هو الله أحد..» بصوت منخفض وفي الركعة الثانية تذكرتها وقرأتها وحمدت الله تعالى ان لم يعلق أحد من — المصلين — على عدم قراءتي لها في الركعة الأولى.

والمرة الثانية .. الذي يقول الأستاذ أنه نسى نسيانا مخجلاً أن الأستاذ محمد بصراوي — رحمه الله — قدم الى مكة من الطائف في رحلة عمل وكان مديراً لأوقاف الطائف وكان الأستاذ ضياء نائباً لمدير عام الأوقاف الشيخ عبد الرؤف الصبان ولما انتهى عمله وأراد الخروج ألزمه بالغداء عنده — وذهبا سويا الى المنزل ورجاه البقاء في الديوان ريثما يصعد الى الدور

العلوى ليصلى الظهر وينزل اليه ويقول الأستاذ أنني كنت أشعر بشيء من التعب وبعد الوضوء وصلاة الظهر أخذتني سنة من النوم متكئا على وسادة وأنا في مكاني وفقت من نومي على صوت «أم حزة» تقول أنفضل الغداء جاهز ونسيت أن أخبرها أن ضيفنا ينتظرني في الديوان وتناولت طعام الغداء والشاي ثم آذن العصر وأدبت صلاة العصر — وأثناء خروجي وأنا في السلم سمعت الشيخ محمد بصراوي يناديني بصوت عال وقلت لأُم حزة جهزي الطعام للضيف ونزلت به ليكون شفيعى في النسيان ولكن الشيخ البصراوي رفض رفضا باتا تناول الطعام بعد أن علم أنني قد تغديت وحاولت أن أقنعه بنسياني ولكنه كان في منتهى الزعل ومارضى بتناول الطعام الا بعد جهد ورجاءات وقبل على الرأس.

صحيح أنه نسيان مخجل ولكن ماذا يصنع المرء مع واقعه وقد شرع الله تعالى سجود السهو في الصلاة بمعنى أن النسيان وارد في الصلاة وارد في أعظم شعيرة من شعائر الدين الحنيف — وهو في غير أكثر ورودا.

أما الشيخ «عمر كردي الكوراني» فقد كان فحلا من فحول الشعر والأدب وكان من بيت علم، وفضل، وكرم.. وقد تولى قضاء المدينة المنورة عدة سنوات وأخوه الشيخ عبد الحفيظ كردي كان من علماء المدينة وشعرائها وكان نائبا لقاضى المدينة المنورة وقد حيا جريدة المدينة المنورة حين صدورها بقطعة شعرية رائعة نشرت — فيما أظن — في العدد الثاني من الجريدة الصادر في ٢ صفر سنة ١٣٥٦ هـ ومنها:

نخبة الأداب فينا أوجدت	طلعة في النفس تزهو وتميس
أحييت الأفكار في وادى الحمى	وأفاضت جهدها الغالى النفيس
وأفاضت بحجاز موردا	صافي الجرى سليما للنفوس
هي ذي «طيبة» في ترصيفها	عمدة الأقوال بالمعنى الرئيس

هي ذي «طيبة» في أبنائها
طافت الأفاق تجلو غيها
زودوها بالعالى أنها
مظهر الاسلام فيها أبدا
عظموها واطنبوا في فضلها
هي ذي «طيبة» من كايدها
مهبط الوحي اذا ما قدرت
ياسرة القوم ياعز الألى
روضوا الأخلاق علما وتقى
وأروننا فكرة وضاءة
وقين ببربوع أخلدت
فاذكروها روضة محبوبة
واقدروها صفحة الشعب الذي
واحذروا الدنيا فتلكم طالما
سألت ابنه الصديق محمد كردي عنه فقال أنه كان عند عمي عبد
الحفيظ وقد فقدناه بعد وفاته.. واذا كان بالشىء يذكر.

فأنني اذكر أن فضيلته روى هذا البيت من الشعر
ولست بنحوى بلوك لسانه ولكن سليقى أقول فأغرب
وسألت فضيلته عن معنى البيت فطفق يشرح لى معنى البيت بتوسع —

يشرح الألفاظ ويشرح المعاني وقد كان هو في واد وانا في واد آخر ولكني
كنت أهز رأسي وكأني واعى بكل شيء ثم التفت الي وقال فهمت فقلت
نعم نعم وانا اردد في نفسي قول الشاعر

تأمل في الكتاب وهز رأسا وفتل شاربيه وقال هاها
وظن بأنه يدري علوما لعمرك ليس يدري ماضحاها

رحمك الله ياأبا محمد وبارك في ابنك محمد واخوته وانجالهم وابنه الشيخ
محمد كردى بقول الشعر لكنه مقل وكان في الأيام الغابرة يسمعون الكثير من
شعره ومتاعب الدنيا لم تعطه الفرصة للتوسع في الشعر ويقول أنه تركه الآن
أما أبنه عمر محمد كردي فقد نشرت له صحفنا عدة قصائد شعرية ولديه
ديوان ربما يظهر قريباً.

ومنزل آل الكردى كان قريب من منزلنا بالمناخة لايفصلها عن بعض
الاماكن القم قم جى وآل والداغستاني وكتاب الشيخ حامد وكنا نزورهم
دائماً وللشيخ مجلس رسمي يستقبل فيه الضيوف بين المغرب والعشاء وكنا
نحضر هذا المجلس أحيانا أنا وأخي السيد على حافظ وكان يؤم مجلسه عالية
القوم وكرام الناس وكنا نستمتع بحديثهم ومناقشاتهم ولكننا ماكننا نشترك
معهم لفارق السن والعلم والأدراك.

ذكريات حبيبة ذكريات الطفولة راحت وخلفت وراءها الحنين إليها
والشوق لها والتلذذ بروايتها والتحدث عنها.. وأخوه الثاني السيد يس كردي
وكان مدير للمدرسة العلوية التي كان مقرها «بالربع» بجوار باب السلام
ومازلت أذكر وكأني أرى الآن اللوحة التي كانت مثبتة على «روشن»
المدرسة من جهة باب السلام ومكتوب بها «أنا مدينة العلم وعلى بابها»
وكانت هذه المدرسة مسماه باسم الامير على بن الحسين وكان ذلك في آخر
الثلاثينات.

وكان الشيخ عمر كردى جهورى الصوت وله قدرة نادرة على الخطابة
ورواية الشعر فاذا قام والقى قصيدته أرغم الناس على الأصغاء اليه
والأعجاب به.
وله ديوان شعرى خطى..

علاقة الصحافة بالأدباء قبل ١٢ عاما

منذ اثني عشر عاما كيف كانت علاقة الصحافة السعودية بأدبائها وكتابها.. ماهي صيغة التعامل، وكيفية الاستكتابات.. كيف كانت الصحف تكافئ كتابها.. هذه الاسئلة نشأت في ذهني وأنا اتصفح العدد رقم ١٠٦١ من جريدة المدينة الصادر بتاريخ ٤ ذى الحجة ١٣٨١هـ.. وأقرأ في إحدى صفحات العدد رسالتين متبادلتين بين رئيس التحرير والاستاذ ضياء الدين رجب الذي مايزال يكتب بروح شابة وفي نفس غزارة علمه وأدبه.

الرسالة الأولى بعنوان — حديث في رسالة — وقد استغرقت كل رسالة حوالى الثلاثة أعمدة من الجريدة ويبدو من مفهوم رسالة الاستاذ ضياء أن المدينة لم تكن تكافئ كتابها قبل ذلك التاريخ.. ويعتبر الاستاذ ضياء أول كاتب يطالب جريدة المدينة بمكافأة على انتاجه.. وفي هذه الرسالة الكثير من الطرافة والأدب والفكه الرصين.. بأسلوب الأستاذ ضياء المعروف يقول الأستاذ ضياء بعد ديباجة طويلة يثنى فيها على جهود جريدة المدينة والقائمين عليها:

وكما أبدأ بهذه الرسالة الاعتذار فأتما أسجل معنى الاعتبار بحق الاستمرار بعون الله وها أنا قد اخترت للكتابة عنوانا هو «حديث في رسالة» وهذه الرسالة أول الاحاديث فاعنى على نفسك ببذل أقصى العناية بهذا الاثر الكبير والتحليق به وسط هذا الجو السامق الذى لايعيس فيه الا المحلق وصل الجهاد والقوم بجهاد جديد مركز عظيم البذل في كل شؤونه في الطباعة فى

نشرت في جريدة المدينة المنورة في ٢٣/٥/١٣٩٣هـ

المادة في المعنى.. انك لو بذلت حتى بأسلوب التاجر فانك ناجح راجح
القافلة لاحتتمل البطء والركب لا يطيق التخلف والاقلام الكبيرة بضاعتك
والاقلام الشيقة معارضك.

وهذه الاقلام اليوم كما تعلم تتلمس فضل الله من نفثاتها «نتقرش» وبها
نكتسب لحبز العيال من هذا الرزق الحلال وانت تعلم أن قريشا ماسميت
قريشا الا لانها «نتقرش» أى تريد القرش فالحرف والكلمة علما وتعلما من
أصول الرزق وأبوابه لانها كتعليم كتاب الله وخير ما أخذتم عليه أجرا تعليم
كتاب الله والاقلام اليوم لم تعد ترفا ولا خرفا وانها اصبحت شرفا لاحتتمل
قرقا ولا تطلب شرفا فقرشونا نقرشكم ونهاودكم فى السعر ونتقبله نقدا أو غير
نقد من محصول البلد تمرا.. قححا رطبا.. عنباً. «مكانس» «قفقا»..
«مراوح».. «شرابا» وكل بحسابه وبلا فضل ولا ربا.. اننا — وانت
أدرى، وانت سيد العارفين — بعد جهد جهيد مع الزمن ومعارك النضال
والمعرفة والمحن اصبحت كل ثروتنا هذه الالقاب «الكاتب الكبير»..
«الشاعر المعروف» وهذه عملة لا يقبلها بنك ولا تاجر ولا بقال ولا قاش
فيكف الكلام معكم والميدان فيه المنافسون الدافعون للاجر وعلى قدر المشقة
والاسم والفعل والحرف أحيانا.. فاذا نصنع معكم ياندامانا الاول.. ونحن
الذين ادركتنا وأنتم معنا حرفة الأدب في الصغر وما أعفتنا من زحماتها حتى في
الكبر ونحمد الله أنها أدركتنا في فلس الجيوب لا في فلس القلوب فإن فلس
القلب وفقره بلاء مابعده بلاء يأمان الخائفين.

وقد أعقبها رئيس التحرير برد مطول وممتع جاء فيه :

«وحديثك عن الاجر والتقريش حديث تمرنت عليه بعض الشيء
وكنت أكره الخوض فيه ذلك لأنني أرى أن الادب أثمن من المادة وأن
التوجيه والنصح والارشاد لا يقدر بثمن وهو كالعشب والماء وان علينا
مجتمعين ان نتعاون على التوجيه للخير ومكافحة الشر ولا أدرى — لعلى اكون
مخطئا — في هذه النظرية ولعل مبعث الفكرة هو خواء صندوق الجريدة
الذي كلما قرعناه يتراجع صدهاء في جوانبه فنترد خائبين.

ثم يقول الاستاذ رئيس التحرير :

أما وقد تغير اليوم كل شيء في الدنيا واختلفت المعايير والالواضع بعد ربع قرن من الزمن و«تبربشت» قليلا الاحوال الصحفية ووجد المنافس القوى فلابد من مجارات التيار والسير في الركب وقد تبخرت بعض تلك الافكار بعامل التطور الزمني فلابد لنا من أن ننزل على حكم الزمن.. وهذه باكورة اهدائنا — عباءة بيضاء ناصعة كنت أدخرتها لبوسا لصيف تعين عباءتى السوداء التي أوشكت أن يعترها البلى وقد كنت استبقيتها للجمعة والعيدين ومقابلة الحكام والان جاء لازمها. وربنا يسهل بخير فيها.

وقد بعث اليه الاستاذ رئيس التحرير بمشلع ثمين قال في رسالته المنشورة انه كان يحتفظ به — خصيصا — للجمعة والعيدين ومقابلة الحكام.

وقد سألت رئيس التحرير عن رد الاستاذ ضياء على هذه المكافأة الطريفة فقال: مع الاسف لم يصل المشلع المذكور لان الرسول استأثر به لنفسه وخسره الاستاذ ضياء.

هذه القصة وغيرها من المعلومات الطريفة جزء من تاريخ الصحافة السعودية وسترد بتفاصيل أوسع في الجزء الثاني من كتاب الاستاذ عثمان حافظ الذي نشر جزءه الاول منذ العام الماضي بعنوان: «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية».

المنهل عامه الأربعين

صدر المنهل الاغر — منهل المحرم ١٣٩٤هـ هجرية — وهو يخطو الى الأربعين من حياته المديدة.. وكل شيء في الدنيا يهرم ويشيخ حين يكبر.. الا المنهل فإنه كلما كبر يزداد شبابا.. ويزداد قوة ونشاطا.. هكذا أحسست وأنا اتصفح أعداده.. العدد بعد الآخر.

ولقد استوقفنى طويلا.. هذا العدد من المنهل.. استوقفنى غلافه الفضى.. الذي وفق صاحبه بوضع صورة الصفحة الأولى من أول عدد صدر منه.. وكأنما وضعه ليثير عواطفى وشجونى.. يثير ذكرياتى الماضية — التى أوشكت — أن تبسلعها الليالى وتحيلها الى أثر بعد عين.. نعم استوقفنى طويلا هذا الغلاف — وشدنى اليه شدا عميقا.. حتى أنسانى واقعى ولم يترك لى فرصة البحث والتنقيب ما لم به من علم وأدب.. أن للعدد الأول من المنهل ذكريات لدى لا تنسى.. لقد كان هذا العدد أول باكورة عمل مطبعة جريدة المدينة المنورة وكانت تسمى اذ ذاك مطبعة طيبة الفيحاء — ولم يكن باكورة عمل المطبعة فحسب — بل كان باكورة عملى الشخصى — كمطبعجى —.. وكنت اسمى نفسى — فى ذلك الحين — مدير المطبعة ولكن لم يكن بالمطبعة أى عامل غير هذا المدير، فهو المنضد للحروف وهو الذى يوضبها ويطببعها.. حتى غسيل الحروف بالفرشة بعد الانتهاء من الطبع، وتوزيعها على ادراجها كان هو الذى يتولاه.

ولم يكن بالمدينة.. وقتئذ من يحفظ توزيع هذه الحروف على ادراجها غير هذا المدير. لقد تذكرت العدد الأول من المنهل.. وسرحت معه.. حتى لم

نشرت في جريدة المدينة في ٢٣/٢/١٣٩٤هـ

اعد أشعر بمن حولى.. والمرء اذا اشتغل عقله بأمر ما.. صرفه عن كل شىء من حوله.

ذكرتنى.. هذه الصفحة المنشودة على غلاف منهل الأربعين.. تلك اللحظات النابضة بالحركة والنشاط.. اللحظات — التى كنت التقط فيها الحروف من ادراجها.. وانا أجمع أسطر هذه الصفحة التى أمامى.. أنصدها فى مصفاتها.. ثم أوضيها وأطبعها.

ذكرتنى — هذه الصفحة — بملقاط الحروف الملوث بالحبر.. الذى كان يلوث اصابعى كلما لامسته.. وكنت أتسلى ببيت من الشعر.. أتمثل به كلما تلوث الثوب، أو أى طرف من أطرافى وكلما لامنى لائم بالمنزل على هذا التلوث أتمثل بهذا البيت من الشعر:

انما الزعفران عطر العذارى ومداد الدواة عطر الرجال

ذكرتنى بذلك الملقاط الذى كنت أسحب به الحروف المغلوطة من السطر وأضع عليها الحروف الصحيحة.

أعادتنى هذه الصفحة أربعين عاما الى الماضى البعيد.. أيام البناء والكد والعمل المتواصل.. والامال العراض فى اقامة دار الطباعة بالمدينة وجريدة تصدر بالمدينة المنورة.

لقد ذهب ذلك الماضى بقضه وقضيضه.. بلذاته ومتاعبه وخلف لنا هذه الذكريات تنغص علينا بقية أيامنا وتعيد لنا صدى السنين الحاكى.

وأظننى فى حل.. اذا تحدثت عن سر كنت أحتفظ به طيلة الأربعين عاما.. حتى عفت عليه الأيام فلم يعد سرا.

ذلك أن طبع هذا العدد من المنهل.. بما فيه من متاعب ومشاكل أرشدنى الى أخطائى وكشف لى عن عجزى عن امكانية اصدار جريدة

المدينة المنورة.. دون أن يكون هناك موظف فنى يتولى المطبعة ويتحمل مسؤولية الطباعة فيها.

وقد اضطررنا — ونحن في دور التأسيس — الذي يتطلب نفقات باهظة أن نستقدم عاملا فنيا متمرنا على أقسام الطباعة.. ونسند اليه ادارة المطبعة.. هو السيد عباس هلال سنبل.

وأظننى في حل أيضا — اذا أذعت سرا من اسرار المنهل في سنته الأولى — أو عدده الأول.. وأرجو أن يتسع صدر أستاذنا الانصارى صاحبه ورئيس تحريره لذلك.. هذا السر.. كنت استجديت الذاكرة لتسغنى به .. وقد بخلت.. رجعت الى — الدقر — واذا بالنسخ التى طبعت من العدد الأول ٣٠٠ نسخة وقيمة طبعه مع الورق والغلاف ٥٠٠ ريال يدفع منها ٨٠% مقدما و٢٠% مؤجلا.

وأعتقد أن الثلاثمائة نسخة أصبحت — اليوم — ألفا.. وأن الخمسمائة ريال تقدر الآن — بالآلاف أيضا.

وبعد.. فاني ارحب بالمنهل الأغر وهو يخطونحو الأربعين.. وبارك هذا الجهد والصبر المتواصل واخراجه والنهوض به وتطويره المستمر.. وأشيد بتقدير الأدباء الأفاضل.. بترحيبهم بمنهلنا في عامه الأربعين.. هؤلاء السادة:

احمد ابراهيم الغزاوي — عبيد مدنى — حسين عرب — على حافظ — محمود عارف — محمد سعيد العامودي — انور الجندي — عبد القادر طاهر..

الذي قال أن المنهل طبع بمطبعتنا الصغيرة.. وهي كانت في نظرنا — على الأقل — كبيرة قدر الدنيا.. وهو معذور لأن المنهل أكبر منه سنا.. وكان لا يعرفه أيام صدوره... بل كان في عالم الذر.

ولايسعنى وأنا أتحدث عن المنهل العذب الا أن أشد على يد صديقنا صاحبه العلامة الشيخ عبد القدوس الانصارى لأهنته على هذا النجاح الكبير الذي توج به هذا العمل الكبير.. (المنهل).

طه حسين في المدينة

أنا أذكر الآن — قدوم الطائرة التي أقلت الدكتور طه حسين ورفاقه من جدة الى المدينة المنورة وكان صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف انذاك قد انتدب لمرافقة الدكتور طه حسين حين زيارته للمدينة — السادة الافاضل الاساتذة ناصر المنقور، احمد عبد الغفور عطار، عبد السلام غالى، عبد الله المنيعى.

وأذكره عندما نزل من الطائرة ببذلة السواد، ونطارته السوداء، وقد امسك بيمينه الاستاذ امين الخولى.. ويعلق بشماله «بسطونه».

واذكر اننا لازمناه طيلة اقامته بالمدينة من المطار الى المطار.. أملا فى الحصول على حديث صحفى للمدينة.

واذكر اننا فى ذلك اليوم.. قد فاتنا الغداء ونحن مرابطون فى فندق التيسير الذي نزل فيه الدكتور وتغدى فيه.. ولم نتناول طعام الغداء.. الا بعد المغرب.. بعد أن ودعنا الدكتور طه حسين ورفاقه بالمطار.

اذكره — وكأنه امامى الآن — وهو يتسلق سقايل عمارة المسجد النبوي ليصعد الى سطح المسجد.. ويتفقد عمارة التوسعة.. وقد امسك بيده معالى الشيخ محمد صالح قزاز مدير مكتب عمارة التوسعة.. وكنت واخى السيد على حافظ وابنى يعرب معهم على السقالة.

اذكر — انه عندما دخل المسجد النبوي من باب السلام — تقدمه الخطيري — دليل المصريين.. ليلقنه الزيارة الماثورة.. وهو يردد مايقوله الخطيري.

نشرت فى جريدة المدينة فى ١٠/٤/١٣٩٤هـ

اذكر هذه الحاجات وغيرها.. مما لا مجال لذكرها خشية ملال القارئ..

ولكن من اين لى بتفصيلات وافية عن هذه الزيارة.. ترضى القارئ العزيز.. وترضى الاستاذ ابو مدين. الذي طلب منى الحديث عن زيارة الدكتور طه حسين للمدينة.

ولكننى سوف استجدى الذاكرة.. مرة أخرى.. فان عصتني فسوف استعين عليها بما اجد من مراجع ولعلى اوفق لذلك وأوفى الموضوع حقه. قبل التحدث عن زيارة الدكتور طه حسين للمدينة.. لابد من التحدث عن المهمة الاساسية التي من أجلها زار الدكتور طه حسين المملكة العربية السعودية.. والنتائج التي تمخضت عن هذه الزيارة.. اتماما للفائدة.

الدكتور طه حسين قدم من القاهرة الى جدة في اواخر شهر جمادي الاولى سنة ١٣٧٤هـ الموافق يناير ١٩٥٥م منتدبا من جامعة الدول العربية.. ليرأس الدورة التاسعة للمؤتمر الثقافي الذي نظمتها الجامعة العربية.. والذي تقرر عقده في المملكة العربية السعودية.

وكانت الجامعة تهدف من وراء عقد هذا المؤتمر الى توحيد الاتجاهات الثقافية، والبرامج التربوية التعليمية في البلاد العربية.. لايجاد كيان ثقافى موحد للبلاد العربية..، وتقريب المناهج العلمية الخاصة بتاريخ البلاد العربية.

وقد عقد المؤتمر بجدة في ٢٤ أو ٢٥ جمادي الاولى سنة ١٣٧٤هـ.. ورعاه صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف في ذلك الحين.

وكان يضم المؤتمر سبع دول عربية.. مصر و يرأس وفدها الاستاذ امين الخولى مدير الثقافة العامة، المملكة العربية السعودية و يرأس وفدها الاستاذ ناصر المنقور مدير عام التعليم المساعد، سورية و يرأس وفدها الدكتور عبد الهادي هاشم امين وزارة المعارف، الاردن و يرأس وفدها السيد سعد دره

مفتش وزارة المعارف، لبنان ويرأس وفدها السيد غالب الترك وزير لبنان المفوض بجدة، اليمن ويرأس وفدها الاستاذ احمد زيادة مدير معارف اليمن، الامانة العامة للجامعة العربية ويرأس وفدها الاستاذ سعيد فهم.

ومن حضر المؤتمر من الشخصيات السعودية الادبية السادة: احمد العربى، محمد سعيد العامودي، محمد حسن عواد من اعضاء مجلس الشورى، والاستاذ احمد عبد الغفور عطار من كبار ادبائنا وكتابنا.

ورأس المؤتمر الدكتور طه حسين.

وقد افتتح المؤتمر صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف فألقى كلمة رحب فيها بالوفود. ومما قاله سموه: ان امنيتى، وامنية كل مخلص ان يلقي هذا الاجتماع نجاحا وتوفيقا.. وان يكون له الاثر الكبير في تدعيم العلاقات الثقافية بين دول الجامعة العربية وربط صلات الصداقة، والمجد بين الشعوب العربية الاسلامية.

وتحدث معالى الدكتور طه حسين في المؤتمر فقال:

سيدي صاحب السمو،

اعترف ايها السادة.. اننى حين شرفنى مجلس الجامعة العربية باختيارى مشاركا فى اللجنة الثقافية.. ترددت في قبول هذا الشرف.. لان فيه اعباء لاينھض بها إلا أولو العزم.. ولكني لم اكـد أسمع أن المؤتمر سيعقد في هذا الوطن العزيز.. حتى اقبلت غير متردد.. يدفعنى هذا الشوق الطبيعى الذي يتلىء به قلوب جميع المسلمين.. مهما تكن اوطانهم.. فهذا الوطن وطن العروبة والاسلام.. اقدمت على قبول هذا الشرف وانا استعين الله ان انهض بأعبائه.

ثم قال: ولست في حاجة لان اعرض عليكم ماتبذله الحكومات العربية من جهود ولكنى.. اسعد الناس حظا اذا حدثتكم بما سمعته من سمو وزير المعارف.. بان هذا العام وحده.. انشأ ثلاثمائة مدرسة.. قدروا ايها السادة

عواقب هذه النهضة.. حينما تنهض وتقوى في هذه البلاد.. قدروا عواقبها القريبة والبعيدة فستشعرون انكم في اول طريق خطيرة حقاً.. ولكنها مجيدة حقاً.. ولكنها هى الطريق التى سلكها اباؤكم.. ولاشك أنكم سالكوها ورافعون بها شأن العرب.

هذه فقرات قصيرة من خطاب عميد الادب الدكتور طه حسين.. وهى تدل على ما يحمله للعروبة والاسلام من أماني طيبة في توحيد الاهداف الثقافية والتربوية ومن محبة للعلم والخير. اما مقررات المؤتمر الثقافي السابع فقد تضمنت.. عقد مؤتمر لمندوبى الجامعات العلمية في البلاد العربية للتنسيق وتحديد الاتجاهات التربوية لاعداد جيل عربي اعدادا متجانسا.. ووضع خطة ثقافية في الجامعة للتأليف والترجمة والنشر. وتقرير كتب التاريخ المدرسية، وتشكيل لجنة لمعادلة الشهادات الدراسية ومشروع شهادة واحدة للقبول فى الجامعات، وتأسيس مدارس عربية في البلاد الغربية والشرقية، واستخدام التمثيل والسينما لتحقيق اهداف الجامعة.

هذا ولقد كنت اردت ان اختصر الموضوع.. لاخلص الى الحديث عن زيارة الدكتور طه حسين للمدينة.. وصمته الطويل أولاً ثم خروجه عن صمته.. ولكن موضوع المؤتمر الثقافي بما له من اهمية تاريخية قد سيطر على الفكر والقلم.. وارجو يا استاذ عبد الفتاح الا اكون قد تجاوزت الطلب وعذرى في هذا التطويل انك كنت قد فسحت لى مجال الكلمة زيادة ونقصاً.

اما زيارته للمدينة، فقد وصل الدكتور طه حسين للمدينة المنورة على طائرة خاصة مع الوفد المرافق له يوم الاربعاء ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٧٤هـ الموافق ٢٦ / يناير ١٩٥٥م وكان المطار مزدحماً بالمستقبلين والمسلمين وعلى رأسهم الامير مساعد العبد الله السديري نائب امير المدينة المنورة — رحمه الله.

ولم يبق الدكتور طه حسين بالمدينة سوى سحابة يومه وقد اتجه من المطار الى المسجد النبوي الشريف وبعد صلاة في الروضة المطهرة وزيارة قبر

المصطفى صلى الله عليه وسلم تفقد عمارة المسجد والتوسعة الجديدة له وزار المآثر الخالدة بالمدينة. وكنت واخى السيد على حافظ قد لازمناه في تنقلاته ولم نتركه لحظة واحدة.. املا في الحصول على حديث صحفى لجريدة المدينة المنورة.

واثناء زيارته لدور العلم والمدارس كنا وسعادة الاستاذ عبد العزيز الربيع وبعض الاساتذة المصريين والسعوديين نطالبه بالحديث.. ولكنه لازم الصمت ولم ينطق بكلمة واحدة. ولم يخرج عن صمته الا بعد انتهاء زيارته للمدينة عند توديعه بمطار المدينة.

ولقد ضايقناه بكثرة مطالبتنا ومطالبة الجمهور بالحديث.. واخيرا خرج عن صمته وقال: «كيف استطيع الكلام في بلد صاحب الرسالة عليه افضل الصلاة والسلام».. اننى اجد نفسى مأخوذا بجلال الموقف، وهيبة هذا البلد المقدس وذكرياته العظيمة في تاريخ العالم.. ولاستطيع ان اقول شيئا الا اننى احبى صاحب الرسالة.. ثم المدينة واهل المدينة».

وهذا الحديث المقتضب شجعنا على المزيد من مطالبته بالحديث لجريدة المدينة.. وقد كنا اعدنا عدة اسئلة موجهة اليه للاجابة عليها ولكن الظروف لم تسمح بذلك.

وقال بعد الحاح منا «ان ماشاهدته في المدينة من المآثر الخالدة ملك على قلبى وعقلى حتى اصبحت لأجد سبيلا للكلام الان.. ولا بد من زمن ومن مهلة لتعود نفسى اليّ حتى استطيع الكلام.. وما كان لي ان ارفع صوتى بالمدينة وقد امرنا الله تعالى الا نرفع اصواتنا فوق صوت النبى».

وسألناه هل زرت ميدان معركة احد وميدان معركة الاحزاب ومسجد قباء فقال: «نعم زرت قبر حمزه رضى الله عنه وتذكرت المعركة.. وتذكرت قول النسبى صلى الله عليه وسلم.. عندما شاهد حمزه وهو ممثل به لولا ان تجزع صفية وتكون سنة من بعدى.. لتركته حتى يكون فى بطون السباع

وحواصل الطيور.. وزرت معركة الخندق وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم للمهاجرين والانصار اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة وقوله لعمار ويح عمار تقتله الفئة الباغية.. وصليت الظهر بالمسجد النبوي وشعرت بسمو روحى وودت الا ابرح المسجد اتابع صلاة الظهر بصلاة العصر.. فلا اريد غداء ولا اريد طعاما ولا شرابا ولكن معى رفاق يريدون السفر عاجلا.. وعندما وصل الى هذه الكلمة نادى منادى الطائرة فنهض وتبعه رفاقه الى الطائرة متوجها الى جدة.

ولانسى ابدا كلمة للدكتور طه حسين.. ولا ادري كيف استقرت هذه الكلمة في الذهن هل هى سماع منه ام اننى قرأتها فى بعض الصحف الأخرى. هذه الكلمة كانت جوابا عن سؤال عن شعوره وهو يزور المسجد النبوي الشريف. قال: «عندما دخلت المسجد النبوي شعرت بجلال الموقف، وطغى على الشعور بعظمة هذا المسجد الذي كان مهبط الرسالة ومصدرا لانتشار الاسلام الحنيف. فقد تبعنى الدليل عند دخولى المسجد يلقننى الزيارة التقليدية التى اعتاد تلقيها لزوار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم. وكنت وانا اردد كلماته اشعر بشعور مزدوج.. كنت شخصين.. شخص يردد ما لا يعنى.. وشخص يعنى ما لا يقول.

كنت واقفا امام القبر الشريف مأخوذا بمعانى روحية عالية.. كنت استعرض حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالناس، وهو يخاطب فيهم يعظهم ويعلمهم دينهم، وهو يخطو بين بيته ومنبره ليصلى فى روضة من رياض الجنة، أستعرض حياة هذا المسجد عندما شع منه نور الاسلام فعم الكون.. وعندما كان صلى الله عليه وسلم يجهز جيوش المسلمين لاعلاء دين الله وتكون كلمة الله هي العليا.. وكان يقود بعض هذه الجيوش بنفسه وكان يؤمر على بعضها احد اصحابه تذكرت وانا اقف في المواجهة صاحبة ابوبكر وعمر وهما مضجعين بجانبه وكانا من اعظم انصاره ومؤيديه.. كنت مأخوذا بهذه المعانى الروحية العالية بكل جوارحي وقلبي.. بينما كان لسانى يردد ما كان يقوله الدليل».

أمسية شعرية في منزل أمير الشعراء «شوقي»

كان لدولة الشعر والأدب شأن عظيم في العصور الأولى.. وللشعر خاصة — دور كبير في حياة القبائل والشعوب العربية.. فهو ترجمان حياتهم — وسجل مختلف شؤونهم الأدبية والاجتماعية سجل لحروهم، وغزواتهم، وتفائدهم.. ووصف مراتبهم ومراميتهم، وحيولهم، وجمالهم، وحجهم وبغضهم.. فالشعر كان جزءا من تاريخ العرب في أرضهم وسمائهم وجبالهم ووهادهم.

وكان للشعراء والأدباء أسواق موسمية يختلفون إليها ويضربون أكباد الأبل لحضور هذه الأسواق الأدبية والأمسيات الشعرية.. واشهر تلك الأسواق — عكاظ ومجنة وذى المجاز.

كانت هذه الأسواق تقام سنويا ويحضرها كبار الشعراء والأدباء، من مختلف دارات العرب.. وكانوا يتطارحون في هذه الندوات أشعارهم وأدبهم.. والقصيدة التي يحكم لها بالتفوق.. تعلق على باب الكعبة.. يقرؤها الطائفون والعاكفون.. ويسمى معلق على باب الكعبة بالمعلقة.

وما زالت حتى الآن — تردد الأجيال بعد الأجيال هذه المعلقة السبع أو المعلقة العشر.. وتعتبر تلك القصائد من أقوى ما قيل في الشعر العربي.

وكان لدولة الشعر سلطان كبير في الحياة الاجتماعية.. حتى أن بيتا من الشعر يرفع أقواما وقد يخفضهم بيت من الشعر. وأذكر بهذه المناسبة.. قصة القبيلة العربية التي كان العرب يعيرونها — بأنف الناقة — وفيما أذكر — أن هذه القبيلة (إستضافت) شاعر فضيفته

نشرت في جريدة المدينة في ١٩/٨/١٣٩٧هـ

(بأنف ناقة) فهجاها بقصيدة الملح فيها بأنف الناقة التي كان ضيف بها.. وكان هذا اللقب محل الحط منهم والتنديد بهم حتى أن أفراد هذه القبيلة كانوا يتحاشون ارتياد المجتمعات لئلاً يعيرون بأنف الناقة.. حتى جاءهم شاعر آخر استضافوه وأكرموه وأحسنوا وفادته.. فدحهم بقصيدة كان من جملة أبياتها:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا
فأصبح أنف الناقة من مفاخرهم.. بعد أن كان من مثالبهم.. فبيت
من الشعر حول المثالب الى مفاخر.. وحول الذم الى مديح.
هكذا كان سلطان الشعر على النفوس.. وهكذا كان تأثيره في
المجتمعات العربية.

تخلف الشعر

ولقد طغت الحياة بمشاكلها، وحروبها، وفتنتها على الشعر والأدب حتى
أوشكت أن تذول دولته، وأن تخبو جذوته.. وقد اشغلت الناس الحياة
الصاخبة بمفاتنها، وحضاراتها، وزخرفها، وزيفها.. فصرفتهم المادة عن الأدب
والشعر.. واكتفى الكتاب والقراء بالكلمة الخفية العجلى التي تتداولها
صحف اليوم.. وحتى صحف اليوم قد ضعف اهتمامها بالأدب والشعر..
فلا تكاد ترى فيها تلك القصائد التي كانت تهز القلوب وتلامس الشعور الا
نادرا.. وحل محل الشعر الرصين.. هذا الزيف من الشعر المسمى بالشعر
المرسل أو الشعر الحر.. الذي لا طعم فيه ولا رائحة.. بعد أن فقد القافيه
والوزن اللذان هما قوام الشعر.

وهما الجرس الذي يذب النفوس فينفذ الى القلوب قبل الآذان والى
البصائر قبل الأبصار.

أمسية كرمة ابن هانىء:

سبقتنى هذه المقدمة للحديث عن الأمسية الشعرية التى أردت التحدث عنها.. الأمسية التى أقامتها وزارة الثقافة احياء لذكرى امير الشعراء شوقى.. وتحويل قصره الى متحف للفنون والآداب تخليدا لذكر شاعر من أكبر شعراء العرب في العصر الحديث.

وقد مهدت لهذه الأمسية الصحافة والأذاعة والتلفزيون فشدت الناس اليها شدا.. وهيات الأبصار والأسماع للأستمتاع بهذه الأمسية التى قالوا انها أول أمسية شعرية تقام فى مصر. ولم يوفق التلفزيون فى عرض الأمسية على الهواء فى الوقت المحدد ولم يعتذر عن ذلك.. حتى ظن الناس أنه طراً تعديل على موعد الأمسية.. وبعد ثلاثة ايام عرضت الشاشة الصغيرة الأمسية.. واعتذرت عن عدم عرضها بوقتها على الهواء لأسباب فنيه.

شوقى وأبى نواس:

اقيمت هذه الأمسية الشعرية الرائعة فى قصر أمير الشعراء احمد شوقى الذي اطلق عليه (كرمة بن هانىء) وابن هانىء.. هو الحسن ابن هانىء — أبو نواس — وكان شوقى معجبا بفن ابى نواس وعمقه فى الأدب والشعر والدعابة حتى قال:

وأنى نواسى هذا الزمان فهل للزمان بسمع الرشيد

وكرمة ابن هانىء تقع على النيل بشارع (ميرج بن شهاب) بالجيزة. ومن أهم حجرات هذه الكرمة.. الحجرة الخاصة بمكتبة شوقى التى كان يخلو فيها بنفسه عندما كان ينظم الشعر.. وبها مجموعة كبيرة من قصائده بخط يده.. وفيها معظم دواوين الشعراء الأقدمين والمحدثين ثم حجرة الأستاذ محمد عبد الوهاب.. التى كان يلحن فيها الأغنيات التى ينظمها له شوقى ويجرى البروفات لهذه الاغنيات.

السادات يرعى الأمسية:

وتكرما للشعر والأدب.. عقد هذا المهرجان الشعرى تحت رعاية الرئيس أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية وحضرها صاحباه سيد مرعى رئيس مجلس الشعب وممدوح سالم رئيس مجلس الوزراء.

وقد دعى لحضور هذا الحفل الأدبى سبعون شاعرا وأديبا من شعراء مصر والعالم العربى.. وأن كانت قد افتقدت هذه الأمسية بعض اصدقاء شوقى وزملائه فى الشعر والأدب والذين يعرفون الشىء الكثير عن حياة شوقى وشعره وأدبه أمثال الأستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفى والأستاذ الشاعر سيد ابراهيم الخطاط.. وهذان الشاعران كانا أعضاء فى جماعة (أبولو) الذى كان يرأسها شوقى وقد أصدرت هذه الجماعة مجلة أبولو.. وصدر العدد الأول من هذه المجلة بقصيدة رائعة لشوقى قال مطلعها:

أبولو مرحبا بك ياأبولو فانك من عكاظ الشعر طلُّ
ولولا المحسنون بكل أرض لما ساد الشعوب ولاستقلو

قصيدة الأمير عبد الله الفيصل:

وقد القى بعض الضيوف قصائد رائعة فى هذا المهرجان الشعرى وأول قصيدة القيت فيه رائعة شاعر الشباب السعودى الملهم سمو الأمير (عبد الله الفيصل) ألقاها بالنيابة الأستاذ احمد انور واجد.. وقد لاقت استحسانا كبيرا من الجمهور وعندما انتهى القاء القصيدة صافح وعانق الرئيس السادات الأمير عبد الله الفيصل محيا ومكرما على هذه الروح العالية والمشاركة النبيلة فى هذه الأمسية الشعرية.

مثلون يلقون قصائد شوقى:

وقد اختارت وزارة الثقافة الممثل محمود ياسين والمثلة فاتن حمامة ومحمود شاکر لالقاء القصائد المختارة من شعر شوقى.. وبدأت فاتن حمامة

ومحمود ياسين ومحمود شاكر الققاء القصيدة التى نظمها شوقى فى منفاه
(بالاندلس) التى اختارها شوقى عندما طلب منه الانجليز بعد الحرب العالمية
الأولى أن يختار له مقاما غير مصرى.. فأختار أسبانيا لما فيها من أثار عربية
وإسلامية ومطلعها:

يانائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير أن يدا قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكما غير سامرنا أخا الغريب وظلا غير نادينا
وقال فيها:

فأن بك الجنس يابن الطلع فرقنا أن المصائب يجمعن المصابينا
وقد صاحب القاء القطع الشعرية التى اختيرت من شعر شوقى موسيقى
ناعمة من قيثارة — الموسيقىار جمال سلامة.. وليت هذه الموسيقى وتلك
النفحات كان من وضع الموسيقىار محمد عبد الوهاب.. ربيب هذه الكرامة
الذى له ذكريات وذكريات من فيها تحدث عنها فى الصحف وفى الأذاعة
والتليفزيون فقد سمع الناس من فنه وإبداعه جديدا رائعا.. وقد تنطق
قيثارته بما عجزت عنه الأقلام والبيان.. وليس فى هذا غمر للاستاذ جمال
سلامة فقد أولى الموضوع حقه ولكن الشئ الذى لوحظ هو لماذا لم يساهم
فى التلحين الموسيقىار محمد عبد الوهاب (ابن شوقى).

هل نجحت فاتن وياسين فى اللقاء — ولقد حاولت فاتن حمامة أن
تكون مبدعة كثيرا فى اللقاء فتصنعت كثيرا وهى تلقى القصائد
الشعرية.. تصنعت فى مشيتها ووقوفها وتقاسيم وجهها وحركات يديها،
ولكن الميدان ليس ميدانها، والجمال ليس مجالها.. وفاقد الشئ لا يعطيه..
فللشعر رواته ولل مسرح موافقه.. للتين قوم وللجميز أقوام.

وقد قال بعض الناقدين
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذبول

وقال آخر:

خلق الله للقتال رجال ورجال لقصعة وثريد
هذه أمثلة تدل على أن عصر اليوم عصر اختصاص وتقنين لاينفع معه
الارتجال.

أما الأستاذ محمود ياسين فقد كان جيدا فى القائه.. ولكن تصنعه
الكثير والغير طبعى أفسد شيئا من جمال الالقاء.. فقد تصنع أكثر من اللازم
وتحول من راوية شعرى الى ممثل على خشبة مسرح.. فكانت حركات
جسمه ويديه وعضلاته.. لا تتفق مع راوية الشعر.. ولقد كان البعض
يفضلون أن يسمعه ولا يرونه.

الشعر المرسل:

ولأريد أن أترك الموضوع دون أن أعرض لكلمة الأستاذ نزار قباني التى
ألقاها فى الأمسية الشعرية.. فقد القى قطعة مما يسمى بالشعر الحر أو الشعر
المرسل.

افتقدنا فى القطعة سحر القافية الوزن.. وافتقدنا الجرس الشعرى الذى
يلامس الشعور وينفذ الى المشاعر.

ونزار قباني مجيد لو أنه سلك الشعر المقفى الموزون كما سلك فى قصيدته
عن الأندلس الذى نظمها على الأوزان والقوافى السليمة.

أما هذا الشعر الحرى فقد رفضه الذوق الشعرى وكأنه عضوا أجنيا فى
الجسم السليم أو هو عضو خارج عن الجسم يراد زرعه فيه فيلفظه ولا يقره.

وإذا كان الأوائل قد رفضوا أن يكون الرجز من الشعر فقال أبو العلاء
المعرى:

قصرت أن تدرك العليا فى شرف أن القصائد لم يلحق بها الرجز

وقال أيضا:

عجزت عن الكسب الذي يجلب الغنى ومأنت عن كسب الدنيا بعاجز
ومن لم ينل فى القول رتبة شاعر تقنع فى نظم برتبة راجز
ويروى عن بشار بن برد أنه قال لرءبه وهو من أكبر شعراء الرجز..
قال له لو جمعت رجزك ورجز أبيك لما خرجت منه قصيدة واحدة.

واذا كانوا لا يرضون الرجز أن يكون شعرا على مافيه من روائع وصور
وأوزان فكيف بهذا الشعر السائب والمتحلل من كل شيء بيت فيه من
كلمتين وآخر من ست أو سبع كلمات.

ولأريد أن أذهب بعيدا فهذه فقرات أسوقها من كلمات نزار قباني
التي ألقاها: فى المهرجان الشعري.. ويعتبر نزار القباني فى طليعة رواد هذا
النوع من الشعر المسمى بالشعر الحر ونص كلماته:

نحن مدعون هذه الليلة الى بيت شاعر عظيم.
مدعون للخروج من دائرة الحجر والأسمت التي تحاصرنا والدخول الى مملكة
الحلم.

مدعوون للتعرف على أنفسنا والألتقاء بأنسانيتنا.

نحن مدعوون هذه الليلة الى بيت أحمد شوقي

الشاعر ليس هنا

أنه مسافر منذ خمسة وأربعين عاما

مسافر فى أيامنا

مسافر فى ضمائرنا

وكل الكلمات على هذا النمط من الكلام.

ولا أذكر أن فى آخر هذه الكلمات بعض المعانى الرائعة.. ولكن أين
الأنسجام فى المعنى واللفظ والنظم ولو صيغت تلك المعانى صياغة نثرية
وتخللت من قيود حرية الشعر لكان لها مكانة أسمى وأعظم.

أننى متضابق لأننى لأستيسغ هذا النوع من الشعر ولم أفهمه وأرى الكثير ممن ينظموا على هذا الأسلوب يجذونه بل ويمجدونه ولكنى بالمقابل أرى الكثير.. الكثير.. من المختصين بالأدب العربى من الشعراء والأدباء القدامى والمحدثين يرفضونه ويرون ماأرى.

وقد يمكن أن يتساهلوا فى هذا النوع من الشعر فى شعر الأغانى لأن التلحين والموسيقى قد تغطى مايتطلبه الشعر من وزن وقافيه ولأن التلحين قد يتطلب الأكلات من بعض القيود.

وقد أشادت الصحافة بهذه الأُمسية وتناولتها بالنقد والتحليل والأطراء ونشرت معظم ما القى من الشعراء والخطباء.

ومن تحدث عن هذه الأُمسية الكاتب الصحفى الكبير مصطفى أمين فى فكرته بأخبار اليوم.. وقد أشار فى فكرته على ماذكر الى اماره الشعر بعد شوقى واثنى على الشاعر أبو الوفاء الذى كان أحد الشعراء فى هذه الأُمسية وقال أنه رشح لاماره الشعر بعد شوقى.

ولقد سألت الأستاذ الكبير الشاعر سيد ابراهيم الخطاط وكان أحد رفاق شوقى وعضو جماعة أبولو التى كان يرأسها شوقى وعاصر هذه الفترة من حياة شوقى وبعد وفاته سألته عن اماره الشعر فقال (ان اماره الشعر بعد وفاة شوقى قد تفتت وكل حزب أو جماعة يرشحون واحد منهم للاماره.. ولكن لم تعقد الخناصر لأحد بعد شوقى فى اماره الشعر لا فى مصر ولا فى غير مصر).

ثم قال: لقد أراد حزب الوفد.. وكان أكبر حزب فى مصر.. أن يرشح الأستاذ عباس محمود العقاد لاماره الشعر.. ولايرتاب أحد فيما للعقاد مكانة أدبية وفكرية فى مصر.. وهو شاعر مجيد ولكنه مقل.. والاماره تحتاج الى شاعر محلق قوى يطرق كل أبواب الشعر ومجيد فيها مثل شوقى.. وقال أن حزب الوفد أقام حفلة فى مسرح حديقة الأزبكية لتتصيب الأستاذ العقاد أميرا للشعراء وكانت هذه الاماره فى عرف الشعراء سياسية أكثر منها أدبية.. ولكنها لم تنهض ولم يعترف بها الشعراء وانتهت عند هذا الحد.

ثم قال الأستاذ سيد ابراهيم لما رأى شعراء مصر هذا الارتباك فى اماره الشعر اجتمع عدد منهم وقرروا اقامة (البرنس) أميرا للشعراء — كدعابة — وقد أقاموا حفلة دعائية فى نادى موظفى الحكومة وألقى كل شاعر قصيدة بايع فيها البرنس بامارة الشعر على طريق الفكاهة والدعابة والبرنس كان ناسخا فى دار الكتب أخرج الأستاذ سيد من مكتبة ديوان الأسمر وأطلعنى على مانشر عن هذه الحفلة الدعائية بتأمر البرنس أميرا للشعراء.

وفى صفحة ٣٩٩ من ديوان الأسمر تفصيلا لهذه الحفلة ومألقى فيها من قصائد لمبايعه البرنس بامارة الشعر ونشر ذلك تحت عنوان

أمير!!

ونص مانشر:

(أراد شعراء مصر أن يروحوا عن أنفسهم فى بعض الاعوان فأقاموا فى ليلة من ليالى رمضان حفلا دعائيا كبيرا بايعوا فيه (حسين أفندي محمد) بامارة الشعر!! وحسين أفندي محمد المعروف بالبرنس شخصية فكهة فذة فى بابها ينظم القصائد كيفما كانت ألفاظها وكيفما كانت معانيها ولكنه مع ذلك لا يخلو من اعتداد بنفسه واكبار منه لما ينظم وقد جعلته هذه — الخلال محبوبا لدى الشعراء يتحدثون اليه ويتندرون معه ومن ذلك أقاموا له هذا الحفل الدعابى.

وقد كان من الشعراء الذين خطبوا فى هذا الحفل وبايعوا فيه البرنس بالامارة الاساتذة احمد الكاشف ومحمد الهراوى والسيد حسن القاياتى وحسين شفيق المصرى وكامل كيلانى وسيد ابراهيم وعبد الجواد رمضان وعزيز بشاى أنشد كل منهم قصيدة دعائية بين يدي البرنس.. وهو جالس على كرسى عال، وكل هذه القصائد تتضمن مبايعته بامارة الشعر).

وأورد ديوان الأسمر القصائد التى ألقىت فى هذه الحفل نقتطف هنا

من كل قصيدة بعض ابياتها لاعطاء فكرة عن الأدب والدعابة في ذلك العصر.

ياأمير الشعراء	أنت أولى باللواء
سيدي فالتنا اليوم	بملك الأدباء
امرؤ القيس على با	بك بعض الأمناء
وأبو الطيب في الدو	له بعض الوزراء
وأبو النواس وها	رون معافى الندماء
والمعري لدى السيدة	يخبوا للعلاء
سيدي فاسلك لضي	فا منهم في الخضراء
رحمة منك وفضلا	وجنونا بالعطاء
سيدي وليشمل الطر	د جميع الثعلاء
سيدي لايبق في الد	ولة الا الظرفاء
سيدي ولترحم الشعر	من القول الهراء
فيه اليوم عشاء	ورغاء وعواء
ونعيق وبغام	ونهيق ومكاء
وبه ماشئت من فو	ضى ومن فرط الدعاء
سيدي رجع لنا شعرك	واهتف ماتشاء
ثبت الله بك العر	ش وإن كان هواء

قصيدة الأستاذ الكاشف:

امارة الشعر خذها يا حسين فقد
اتى يبايعك الاخوان والصحاب
سعدوا اليك بنجواهم تطالعها
ولو سألتهم جدواك لا كتتبوا
واحسنوا موسما فخما ومؤتمرا
ضحكا وذاتك فيه المنظر العجب
لم يبق من سبب للا وعياء الى
ما حاولوه وما ردوا وما حسبوا
يا امن يدبر سلطانا ومملكة
وليس فيها له بيت ولانشب
وحسبك اليوم دار الكتب عاصمة
لدولتك واخوانا كما يجب
هذا نصيبي من الفوضى ظفرت به
من بعد ما خاننى في غيرها الارب
لم يفننى الجد في قول وفي عمل
وقد لعبت عسى ان ينفع اللعب

** قصيدة الاستاذ الهراوى

الى العرش فاصدع وامض بالأمر واقطع
ومروانة وامنح مابدالك وامنع
وصرف أمور الشععر في الأمة التي
تميت رجال الشععر فيها ولا تمنى
فأنت أمير الشععر غير منازع
وكل أمير غير شخصك مدعى

** قصيدة السيد حسن القاياتى

يا حسين يا عزيزي يا أميرى
يا أمير الشععر في اللب الغرير
سد كما ساد صرير شد ما
أمر الاقلام في وادي الزئير

** قصيدة الاستاذ حسين شفيق المصري

يا حماة القريض حول البرنس
أصبح الشععر دولة ذات كرسى
وهل الحكم والامارة الا
لبرنس يضحى برأى وبمس
يقرض الشععر مثل ما يقرض الفاسر

حبا لا قد قتلت من ديمقس
كان من قبله القريض بجلبات
فأضحى ببينطلون وجيرس
أيها الشاعر الكبير رضيناك
أميرا فكنه تفديك نفسى

**قصيدة الاستاذ كامل الكيلاني

ته بالامارة لاتعدل بها بدلا
قد ارتضاك حماة الشعر قاطبة
كنت البرنس فأصبحت الامير فا
فكن أميرا لهذا العصر مضطلعا
انت تفهم شعر القوم مقتدرا
وان يكن شعرهم من سخفه بصلا

** قصيدة الاستاذ سيد ابراهيم.

من حيث ان الفنون أضحت
وصار أمر القريض فوضى
وحيث أن البرنس أهل
قد قرر المحترفون جمعا
وان تفضلت يا أميرى
في مركز تاعس خسيس
وليس للشعر من رئيس
لذلك المنصب الخطير
تقليده منصب الامير
فاقبل اذا هذه الامارة

وانهض بأعبائها فخورا
 فيا أمير القريض اقبل
 ومن يخالف فامنعه عضوا
 واقبل اذا شئت بعد هذا
 فقد غدا الفن لايساوى
 وأنت حسب الفنون وحدك
 ان هتف الحاسدون ضدك
 والشعر في مصر ياأميرى
 فكن أميرا على القوافى
 * قصيدة الاستاذ عبد الجواد رمضان

دعتك وقد توافر طالبوها
 أمير الشعر أنت وان تغالى
 جباء تجار بأم القوافى
 احمى عرشها وازود عنها
 * قصيدة الاستاذ عزيز بشاى

على العرش فاجلس أو على النجم فاحلل
 فدونك هذا منزل بعد منزل

بلغت سماء الشعر وحدك عاليا
 على الناس فالبس تاجه وتقبلا

وصرت أمير الشعـر فارفع لواءه
على مصر واجلس فى الامارة وانجلي

أميرا اذا هز البراعة أقبلت
ملوك النهى تسعى اليك وتجتلى

لقد كذبوا ان قيل أنك تدعى
فعلـمك موفـور ودلوك ممتلى

وظـللك ممدود وسيلـك جارف
على كل مفضـال وكل مفضلى

وقم أمرا فوق الارىكة ناهيا
جنودك وافرح بالجنود وهلل

لقد بايعوا اذ بايعوك أميرهم
فقم واستمع من بايعوك وصهلل

حلت لواء الشعـر للشعر تاجه
فصنـه والا فاسترح وتنزل

وبعد أن انتهى الشعراء من القاء قصائدهم بين يدي أميرهم. قام الامير
البرنس وألقى قصيدتين.

** القصيدة الاولى:

على الشعـر قد صرت الاميرا
وان كنت الخبـعـثـنـه الصغـيرا

أنا المتنبى فى نظـمى ونثرى
أقول الشعـر غـتـالا فـخـورا

وانسى للرئيس بكل ناد
أحاكى الشمس فى الدنيا ظهور

بدار الكتب قد قضيت عمري
نقى الجيب استاذا حصورا

تلانى الشاعر المتنبى قدما
وجبست قريضة سبحا بحورا

لو أتى قد سما فوق الثريا
له إنصاح المعلى هدى ونورا

له انصاح المعلى فى المعالى
لو أتى مابدا يسمو البدورا

على الشعراء قد صرت أميرا

** القصيدة الثانية:

رجال المجد دمت للمعالى
مبدى الايام فى تحسين حالى

فلأنتم سادة الادباء طرا
وأنتم كالفرائد فى الجمال

فهذى حفلتى بكم أقيمت
برغم حواسدى آل المعوالى

أدام الله سعيكم الينا
بجاء قبل الميم قبل دال

بكم نلت الامارة في قريضتى
بكم حزب الأواخر والأوالي

بشاعركم برنس المجد كونوا
له نعم الثمال مدى اللىالى

برنسكم لا كالتنبى شعرا
وفى هذى الامارة فهو تالى

أدام الله علياكم جيعا
لاحياء المودة كالخوالى

وأبقى أنسكم فى كل ناد
وأجلسكم على السبع الطوال

وأبقاكم طوال العصر حصنا
وجاها لى بدا دون الزوالى

وبكم تبدو المواسم وهى تشدوا
رجال المجد دتم للسمعالى

هذه صورة من الصور الرائعة للأدب والدعابة، قبل حوالى نصف قرن،
فى أمسية جميلة أقامتها وزارة الثقافة المصرية لتكريم الادب والشعر فى
شخص أمير الشعراء شوقى ورغم أن جميع القصائد التى ألقىت فى الحفل
واضح وملموس فيها الدعابة والفكاهة، الا أن البرنس اعتبر الموضوع جديا،
وطبع بطاقة باسمه، ولقب نفسه بأمر الشعراء... والله فى خلقه شؤون.

** من حديث القلم

الخطوة الموفقة التي اتخذها مجلس الوزراء بمكافأة رجال التعليم القدامى كان لها اعظم الأثر وأطيبه.. لا في نفوس رجال التعليم فقط ولكن لدى جميع طلبة العلم ورواد المعرفة ولقد أحسنت الدولة صنعا عندما كرمت رجال التعليم القدامى حتى من اختاره الله الى جواره بأن تصرف مكافآتهم لورثتهم.

هذه اللفتة الكريمة من الدولة تدل على بعد النظر في تقدير العلم ورجال التعليم الذين كرسوا حياتهم في تعليم وتثقيف أبناء هذه البلاد والذين قامت على أيديهم فى فجر حياتنا العلمية هذه النهضة العلمية الكبرى في طول البلاد وعرضها.

التربية والتعليم من أسمى الخدمات التى يقدمها المرء لوطنه وبلاده.. كما ان التعليم من أشق الأعمال وأتعبها سيما تعليم الناشئة التى لم ينضج بعد تفكيرهم وعقولهم.. لأن المدرس مضطر فى كثير من الحالات أن ينزل بتفكيره وأحاسيسه الى مستوى.. المفاهيم للطلاب وأحاسيسهم ليضمن حُبهم له وليضمن قبولهم لما يلقنهم اياه من علوم وسلوك وبغير الحب والتفاهم بين الطالب والمدرس لا تتم النتيجة المتوخاة في التعليم والمدرس أيضا هو قدوة الطلاب في تربيتهم وسلوكهم وفي نزول المدرس الى مستوى مفاهيم الطلاب الذين لم ينضج بعد تفكيرهم ومداركهم. فيه مافيه من المتاعب والأعباء على النفس لأنه يرجع الى الوراء بتفكيره ومفاهيمه عشرات السنوات.

وحق لمن كافح وصبر على متاعب هذه المهنة الشريفة وتحمل مشاكلها

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٦٧/٣/٦ هـ

ومتاعها مددا طويلة أن يكافأ ويقدر على صبره وجلده سيما في الوقت الذي كان المعلم فيه مهضوم الحقوق في المجتمع.

فالدولة لم تعطه حقه في تلك العهود من الأجربل كان مرتبه الشهري ضئيلا جدا بالنسبة لمرتبات الآخرين والمجتمع أيضا لا يقدره حق قدره. على أن التعليم له مكانته وقديسته فهو من وظائف الرسل والملائكة فقد جاء جبريل عليه السلام يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم في أول آية قرآنية نزلت عليه يقول (اقرأ) فقال صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ فرددها جبريل عليه السلام ثلاثا ثم قال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم).

وتولى الرسول بعد الرسالة تعليم البشرية وتثقيفهم في أمور دينهم وديناهم.

فنزلة العلم في المجتمع الانساني منزلة رفيعة ولم يرق الانسان الى ماوصل اليه من اعزاز وتقدم الا بالعلم والانسان لم يفضل على مخلوقات الله الا بالعلم ولقد اصبحت تقاس مكانة الأمم والشعوب بقدر حظها من العلم والمعرفة وعلى المعلم يتوقف تشقيف رجال المستقبل وتربيتهم التربية الصحيحة الدينية والخلقية.

ونحن اذا أكرمنا العلم فأئنا نكرم العلم الذي كرمه الله تعالى نكرمه في رجال التعليم ومانشك أن رجال التعليم الذين كرسوا حياتهم تلك المدد الطويلة قد كافحوا وصبروا وتحملوا كثيرا من الأعباء والمتاعب في سبيل استمرارهم في هذه المهنة المكرمة فهم يستحقون هذا التكريم وهذا التقدير.

ونحن لانتعبر ماقدم لهم من مكافأة مادية — مهما بلغت بمجزية لهم على جهودهم.. وصبرهم.. وكفاحهم.. ولكن التقدير المعنوي واهتمام الدولة هذا الاهتمام الكبير أولا في التفكير في مكافآتهم ثم تعيين هذه المكافآت وانفاقها هذا التقدير المعنوي هو اسمى واعظم من المادة فالمادة عرض زائل

ولكن التقدير المعنوى يبقى من الزمن ويثير في النفس نشوة الأحساس بالمعزة والكرامة.

وعلى هذا المبدأ فلعل الدولة تضع في حسابها تقدير رجالها الأولين العاملين الذين قدموا خدمات للبلاد والحكومة في مختلف المجالات العلمية والأدبية والإدارية في اخلاص وصبر عندما كانت المرتبات تعد بالقروش لا بالريالات فكم من رجال عاملين مخلصين ابلو بلاء حسنا في خدمة البلاد والعباد — تقدمت بهم السن عن العمل — ولا أقول انهم محتاجون أو غير محتاجين ولكن أقول أنهم يستحقون من الدولة التقدير والتكريم.

** الدراسة.. والضرب.. والأجازات

انتهت العطلة المدرسية السنوية — التي أخذت من الطالب أكثر من ربع العام.. وبدأ الطلاب على اختلاف أعمارهم ومداركهم وعلى اختلاف مراحلها الدراسية — الابتدائية والمتوسطة — والثانوية والجامعية.. بدأوا يهرعون الى المدارس افواجا افواجا.

وكانت العطلة السنوية في زماننا تقدر بحوالي شهر ونصف — فقط — ولم تكن تتقيد بفصول السنة الشمسية — كما هي عليه الآن.. بل كانت تخضع للمواسم الدينية بالأشهر القمرية.. كانت العطلة أيام زمان — في شهر الحج ونصف أيام رمضان.. فالطالب يستطيع أن يصوم مع دراسة نصف النهار من رمضان.. أما شهر الحج.. فالطالب وأولياء الطالب.. يقضون شهر الحج في أعمال متواصلة.. فهي — أما في خدمة الحجاج لمن يتعاطى خدمة الحجاج.. وأما للاستعداد لأداء نسك الحج.

وكان السفر الى مكة المكرمة — للحج على الدواب.. المسافة بين المدينة ومكة.. عشرة أيام ذهابا ومثلها إياباً.. ثم مثلها لأداء النسك والاستعداد لذلك.

وحج أهل المدينة بالركوب، الهواذج له طابع خاص.. سوف آتى على وصف شامل له.. فأن ذكرياته مازالت تطوف بالذهن ومتعة مازالت تداعب الخيال من حين لآخر.. وقد درست تلك العوائد الجميلة.. ولم يبق منها شيء.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/١١/٢٢ هـ

أي دين يفرض علينا اجازة الحج ورمضان.. وهى تضاف الى العطلة الصيفية والى العطل الاخرى في الاعياد والمناسبات الاخرى.. وعليه فقد تبلغ هذه العطل في مجموعها حوالى نصف السنة. ولا أعرف ابدا.. أن هناك تفكير فى اعادة النظر في هذه العطلة.. وحتى بعد التغلب على التكييف الهوائى.. فالمدرسة مكيفة، والمنزل مكيف والسيارة مكيفة، وربما كيفت الشوارع أيضا ومن يدرى؟.

ولأدرى بعد — هل هذه العطل الطويلة.. هى ضياع للطالب.. أو فائدة له.. يقول رجال التعليم الآن.. أن هذه العطل فيها شحذ للذهن، وتهيئة لمدارك الطالب لاستيعاب أكثر مما يمكن من العلم والمعرفة اثناء الدراسة الجديدة.. ويقولون.. أن ذهن الطالب — يدرك الكلل والملل من تقلبات الجو.. فلا يستطيع هضم مايلقى عليه من علوم.. ولا بد للذهن وللجسم — أيضا — من الراحة الكاملة.. ليستعيد نشاطه من الجهد الذي بذل أثناء السنة الدراسية الماضية.. ولا بد من الأبتعاد عن الجو المتقلب اثناء الصيف.. ليستعد لاستيعاب وهضم مايلقى عليه من العلم والمعرفة في عامه المقبل.

ويقول أصحاب هذا رأى أن العطل المدرسية ليست هى للطالب فحسب.. ولكنها — أيضا — لولى الطالب وأهله الذين يتقيدون بزمन الدراسة.. ويصرفون كل أوقاتهم في تهيئة الفرصة الطيبة لأبنائهم.. للمحافظة على أوقات دوام المدرسة والمذاكرة وكل ما يحتاجه الطالب مما يسبب نجاحه آخر السنة — ثم أنهم يرتبون فسحهم وأجازاتهم على عطل أبنائهم.

أما أساتذتنا القدامى.. الذين يخصصون الأجازات المدرسية بالمناسبات الدينية كالحج والصيام.. فأنهم يرون أن هذا الفاصل الطويل.. بين الدراسة الأولى والدراسة الثانية قد يضيع على الطالب ما جمعه من معلومات أثناء السنة الدراسية.. سيما إذا لم يقوى المعلومات التي درسها.. ويرون أن الطالب إذا لم يواصل أول الدراسة بآخرها.. فأنه قد ينسى القديم.. ويتعذر

عليه ربط المعلومات بعضها ببعض.. وجاء الآن.. التحكم في تكييف الهواء.. فأعطاهم حجة أكثر.. فالمدارس، المنازل والسيارات مكيفة وكل شيء الآن ميسر.. على أن لكل وجهة نظرة.

وعليه — ومادام هذا واقعنا.. ومادام هذا ما اختاره لنا ولأبنائنا المسؤولين الكبار عن التعليم.. وهم لأشك الحريصون على المصلحة العامة للطلاب ولذوى الطالب.

علينا أن ننظم أيام العطل السنوية.. وأن نشغل معظمها بالمطالعة والدرس والاستذكار لما درس في السنة الماضية.. لأ لا يتبخر من الذهن.. ويجب الا نترك للطلاب أن يقضى الوقت.. كل الوقت — في اللهو واللعب.. وفي وسائل التسلية الأخرى.

علينا الا نترك ابناءنا يضيعون كل أوقاتهم — مثلا أمام شاشة التلفزيون الذي أصبح البعض لا يفارقها ابدا.. ليلا أو نهار فان بعض برامج التلفزيون لا تصلح للطلاب بل أن فيها ما قد يضرهم ذهنيا وخلقيا واجتماعيا.. وكلنا سمعنا بالذين قلدوا فيلم (رجل الستة ملايين) الذي كان يعرض في التلفزيون وصنعوا مثل ما كان يصنع حتى أودى بحياة بعضهم.. وبعض البرامج فيها ما يجب حجبها عن أطفالنا ومراهقينا، ومراهقاتنا لاننا لا نريد أن يفتحوا عيونهم الا على ما يغذى نفوسهم بالفضيلة وسمو الأخلاق.. ولا يمكننا أن نطالب التلفزيون.. الا يقدم من البرامج الا ما يتلائم مع أذهان أطفالنا ومراهقينا.. فهو مضطر ان يقدم لكل فئة من الناس ما يوائم اذواقهم وأمزجتهم ومداركهم.. وعلينا نحن.. الانسمح لأطفالنا الا برؤية البرامج النافعة لهم والتي خصصها التلفزيون لهم.. وهى برامج مستوفيه تعطيهم حقههم وأكثر من حقهم.. وأن نشغل بقية أوقاتهم في أمور أخرى تنفعهم في دراستهم المقبلة، وتقوى مداركهم، وتنمى معلوماتهم.. يجب أن يتعاون المنزل معهم على تهيئة كل الفرص الطيبة لهم.

بقيت كلمة لا بد من توجيهها للمدارس والقائمين عليها.. هذه الكلمة

ايقظها لدى ماكننا نعانیه أيام الدراسة من متاعب لقد كنا قبل نصف قرن أو أكثر.. عندما كنا طلابا صغارا نقاد — الى المدرسة بالسلاسل.. وكأنا نقاد الى السجن.. فليس بالمدرسة ما يغري على حب المدرسة أو على الأقبال على المدرسة.. أو الكتاب — بتشديد التاء — وكنا غالبا مانقابل من المراقب أو المدرس بالعصا.. وكثيرا ماكننا نتمنى المرض وكنا نتصنع المرض (بالكذب) لنتخلص — ولو يوما واحدا من المدرسة.. ومنذ أن ندخل المدرسة، أو الكتاب ونخن في انقباض وغم.. الى أن نخرج منها.. وكان الدرس الذي يسلينا بعض الشيء.. درس الأناشيد، ودرس الرياضة البدنية.. ومع هذا فقد كان يدخل المدرس الفصل والعصا مشرعة في يديه.. وكان بعض المدرسين يقول أن حمل العصا في الفصل لا لضرب الطلبة.. ولكنها مثل (الكيف) اذا دخل الفصل ولم تكن معه يشعر أن شيئا ناقصا لديه لا بد من اتمامه.. ومادري ان هذه العصا ترهب الطالب.. وتكرهه في المدرسة.. والدراسة.

وكل طالب منا كان يتوقع أن تلهب العصا فقاه عند أقل غلطة أو كما كان يتصور الاستاذ أنها غلطة.. وكان من موجبات الضرب للطالب.. الابتسامة أو الضحك.. كانت الابتسامة والضحك من الجرائم التي يعاقب عليها الطالب.. وافظع واكره مافى المدرسة العقاب البدنى على اتفه الأسباب.. وبقسوة لاتعرف الرحمة.

اذكر العريف.. الشيخ محمد بن سالم رحمه الله وسامحه كان يجلس في الكتاب على مرتبة صغيرة.

ومن فوقها سجادة.. وكان تحت السجادة عدد من العصي المختلفة الأحجام والأطوال واذا أراد أن يضرب طالبا في (الفلكة) يختار من هذه العصي.. أجدها وأسوأها.. لذلك كنا نرى الكتاب أو المدرسة حجما.. ونتمنى اليوم — الأبيض الذي نمرض فيه وننفك من المدرسة.

أما الآن فأن نظام المعارف — فيما أعرف — قد حرم العقاب البدنى في

المدارس.. الا في حالات نادرة جدا.. وحرم الدخول بالعصا الى الفصل.. ولكن فيما أظن ينقصنا.. أن يوجد بالمدرسة مايجب المدرسة للطلاب سيما الأطفال منهم.. ينقصنا أن توجد وسائل اجتذاب المدرسة للطلاب.. وأن توجد وسائل الترغيب والتسلية للطلاب.. لتكون أحب اليه من المنزل ومن كل مكان آخر.. فتقدم المدرسة للطلاب الهدايا البسيطة التي تفرح الطالب ولا تكلف شيئا.. أن مجرد إعطاء الطالب الهدية او الكلمة الطيبة يفرح الطالب، ويدخل السرور عليه.. ويحبب المدرسة اليه مهما كانت الهدية، وأن يقابل الطالب بوجه باش ضاحك لألا ينفر من المدرسة ومما يقال عن بعض المدارس — في بلاد بره — أن الحروف الهجائية تصنع للطالبة من الحلوى.. واذا ما حفظ الطالب الحرف يعطى له — يعنى تعطى له قطعة الحلوى التي تشكل الحرف.. يأخذها للبيت ليطلع عليها أهله.. ثم يتناولها.

والطالب الصغير وغير الصغير — مزاجه قريب — أقل مايدخل عليه السرور ويفرحه بالمدرسة والمدرس الناجح هو الذي يستطيع أن يحبب الطلبة اليه واذا أحب الطالب المدرس أحب المدرسة — أذكر اننا كنا في المدرسة التي كان مديرها الشيخ أسعد توفيق رحمه الله وكان من مدرسيها السيد احمد صقر رحمه الله وكانت مدرستنا.. في زقاق الخياطين.. بقرب المسجد النبوي.. وقد نقل السيد احمد صقر مديرا لمدرسة أخرى وكانت في بيوت الأشراف أمام الشونة.. وعين بدله استاذ تركنى لايعرف اللغة العربية.. وكان قاسيا شديدا وكنا نذهب للمدير نبكى ونطلب إعادة استاذنا السيد احمد صقر لأننا نحبه ونشعر بعطفه علينا.. ولما لم يعاد الى المدرسة خرجنا من مدرستنا والتحقنا بمدرسة السيد احمد صقر في حوش الأشراف.. وكان هذا.

ومعذرة أن سرح القلم مع ذكريات الماضى البعيد انه تاريخ قديم لتلك الفترة.. التي يجب أن يعرف الأجيال كيف كانت المدرسة أيام أبائهم واجدادهم.. وليحمدوا الله على النعمة التي هم فيها فقد كان أبلغ ما كنا نتمناه ونسعى اليه الحصول على الشهادة الابتدائية.. والآن لايقنع ابناؤنا الشهادة الجامعية ولا الماجستير.. الهدف الآن الدكتوراه.. ومن لايتحصل

على الدكتوراه فإنه لا يجد العمل المناسب ولا الراتب المناسب ولا المكانة المناسبة بين أقرانه والحمد لله أولا وأخيرا.

* الراسبون:

وهنا موضوع آخر.. ما حبيت أن أترك مكانى هذا حتى أتحدث عنه.. ذلك هو رسوب بعض الطلاب.

واستياؤهم استياء شديدا، واستياء أوليائهم.. وقد علمت عن طالب بذل مجهودا كبيرا.. وكرس كل أوقاته في المذاكرة.. ولكن الله تعالى لم يرد له النجاح.. فلزم داره، ولزم معه أهله الدار.. وهم فى بؤس مابعده بؤس — ولماذا كل هذا

أنه يجب أن يتقبل المرء مثل هذه وغيرها من المصاعب بالرضا من الله تعالى والصبر.. والأيام أمام الانسان.. يمكن أن يستدرك فيها مافات سىا اذا كان قد أدى واجبه من المذاكرة والدرس.. ولم يرد الله له النجاح وشاعرنا يقول :

على المرء ان يسعى وي بذل جهده وليس عليه ادراك النجاح
ولعل الله اراد به خيرا.. فقد يكون ضعيفا في مادة هو فى أمس الحاجة اليها.. ورسوبه يسبب له القوة فيها والتفوق.

وليس أقدر في التغلب على المصاعب من الرضا بما عند الله والصبر..
فأن عند الله مالا عند الناس، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون.

واذكر بهذه المناسبة.. موضوعا.. ما كان يخيل لى ابدا أن اتحدث عنه — بعد أن نسيتته ولكن هذه المناسبة وما قد يكون فيه تسلية.. جعلنى اتحدث عن ذلك.

أننى رسبت في السنة الثانية أو الثالثة الابتدائية — وكانت الدراسة الابتدائية خمس سنوات.. وكان رسوبى في مادة (الاملاء) كنا اخذنا في درس الأملاء رسم الهمزة.. فى أحوالها المختلفة.. وفي أل الكلمة واخرها ووسطها... ومتى ترسم مفردة، ومتى ترسم على الألف، وعلى الياء وعلى الواو، وكانت لدى من الصعوبة بمكان.

وجاء المدرس.. ففتن في وضع أسئلة الاختبار.. وضعها معقدة.. وكأنه يختبر اناسا في مستواه.

ومما أذكر الكلمات الصعبة التى جاءت فى الاختبار كلمة (ضىء ضىء).. والتى لايمكن أن انساها رغم مضى اكثر من خمسة وخمسين عاما.. ولاأذكر أن طالبا كتبها صحيحة الا ماندر.

ولم يكن لدينا دور ثان في الاختبار.. والدور الأول كان يحضره كبار شخصيات البلد.. من قضاة.. ومفاتي، وعلماء.. ومجرد وقوف الطالب بين أيديهم ينسيه كل شيء.

رسبت فى مادة الأملاء تلك السنة فافتنى هذه السنة لم يفتنى فى السنة القادمة والذى — رحمه الله — قال لى لانهتم فالمستقبل أمامك ومر الوقت كأن لم يكن شيئا في حياتى.

ثم ماذا كان فى السنة الثانية.. لقد عكفت على دراسة مادة الاملاء.. ودراسة رسم الهمزة بالذات.. وتحصلت فى الاختبار على الأولية فى مادة الأملاء فى الفصل.. وكان ينافسنى فى الأولية الصديق العزيز صالح طاهر.. وكنا متجاورين فى الجلوس فى المقاعد الدراسية.. وكان معروفا بتفوقه فى الأملاء.. ولكن الله عوض على فأخذت ٣٠ درجة واخذ هو ٢٩ درجة فى درس الاملاء واعطانى استاذنا السيد احمد صقر رحمه الله — امتيازاً، وهى بطاقة مذهبة تعطى لمن يأخذ الأولية فى الفصل.

وعليه.. فأن نصيحتى للطلاب الذي يرسب.. الرضا بما قسمه الله والصبر.. وعدم التذمر.. وأحب أن يعلم أن هذه السنة لم تضع عليه.. وسوف يعوضه الله خيرا فيما بعدها.. وسوف يشعر بأنه قوى في جميع موادها.. سيما فى المادة التى رسب فيها.. ويجب على أولياء الأمور — الطالب الذي يرسب أن يكونوا عوناً له فى تحمله للمشكلة وأن يوجهوه التوجيه السليم.. فعسى الله أن يأتى بخير فى أعوامه المقبلة والله الهادي الى سواء السبيل.

ولا يخفى على القراء أن كثيرا من الفلاسفة والمخترعين كانوا يرسبون فى الدراسة وكثير من الطلاب لا يهضمون الرياضيات وميولهم أدبية فيتفوقوا فى المواد الأدبية ورسبوا أو يكونوا ضعافا فى المواد الرياضية والعكس بالعكس.

فالرسوب لا يقف فى وجه العباقرة ولا يحد من نشاطهم أبدا وكم من راسب صار عبقرىا ونجح نجاحا لم ينجحه المتفوقون فى كل الدروس.

هذه كلمة اقولها بمناسبة مارأيت من بعض الطلبة الذين رسبو وصممو على ترك الدراسة بمناسبة رسوبهم وساعدوهم اهلهم على ذلك كاحتجاج على المدرسة.

** الدراسة الثانوية للبنات بالمدينة المنورة

منذ ان تبنى.. الفصيل المعظم.. رائد العلم وبانى صرحه العتيد.. منذ أن تبنى العلم وتعليم الفتاة وأفسح لها مجال التعليم المنظم.. واقبال الفتاة على التعليم — لا يكاد يقف عند حد..

ورغم انتشار — مدارس البنات — في طول البلاد وعرضها — في المدينة والقرية.. فإن الرئاسة العامة لمدارس البنات على ما هو معروف.. من حرصها على فتح مدارس للبنات فى مختلف انحاء المملكة — فأنها قد عجزت عن اجابة جميع طلبات المواطنين بفتح مدارس للبنات.. ذلك لتعطش الفتاة لارتياذ مناهل العلم.. بعد ان حرمت منه فترة من الزمن..

وما هذه اللفتة.. الملكية الكريمة — من الفصيل بن عبد العزيز — بصدور الامر الكريم بفتح ٣٧ مدرسة ابتدائية للبنات — يبلغ تكاليفها حوالى ٧ ملايين ريال.. مما لم تكن ضمن مشاريع الرئاسة العامة.. وليس لها علاقة بالميزانية العامة.. بل هي بأمر ملكى خاص.. ماهذه اللفتة الكريمة الا حرصا من جلالة على توسيع نطاق تعليم الفتاة.. وشعورا من جلالة بحاجة المملكة.. الى فتح هذه المدارس.. ومن فتح مدرسة فقد اغلق سجنا.

ولست الان.. بصدد التحدث عن التقدم الكبير.. في تعليم الفتاة.. الذي عم ارجاء المملكة وما بلغه تعليم الفتاة.. من نجاح عظيم.. لست بصدد التحدث عما لمسه الجميع من انتشار تعليم الفتاة على هذا النطاق الواسع..

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٨/٥/٢١ هـ

في المدن والقرى.. والتقدم الحضارى.. الذي عم الدور والمنازل فأصلح الكثير من شأنها.

لست في هذا المجال.. ولكن حالة شاهدها عند زيارتي القصيرة للمدينة المنورة.. مدينة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. فقد علمت ان تعليم الفتاة بالمدينة يقف عند شهادة الكفاءة المتوسطة وان عددا من الفتيات يتراوح بين ٣٦ — ٤٠ فتاة قد تحصلن على شهادة الكفاءة أو الكفاية.. على رأى استاذنا الطنطاوى — بعضهن تحصلن على هذه الشهادة في العام الماضى وبعضهن تحصلن عليها هذا العام.. وانهن التسن فتح قسم ثانوي ليواصلن دراستهن لثلا تفوتهن فرصة التعليم.. بعد ان وصلت هذه المرحلة من التعليم وتذوقت لذة العلم.. وعرفت فضله.. لايقتنعها ان تقف عند هذا الحد مادام في مجال العلم متسع امامها فهي تتطلب المزيد والمزيد من العلم.. ليتسنى لها ان تخدم وطنها مسلحة بالعلم والفضيلة.

وانى لارجو.. ان تشملهن رعاية الفيصل العظيم — وان يحظين من الرئاسة العامة لمدارس البنات.. بفتح هذا القسم.. تمشيا مع السياسة التعليمية الحكيمة التي سنها فيصلنا العظيم.

واعتقد ان المشكلة.. التي تقف في طريق فتح هذا القسم الثانوي في هذا العام.. هى عدم وجود معمل للدراسات الثانوية او ان الوقت لايتسع لتأسيس هذا المعمل لامكان فتح القسم الثانوي هذا العام.. ولكن هذه المشكلة فيما ارى — يمكن حلها — مؤقتا.. بأن تكون دراسة الطالبات (العلمية) في معمل الدراسة الثانوية للبنين.. بحيث يخصص لهن وقت للدراسة في هذا المعمل.. في فترة ما بعد العصر او بعد المغرب مرتين او ثلاث في الاسبوع حسبما تتطلبه الدراسة.

وانى لوائق ان وزارة المعارف.. والمدرسة الثانوية سوف ترحبان بهذه الفكرة مادام فيها خدمة للعلم الذي هو رائد الجميع.. وذلك ريثما يتم تأسيس معمل خاص لمدارس البنات.

ولم يبق بعد ذلك سوى زيادة مدرستين او ثلاث للتعليم الثانوي.

هذه مجرد فكرة اعرضها على المسؤولين راجياً ان تنال موافقتهم حرصاً على اكتساب الوقت وعدم حرمان فتياتنا من التعليم لان انقطاعهن عن التعليم سنة او سنتين او ثلاث قد يؤثر على مجرى حياتهن التعليمية.. التي نرجو جميعاً أن تتم على أحسن طريق.

** الطلاب المبتعثون في العهد العثماني

وجه الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصارى صاحب مجلة العلم والادب والتاريخ (المنهل) الاغر، رسالة يطلب فيها منى التحدث عن طلاب المدينة المبتعثين الى جامعة استامبول في العهد العثماني وماهو دورهم في تفتيح الوعي الثقافى الحديث لدينا وذلك بمناسبة اعترامه اصدار عدد ممتاز من المنهل فى غرة ذى الحجة ١٣٨٨هـ كعادته في كل عام.

وانى لاشكر للاستاذ الصديق أن اتاح لى فرصة البحث والتنقيب عن تاريخ المدينة المنورة التعليمى في تلك الحقبة من الزمن، وتسجيل مايمكن تسجيله عن النواحي التعليمية، بعد ان اوشكت ان تنطوى مع الزمن الاساليب التعليمية ورجال التعليم في ذلك العهد.

ولقد استطعت باتصالي ببعض شيوخنا الأفاضل الذين عاشوا تلك الفترة، استطعت ان اتحصل على بعض معلومات اعتقد انها قد تلقى بعض الضوء على الحياة التعليمية في ذلك الحين.

ومن اتصلت بهم من شيوخنا الامثال الشيخ محمد المغيربى فتيح والسيد محمود احمد والسيد عبد الله جعفر والسيد احمد الرفاعى والسيد مصطفى عطار والشيخ حسن قبانى والسيد على عطاس والشيخ احمد صادق.. وجميعهم عاشوا تلك الحقبة من الزمن، وبعضهم من ابتعث الى الخارج وبعضهم ممن تلقى علومه في مدارس ذلك العهد..

نشرت في مجلة المنهل في ذو الحجة ١٣٨٨هـ

** الحركة التعليمية في المدينة

ومجدد بنا التحدث عن الحركة التعليمية — بالمدينة المنورة — قبل التحدث عن البعثات العلمية، لان البعثات العلمية هي جزء من الحركة التعليمية.

لقد مضت فترة طويلة من تاريخ المدينة المنورة في العهد العثماني.. دون أن تؤسس مدارس منظمة للتعليم، وكان التعليم معظمه يقتصر على دراسة القرآن الكريم في «الكتاتيب».. ويتعلم الطالب في الكتاتيب (فك الحرف)، ثم يتدرج في حفظ القرآن المجيد ويبدأ من السورة الصغيرة، واذكر اننا عندما تعلمنا فك الحروف في كتاب الشيخ ابراهيم الطرودي — رحمه الله — كنا نكتب الفاتحة والمعوذتين ومابعدهما من السور الصغيرة على اللوح الخشبية بحروف مقطعة كأن تكتب الفاتحة هكذا «ال ح م د ل ل ه ر ب ال ع ال م ي ن» لتهجى الحروف ثم تربط في كلمات.

وهي طريقة طويلة بعيدة المدي.. تتطلب جهدا وقتا طويلا، وقد يشب الطالب عن الطوق، وهو مازال في مراحله الاولى التعليمية، لذلك كان لا يجتاز هذه المرحلة من الطلاب في سن مبكرة، الا النوابع بالغوا الذكاء والفتنة.

وبدأت الحكومة العثمانية في تأسيس المدارس التحضيرية والابتدائية في حوالى عام ١٣١٠هـ وأول مدرسة أسست بالمدينة هي (المدرسة الرشدية) وسميت بالمدرسة الرشدية نسبة الى والى الحجاز رشدى (بك)، ثم أسست المدارس التحضيرية من اربعة فصول والمدارس — الابتدائية بزيادة فصلين عن المدارس التحضيرية وبلغ عدد المدارس التى أسست في العهد العثماني اربع مدارس تحضيرية وثلاثا ابتدائية، فى مختلف نواحي المدينة المنورة وأطرافها، ومدرستين ليليتين لتعليم الاميين.

وفي حوالى عام ١٣١٨هـ أسست «المدرسة الاعدادية» وهى في مستوى

المدارس الثانوية وكانت ذات خمسة فصول ثم أضيف إليها فصل سادس باسم «إحضارى فصلى» «جامعى» بمستوى السنة التوجيهية، وهذا الفصل يعتبر كسنة أولى (سلطاني).

وكانت الحكومة العثمانية تطلب كل عام أربعة من خريجي المدرسة الاعدادية لابتعاثهم، ولكن الأقبال على ذلك كان ضئيلا جدا.. وقبيل الحرب زاد الأقبال على التعليم والابتعاث. وكان المتخرجون من المدرسة الاعدادية يتبعثون الى المدارس السلطانية باستامبول أو دمشق أو القدس.

وكان مبنى المدرسة الاعدادية بالباب المجيدي في شمال شرقى المسجد النبوي — ثم تحول الى عمارة المدرسة الناصرية الابتدائية، وقد ازيلت مباني هذه المدرسة في التوسعة السعودية للمسجد النبوي عام ١٣٧٥هـ.

ولم تجد المدارس في العهد العثماني أول الامر إقبال من اهل المدينة المنورة.. فقد — كانت الفكرة السائدة ان هذه المدارس تؤدي الى إلحاق أبناء المدينة — بالعسكرية — ولكن هذه الفكرة مالبت ان تلاشت تدريجيا، وحصل الأقبال على الأنتساب للمدارس، وتخرج عدد كبير من الطلاب منها، وكانوا النواة الاولى لحمل راية التعليم بالمدينة وإدارة دفة الاعمال الحكومية.

**** دار المعلمين**

وقد انشأت الحكومة العثمانية بالمدينة المنورة مدرسة «دار المعلمين» في حوالى عام ١٣٢٧هـ وكان مقرها دار جونة بالساحة، ويلتحق بها المتخرجون من المدرسة الاعدادية، وتعنى دار المعلمين بتعليم الطلاب أصول التدريس لتزويد المدارس التحضيرية والابتدائية بالمدرسين وكانت الدراسة بدار المعلمين باللغتين العربية والتركية، في الوقت الذي كانت الدراسة بالمدارس الابتدائية والتحضيرية والاعدادية كلها باللغة التركية، وقد تحولت الدراسة

بالمدرسة الاعدادية في الفصول الاخيرة الى اللغة العربية ماعدا اللغة التركية وآدابها وبعض الفنون.

وكانت الحكومة العثمانية تدفع لكل طالب في دار المعلمين ثلاثة (ريالات مجيدية) شهريا تشجيعا له على الدراسة.. واخبرني الشيخ حسن قباني احد طلاب دار المعلمين انه كان مشروطا ان لا يقل عدد كل فصل من فصول دار المعلمين عن خمسين طالبا.. الا ان مجموع من التحق بدار المعلمين في أصنافها الثلاثة لايزيدون عن الخمسين طالبا.. وقد اغلقت دار المعلمين وارسل طلابها المتفوقون الى كلية صلاح الدين الايوبى بالقدس، والمدرسة السلطانية بدمشق لاكمال تحصيلهم.. وكان الفصل الدراسي يسمى (صنفا) فيقال: الصنف الاول والصنف الثانى وهكذا.

وقد أغلقت جميع المدارس بالمدينة في حوالى ١٣٣٤هـ بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى وتحول الحكم بالمدينة (للقوة السفرية) بقيادة فخرى باشا فكان الحكم بالمدينة عسكريا وبدأ تهجير اهالى المدينة لدمشق وبعضهم سافر الى مكة المكرمة.. وفي تلك الفترة اسست مديرية عامة للمعارف مربوطة بنظارة المعارف باستامبول.

**** الجامعة الاسلامية**

وقد تقرر تأسيس جامعة اسلامية بالمدينة المنورة في العهد العثماني تسمى جامعة(صلاح الدين الايوبى) ليلتحق بها المتخرجون من المدرسة الاعدادية.. وقد عين مديرا لها الشيخ (عبد العزيز شاويش) الذي قدم الى المدينة المنورة ومعه الامير شكيب ارسلان والسيد عبد القادر الجزائري يحملون الخرائط والمواصفات لهذه الجامعة ومعهم المهندسون الاختصاصيون لهذه الجامعة وقد أرسوا الحجر الأساسى للجامعة في الجهة الغربية بشارع العنبرية.. ويقال انهم وضعوا مع الحجر الأساسى لهذه الجامعة صورة من الامر السلطانى ببناء الجامعة وصورة من الخرائط ومجموعة من النقود العثمانية.

وفي اثناء عمارة هذه الجامعة فتحت في القدس كلية صلاح الدين الايوبى في مؤسسة الفرير الافرنسية، الى حين يتم بناء جامعة المدينة فينقل طلابها من القدس الى المدينة وقد تقدم عدد كثير من الطلاب من المغرب والجزائر والعراق ومصر وكثير من البلاد العربية والاسلامية تقدموا بطلب الالتحاق بجامعة صلاح الدين الايوبى بالمدينة، وقبلت طلباتهم وانتسبوا مؤقتا لجامعة صلاح الدين بالقدس لينقلوا الى جامعة المدينة متى تم إنشاء مبانيها.

وقد شرع في بناء الجامعة الاسلامية بالمدينة فى حوالى عام ١٣٣٢هـ بموجب المخططات والرسومات التى جاؤا بها من استامبول وكان الحجر الاسود المنحوت، كأقوى بناء عرف في ذلك العصر، وقد شيد القسم السفلى من مباني هذه الجامعة، الا ان الحرب العالمية الاولى قد حالت دون إتمام مبانيها فتوقفت فى عام ١٣٣٤هـ بعد ان تم بناء الطابق السفلى. وقد شيد في العهد السعودي طابق ثان على مباني هذه الجامعة واصبحت المدرسة الثانوية بالمدينة الآن.

هذا وأما الجامعة الاسلامية الحالية، فقد أنشأتها الحكومة السعودية واقامت لها مباني ضخمة تشرف على وادى العقيق في المكان المسمى بسلطانة الآن، ويسمى تاريخيا عَرْصة العقيق الكبرى وهى على مسافة خمسة كيلو مترات عن المدينة وتؤدي الجامعة الاسلامية واجبها العلمى والدينى على خير وجه.

**** البعثات العلمية**

ويأتى الحديث عن البعثات العلمية، التى ابتعثت الى الخارج من المدينة المنورة، وتجاوزت أسوارها لأول مرة في تاريخ المدينة، ولعله اول مرة في تاريخ هذه البلاد.

ولم استطع ان اتحصل على معلومات دقيقة ووافية لهذه البعثات، وكل ماتحصلت عليه — هو ماوعته ذاكرة السادة الذين اتصلت بهم — وقد بخرت

السنون معظم تلك المعلومات، اللهم الا ما كان من خيط دقيق هو الذي استطعت ان ادون منه مادونت من معلومات.

وقد اخبرنى السيد محمود احمد ان اول بعثة ابتعثت من المدينة، من متخرجى المدرسة الاعدادية ذات نظام الخمس سنوات كان من ضمنها شقيقه (السيد جميل احمد) والشيخ امين توفيق، وقد التحقت هذه البعثة بكلية «دار الشفقة» في استامبول وهى كلية سلطانية خاصة لايلتحق بها احد من الطلاب الا بأمر سلطانى.. وكان سفر هذه البعثة من المدينة في أول عام ١٣٢٤هـ وهى أول دفعة تخرجت من المدرسة الاعدادية كما ان السيد احمد الرفاعى قد تحصل على أمر بدخول هذه الكلية في آخر العهد العثمانى.

والمعروف ان ابتعثت الطلاب المتخرجين من المدرسة الاعدادية ودار المعلمين كان الى ثلاث جهات: استامبول، ودمشق، والقدس وكانت الحكومة تساعد المبتعثين بتخفيض تذكرة السفر على القطار الى النصف فيدفع الطالب مبلغ جنية ونصف بدل كامل التذكرة التى هي ثلاثة جنيهات. ومن التحق بجامعة صلاح الدين بالقدس، الشيخ محمد المغيربى فتيح، والشيخ عمر قازانى، والشيخ عبد القادر عبد الجواد والشيخ سليمان حماد والشيخ كامل حوارى والشيخ حسن قبانى والشيخ منتظر طرابزونى والشيخ عمر توفيق والشيخ حسن عنبر خان.. ومن ابتعث الى الأستانة رفاقت على وقد تخرج طبيبا وعاد الى المدينة المنورة ومارس الطب فيها، ومن المبتعثين الى الأستانة السيد جميل حبيب احمد.

ومن ابتعثت للمدرسة السلطانية بدمشق السيد حسين طه والسيد محمد على طه والشيخ احمد صادق والشيخ حمزة سمان والشيخ ابوبكر حمد الله.

وقد يكون غير هؤلاء ابتعثوا ايضا ولكن هذه الاسماء هى التى استطعت الحصول عليها من اتصلت بهم.

وجاءت الحرب العالمية الاولى، ومعظم المبتعثين لم يتموا دراساتهم،

واغلقت المدارس والكليات في الممالك العثمانية فعاد بعض المبتعثين الى المدينة المنورة وواصل بعضهم دراسته بطريقة من الطرق.

ومن الذين واصلوا دراستهم في مختلف الجامعات الشيخ (محمد المغربي فتيح) فقد تخرج من المدرسة الاعدادية في عام ١٣٣١هـ وكان من المقرر ان يستعث مع زملائه الشيخ عبد القادر عبد الجواد والشيخ كامل حواري الى استامبول ولكن ابتعائهم تحول الى القدس بجامعة صلاح الدين الايوبى بعد ان أنشئت هذه الجامعة. وكانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدراسة في كلية صلاح الدين بالقدس كما يدرس بها ثلاث لغات اجنبية هي اللغة الانكليزية والافرنسية والروسية وثلاث لغات شرقية هي التركية والفارسية والاردو، واحدى هذه اللغات اجبارية.

وبعد ان تخرج محمد المغربي من كلية صلاح الدين التحق بالجامعة الاميركية بببيروت ثم التحق بالجامعة الاميركية باستامبول وتحصل على شهادة الاقتصاد السياسى العليا من الجامعة الاميركية بسويسرا ونال درجة البكالوريوس فى الحقوق والسياسة الدولية من جامعة لوزان فى عام ١٣٣٨هـ.

**** دور المبتعثين فى تفتيح الوعى**

أما دور هؤلاء المبتعثين فى تفتيح الوعى الثقافى لدينا، فما لاشك فيه ان الوعى الثقافى بدأ يتفتح منذ بدأ تخرج طلابنا من المدارس الثانوية وابتعائهم الى الخارج لمواصلة دراساتهم الجامعية، الا ان مدممة الحرب العالمية الاولى لهذه الحركة التعليمية قد حد من النهضة العلمية فى ذلك الحين.

وظلابنا المبتعثون الى الخارج هم مبدأ تفتح الوعى التعليمى الثقافى بالمدينة وقد كانوا النواة الاولى لتفتح هذا الوعى، على ان الذين قاموا بدفع عجلة التعليم وتطويره بعد الحرب العالمية الاولى اليد الطولى فى التعليم

والتثقيف والذين اداروا الاعمال الحكومية وغير الحكومية هي تلك المجموعة الضخمة من الذين تخرجوا من المدارس الاعدادية ودار المعلمين وهم الذين قادوا الحركة التعليمية والادارية بعد الحرب العالية الاولى اذكر منهم:

السيد محمود احمد، الشيخ اسماعيل حفظى، السيد حسين طه، السيد على حلوانى، الشيخ اسعد توفيق، الشيخ كامل توفيق، الشيخ صالح كردي، السيد عبدالله جعفر، الشيخ حسن ناصر، الشيخ محمود عبد الجواد، الشيخ محمد عبد الجواد، الشيخ عبد الحميد خطاب، الشيخ كامل خطاب، السيد يس جعفر، الشيخ يس كردي، السيد محمد صقر، الشيخ خليل حوارى، الشيخ كامل حوارى، الشيخ محسن حوارى، الشيخ طالب توفيق، الشيخ عباس توفيق، الشيخ عبد الاله توفيق، الشيخ بكر جاد، الشيخ احمد ابوبكر حمد الله، الشيخ امين توفيق، الدكتور محمد الخاشقجي، الشيخ عمر حلوانى، الشيخ محمود داغستانى، الشيخ محمد الكتامى، الشيخ احمد الكتامى، السيد مصطفى عطار، الشيخ منتظر طرابزونى، الشيخ حمزة توفيق، السيد حمزة صقر، وغيرهم ، وغيرهم ممن لااستطيع حصرهم.

هؤلاء الرجال، هم الذين فتحنا اعيننا، وهم يديرون دفة الاعمال التعليمية والاعمال الحكومية.

وقد فتحت في العهد العثمانى حوالي عام ١٣٣٨هـ اربع مدارس تحضيرية كل مدرسة ذات فصلين، ومدرسة راقية ذات خمسة فصول وهذه المدارس هي:

المدرسة العلوية ومديرها الشيخ يس كردي، والمدرسة الفيصلية ومديرها السيد حسين طه، والمدرسة العبدلية ومديرها السيد احمد صقر، والمدرسة الزيدية ومديرها السيد ماجد عشقى، ثم اسست المدرسة الراقية في عام ١٣٤٠هـ وتولى ادارتها حسين طه، والطلاب الذين يتخرجون من المدرسة التحضيرية يلتحقون بالمدرسة الراقية.

ولا اريد الان ان اقارن بين النهضة التعليمية والابتعائية في العهد

السعودي مع ما كانت عليه — في الايام الخالية — فقد قفز التعليم في العهد السعودي الى مستوى عال.. انتشرت فيه المدارس في جميع انحاء المملكة — المدن والقرى، وأسست الجامعات والكليات في عدة نواح من المملكة ووصلت النهضة التعليمية الى حد لم يسبق لهذه البلاد ان وصلته في اى عهد من العهود ولعلى اعود الى الحديث عنها فى فرصة اخرى اكثر ملاءمة.

هذا ولعلى استطعت ان اجيب على سؤال الصديق الانصارى صاحب (المنهل) العذب في موضوع تاريخى، قد احسن الظن بى اذ عهد الى بالكتابة فيه، بعد ان كادت الايام تطويه كما طوت غيره من تاريخ هذه البلاد.

على انى ارجو ممن لديهم معلومات اوسع ان يتفضلوا ببعث مالىهم اليها منها خدمة للحقيقة وتسجيلا للتاريخ.

** اتقوا الله في فتياتكم

كثير منا من ينظر الى تزويج بناتهم من زاوية ضيقة محدودة — لا تترهم الحقائق كما هي — ولا تشف عن رغبات بناتهم.. وما يتطلعن اليه، من أن يكن ربات بيوت.. ولا يتحسسون أراء فتياتهم وأهدافهن.. فيرفضون تزويجهن المرة تلو الأخرى.. لأتفه الأسباب.

وقد تعود عاقبة هذا الرفض.. بأسوأ العواقب على الفتيات وعلى الأسرة. كثير منا من لا ينظر الى تزويج فتياتهم بالعين التي تنظر اليها الفتاة نفسها صاحبة الشأن وماتصبا اليه من سعادة زوجية تحقق بها بناء أسرة وتربية أطفال.. وتصبح ربة بيت مستقبل.. يكون بجانبها زوج يسعدها.. ويقوم بأودها.. ويتعاون معها على بناء بيت الزوجية لتصبح سيدة الموقف وصاحبة الشأن.

كثير منا، من لا يدخل في حسابه، ماتتطلع اليه الفتاة في المستقبل القريب أو البعيد، من انجاب أطفال.. يصبحون رجالا.. فيكونون عمادها في المستقبل.. ويعينوها ويحملون (كبرتها) اذا تقدم بها السن.

أن بقاء البنات عانسات في دور أوليائهن بعد أن يتردد الخطاب عليهن، فيرفضون.. أنها، احدى الجرائم التي يرتكبها أولياء أمور الفتيات في حق فتياتهم — لأنهم بذلك يستثيرون حفاظهن، فيفقدون أعصابهن وربما تصرفن تصرفا جنونيا.. عندما تضيق صدورهن ولايستطعن الأفضاء بما في نفوسهن، فيلجأن للتخلص من حياتهن، وكثيرا ماحدث هذا، ويكون المسؤول عن هذا التصرف الأحمق.. تصرف أولياء أمورهن الممقوت. وفي الحديث الشريف

لشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٩/٩/٤ هـ

«إذا اتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وإذا تدبر أولياء أمور الفتيات هذا الحديث الشريف.. إذا تدبروا تحذيره صلى الله عليه وسلم في قوله (ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) عرفوا أى جناية يجنونها على بناتهم.. مجرمان من الزواج، وتعريضهن للفتنة والفساد الكبير.

لقد اثار هذا الحديث في نفسي — رسالة تلقيتها من إحدى الفتيات أنشرها هنا بنصها..

تحية طيبة وبعد أنى أقدم لكم في بداية رسالتى هذه جزيل الشكر والتقدير لما قدمتم لنا من فائدة في حلكم للمشاكل وانى ابعث لكم بمشكلتى هذه وارجو أن يوفقكم الله في الرد عليها.

أنى فتاة في الحادية والعشرين من عمرى وقد تقدم لى كثير من الخطاب منهم متوسط المعيشة ومنهم أثرياء ولكن كثيرا مايتردد والدى واخوانى ويرفضون بحجة هذا أجنبى وهذا ماعنده وظيفة وهذا جنسه كذا وهذا كذا.. حتى السعوديين اللى من جنسى برضهم مانعوا بتزويجى منهم.. والرجل اللى أوافق عليه يمانعوا منه، فتعرفت الى شاب تربطنا به صلة وأكثر ماأعجبنى بهذا الشاب أنه مهذب ولايملك على شهادة في يده أنه صاحب صنعة مشرفة ومن عمله الى المسجد فى كل فرض وقد تقدم لخطبتى وماكان من والدى الا الرفض وادعى له أنى أرفض أنا الزواج.. فأنا موافقة على هذا الشاب لأنى كنت أبحث عن رجل متوسط الحال ونعيش سعداء في هذه الحياة فما أتمنى الرجل الغنى لكن أهلى فيهم الغرور والكبرياء، فأقسمت بيمين بألا أتزوج لأى شاب مهما كان وأعمل معهم العناد لأنهم حرمونى التعليم أولا وثانيا رافضين لى سعادتى فأنه لا فى يدي شهادة أملك عليها فى آخر الزمان.. أريد رجلا يسعدنى أن أعيش معه عن كلام الناس

فأرجو الحل، وكثيرا ماأنام الليالى وأحاول الأنتحار وأصبحت أتضايق من كلام أهلى فأرجو الحل..

هذا هو نصر الرسالة ويكفى معلقته عليها سابقا.. أما هذه الفتاة فأنى أنصح لها بمراجعة المحكمة الشرعية فلعل في يد الحاكم الشرعى ما يحقق آمالها.

ليأخذ أولياء الفتيات الذين يمانعون في تزويج بناتهم عبرة مما يجيش في نفوسهم ومايلحقن من غبن وكرب واثرسىء.. من رفض تزويجهن..

وهذا هو نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الى محرر زاوية دنيا الناس.. الفتيات بأمراض يستعصى علاجها.. من غبن مايرون من رفض أوليائهن تزويجهن وقد تقضى هذه الأمراض على الفتيات وهن فى زهرة العمر.. وعمر الزهور.. يستعصى علاجهن لأن الدواء ليس فى يد الطبيب أو مخازن الأدوية ولكنه فى أيدي أوليائهن القساة قصيرى النظر.

وبصرف النظر عن الغريزة التي أودعها الله تعالى في الانسان والتي يعتبر الحافظ على صيانتها — جهاد عظيم للنفس — اذ أن الحفاظ عليها احدى الأمور التي تستوجب أن يظل الله تعالى الحافظ عليها تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله.. بصرف النظر عن هذه الغريزة الجامحة في الانسان.. فإن الفتاة تنظر الى ماوراء ذلك.. تنظر الى حياة سعيدة رافهة في منزل زوجها.. ومن حولها أبناء لها يكونون عدة المستقبل وسعادة الحاضر وزينة الحياة الدنيا.

أن أولياء أمور الفتيات .. مهما كانوا موسرين.. ومهما كانوا في مجبوحة من العيش الرغد، فإن كل ذلك لا يعدل عند الفتاة أبدا.. ماتتطلع اليه من سعادة وهناء فى عش الزوجية.. وأن الفتاة ولو كانت تصبح وتمسى وفي

فها ملعقة من ذهب فأن ذلك لا يساوى شيئاً أمام الحياة الزوجية الهائلة لديها وأمام سعادة أنجاب الأطفال.

فليتق الله أولياء أمور الفتيات في فتياتهم (ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به، من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

ليتقوا الله في فتياتهم، فأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قد أوصانا خيراً على بناتنا وفتياتنا وحضنا على تزويجهن إذا جاءهم الكفو.

مفاتيح المدينة المنورة

غابتها وعاقوها

مناخها وازقتها

ألا ما أجمل ربيع المدينة المنورة، وما أعذب ماءها وإبى ثراها وما ارق هواها وما اروع مراتعها، ومغانيا.

لقد اثارت زيارتي للمدينة المنورة — كعادتها دائما — شجونا وشؤنا — كانت دفينه في الخفايا مندسة في الزوايا، أثارتها مناظر المدينة الرائعة.. مسجدها الطاهر المطهر ثم مناخها وساحتها وقربانها ومقباها وعواليها.. أثارتها فاججت لواعج الشوق والحنين الى ربوعها ورباها، التي كانت مرتع الصبا والجمال، ومبعث الجلال والاكبار، ومجال حياتنا الندية، الطربة.. التي غرست حبها في القلوب فتغلغل في أرجائه وأصبح جزأ لا يتجزأ من شعورنا وأحاسيسنا.. أسأله تعالى أن يمن علينا بالعودة الكريمة الى هذه الربوع الطاهرة لنلثم حصاها ويضمنا حشاها.

وقد ذكرتني هذه المجموعة من الخواطر والأحاسيس والمناظر المتجددة.. ذكرتني.. بالقصيدة التي نظمها أخى السيد/ على حافظ في الحنين الى المدينة.. ولحنها السيد/ حسين هاشم الذي وقف نفسه للاشادة بمديح الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. هذه أبيات من القصيدة:

سقاك الله ياتلك المغانى بطيبتنا فما احلى رباها
وباكرها النسيم بكل عطر يفوح شذى وينمو في ثراها

نشرت في العدد ٥٥٣٤ في ٢٠ رجب سنة ١٤٠٣هـ.

فإأألى المقل بسفأ سلع فى وادى العقلق فى قراها
 فى وادى قناة لنا رفاق كزهر الروض بالله نداها
 وماتلك العيون سوى عيون بها تجرى بنفسى فى فضاها
 وكم لى بالمناآة من لقاء تالق بالاحبه فى سماها
 ولى فى الساحة الحمراء آدث طرلف باسم غير الشفاها
 آذنونى للعوالى ثم عوجوا لقربان وماشهى قباها
 فىاشوقى لطيبة كل شبر يضىء بها ويرفل فى سناها
 وىاشوقى لطيبة كل نفس تود لو أنها نالت رضاها
 وىاشوقى لطيبة كل قلب يطير لها ويأفق فى لقائها
 وىاشوقى لطيبة كل شخص يحن لها ويأرص ان يراها
 وىاشوقى لطيبة زملونى بتربتها لأنعم فى آشاها
 آعونى أأثم الترب احترامما لما فى الترب من طهر تناهى
 آحن الى المدينة ان فىها آمد بالهدى والدين باها
 نبى شق الاسلام نهجا وعبده وأكمه آجاها
 وذك معاقل الاصنام دكا ودمرها ودمر من بناها
 وأعلا راية التوحيد آقا وثبتها وثبت من رعاها

ولقد آغيرت على أرجاء المدينة.. ومعظم ماكنت أراه من شوارع وأزقه
 وأآوشه.. قد آكلته الدرآرات وأصبح ساحات وميادين وأخرجت المدينة
 الى ضواآىها.. العوالى وقربان وقباء والعيون والآرار الشرقى والغرىة ونزله

الجبور والجرف ووادی أبو جیده ووادی العقیق ووادی قناه كلها ارتفعت
فیها العمارات الشاهقة، وازدحمت بالسكان وبحركة السيارات.

وقد تفضل علی الاستاذ حسن الصیرفی صدیق الوفاء ورفیق البناء..
فعندما زارنی فی الفندق ولم یجدنی ترك بطاقة استهلها بقوله (الی رفیق البناء
عثمان حافظ).. ولقد أطربنی هذا اللحن الجمیل واعادنی الی السنین
الخوالی.. ذكرتنی هذه الكلمة المليئة بالخیال والحقیقة.. ذكرتنی بسنی
الكفاح والعناء والجهد.. ذكرتنی ایام كنت، واخی السید/ علی حافظ
ننحت الجبال نحتا بنی جریة المدینة المنورة ومطبعة المدینة المنورة.. ولم
تكن الطریق امامنا معیده بل كنا نسیر علی الشوك.. وكان الصدیق حسن
الصیرفی یبنی معنا هذا الصرح لبنه لبنه، وطوبه فوق طوبه.

وقد ذكرنی الصدیق الصیرفی بأشیاء طریفة كانت قد مرت بنا اثناء
البناء، وقد نسیت بعضها، وكدت انسى البعض الآخر.. قال فیما قال:

— انسیت یاعثمان عندما سافرت إلی مكة من أجل خیط الدوبارة
الذی خفی علیك موضعه اثناء ترکیب المطبعة فسافرت من المدینة الی مكة
علی سيارة البرید (المهروكه) قبل تعبید طریق المدینة ایام كان الطریق
كله رمال وبطناج.. وكان توقف سیر المطبعة علی ذلك الخیط الدقیق..
وماصلحت المطبعة وتحركت الا بعد ان عدت الی المدینة ومعك سر ترکیب
ذلك الخیط.. ثم ذكرنی بمحدثه اخرى فقال:

— فاكر یاعثمان یوم تعطلت مكنة الطباعة اثناء طبع الجریة.. وذهبنا
سویا فی غسق اللیل (كعابی) یعنی مشیا علی الاقدام.. واحضرنا المهندس
شریف العیتان من محطة كهرباء المسجد النبوی بباب المجیدی، وقد سهر
معنا الی أن اصلحها، وتعشى معنا لیلتها (شریك ومقلیه).. قلت له اذكر
ذلك واحمد الله تعالی ان لم یؤثر ذلك العطال علی مواعید اصدار الجریة فی
وقتها بل صدرت فی میعادها كال المعتاد..

ذكريات وذكريات.. كلها في عمق حياتنا العملية الاولى في الماضي البعيد.. ماضى العمل والنضال في سبيل الحياه قبل حوالى نصف قرن من الزمان.

وقد رأينا ان تكون رحلتنا للمناطق التي غمرتها السيول اخيرا.. وقد تفضل بمرافقتنا الصديق العزيز الشيخ/ عبد الحميد مساعد رئيس بلدية الشرق وهو خير بمناطق العيون، والغابه ولوالده مزارع وبساتين هناك بالعيون.

وقد اقترحت أن نبدأ زيارتنا بسد الغابة الحديث ورأيت تأخير مشوار الغابه الى الغد.. لما هو عالق بالذهن من متاعب الغابه وطريقها الوعر.. واذكر اننا عندما كنا ننوى زيارة الغابه.. لابد ان نخطط لهذه الزيارة ونتأهب لها، ونوقت وقت الزيارة توقيتا يتناسب مع الجو والطقس.. بحيث يكون الطقس كما وصفته الاعرابيه (لاحر ولاقر ولاسامه).

ولقد زرنا الغابة ثلاث مرات.. في حياتنا الاولى.. الاولى كانت بقيادة السيد/حسن عمران حبوبى.. وكنا خططنا لهذه الزيارة ان تكون في فصل الربيع.. لاننا لانستطيع تحمل حرارة الصيف ولازمهرير الشتاء.. واذكر انه كان من بين استعدادنا لهذه الزيارة ان يكون معنا (ترامس) لحفظ الماء المبرد.. وماكنا نعرف الماء المبرد الا فى الشراب أو الازيار الفخار وماسمعنا ان القوارير يمكن ان تحفظ مبردا لفترة طويله.. وقد هيا لنا هذه القوارير صاحب فكرتها السيد/ حسن عمران رحمه الله.

وشددنا المطايا لرحلة الغابة على حمر مستنفرة مع طلوع الشمس.. وقضينا مايقرب من نصف النهار حتى وصلنا أراضي الزير بقرب الغابه.. وكان التعب قد أخذ منا مأخذه واضطررنا إلى الاستراحه حول بركه الزير التاريخيه.. وكانت هذه البركه مخصصه وغدومه خدمه قاومت الزمن وتحدثت تقلبات الجو طيله الف وثلاثائه عام منذ أرسى قواعدھا الزير بن العوام ولم نستطع التغلغل في الغابة خشية من سقوط الليل والضياع في متاهاتها.. وبعد

العصر توجهنا إلى قصر سعيد بن العاص الأثرى بوادي العقيق حيث كان مقررا مبيتنا هناك.

والمرة الثانية — كانت بقيادة الشيخ محماس بن دخيل وهو شقيق الشيخ عبد الله بن دخيل قائد منطقة المدينة في ذلك الحين ولهم مزارع ونخيل في تلك المناطق وعلى معرفه تامه بها وكان دليلنا في الرحله.. وكانت الرحلة على سيارة جيب (ويلز) — وقد انحشرنا حشرا في السيارة.. وكان من بين رفاقنا الاستاذ حسن الصيرفى.. وبعد وصولنا الى بركة الزبير.. طفق الشيخ محماس.. يشرح لنا سعة اراضى الزبير.. وما كانت تصدره من غلال ومزروعات الى الشام والعراق ويشير الى الفقر التى كان يجرى من تحتها ماء عين الزبير الذي، كان يصب في البركة.. واخذنا الى مسافة طويله شرقى اراضى الزبير ليرينا خط سير العين ومنابع مائها ورأينا اثناء الرحلة مسيرة كثير من العيون وفقرها(١) — رأينا منابع الزهرة، والمدافيع، والمفتية، والظاهرية، والشنبيلية، والحازمية، والسكرانية، وغيرها من العيون التى نسيها الان.. وكانت منطقـه العيون جنة من جنان الارض ولكنها مع الاسف الشديد الآن كلها معطله ولم يبق من ذلك النخيل وتلك المزروعات الا من اهتم اصحابها بحفر ابار فيها وسقيها من الابار.. وكان بمنطقة العيون من النخيل والاشجار مايفوق مجموع المزارع بالجنوب.. قباء، وقربان، والعوالى..

والمرة الثالثة كانت مع الدكتور عبد الوهاب عزام سفيرا لمصر في السعودية.. وكان الدكتور عزام قد قرأ عن الغابة وصعوبة الوصول اليها وطلب من الامير عبدالله السديرى امير المدينة المنورة في ذلك الحين تسهيل وصوله اليها.. والامير السديرى كان على علم بمحاولتنا لاكتشاف الغابه ومصادفناه من متاعب ومعاناه فاخترنا لمرافقته — واذكر أن من بين من كان في هذه الرحلة أخى السيد/ على حافظ والسيد/ مصطفى عطار والسيد اسعد طرابزونى، والسيد/ فهمي الحشانى، والسيد/ عبد القادر غوث وغيرهم ممن لست اذكرهم الان.. وقد ارسل معنا الامير خوى من طرفه ودليله من

أهل الديره وزودنا بكل ما نحتاجه للرحله .. وكانت الرحلة على سيارات مكندشة .. وسرنا في طريق وعرة ملتوية ضيقه .. واعتقد انها كانت لأول مره تسير السيارات في هذه الاودية .. وبعد ان قطعنا حوالي ثلاثين كيلو مترا .. وقف بنا الدليل .. امام مجموعة كثيفة من الاشجار المتشابكة المكتظة التى تكاد تحجب عين الشمس وطلب منا ان نترك السيارات وان نتبعه في وسط الغابة، ولم نرى أى معالم بطريق الغابة .. وبعد ان دخلنا بين الاشجار قطع الدكتور عبد الوهاب عزام عده اغصان وكلما مشينا اربعة او خمس امتار غرس غصنا .. وبعد مسيرة حوالى نصف ساعه بين تلك الاشجار المتشابكة .. وكنا لانرى بعضنا لكثافة الاشجار .. ونتجمع من حين لآخر بالمناداه فاذا تجمعنا واطمأنا على بعض واصلنا المسيرة .. وخرجنا من كثافة الاشجار الى منطقة خضراء وحولها غدير من الماء يمشى في الارض ثم تبتلعه الغابة وينتهى ولا ينقطع جريانه صيفا ولا شتاء .. وهذه البحيرات الصغيره يسمونها هناك (غيل) بفتح فسكون .. وتناولنا طعام الغداء على حرف هذه البحيرة الجميلة والخضرة الرائعة والوجه الحسنه .. ثم عدنا الى المدينة مع مغيب الشمس .. وكانت الاغصان التى غرسها الدكتور عزام خير دليل لنا اثناء عودتنا من الغابة.

والغابة هى مصب جميع السيول بالمدينة واوديتها .. يصب فيها وادي العقيق، ووادي بطحان، ووادي ابو جيده، ووادي قناه .. كل الاودية والسيول تصب في الغابة .. ثم يتجه فائضها الى البحر ويضيع سدى هناك.

وهذا ما جعل الدولة تفكر في اقامة سد للغابة يحجز هذه المياه المتدفقة اليها من كل مكان والتى تصب في البحر وتخسرهما البلاد وتضيع على العباد.

هذا والى حديث قادم ان شاء الله عن رحلة العاقول وازقه وشوارع المدينة.

**** ذكريات مدرسة الصحراء في شريط الذكريات**

كنت واخى السيد على حافظ في قهوة (حمدان) بالمسيجيد اثناء تفقدنا لمدرسة الصحراء.. بعد افتتاحها.. واقبل علينا طفل فى الثامنة أو التاسعة.. يقدم لنا صينية الشاهى ولحنا من حديثه الذكاء والفطنة.. فسألته هل دخلت المدرسة؟ فقال — لا — وقلنا له لم لا تدخل المدرسة — فقال (اذا دخلت المدرسة (مين يؤكل أمي).. وسألناه — كم يعطيك حمدان كل يوم — فقال نصف ريال — وقلنا له اذا اعطيناك نصف الريال تدخل المدرسة.. فقال — (أشاور أمى) — هكذا كان حديثه (كلمة ورد غطاها).. ولكن نبرات صوته واجوبته كان سريعة وجريئة.. يتكلم بشجاعة تدل على الاعتزاز بالنفس والثقة.. مع صغر سنه.. وقلنا له شاور امك ورد علينا الجواب: غدا.

وجاءنا في اليوم الثانى الى قهوة حمدان ومعه أمه فقالت لنا أمه (ليش تبغوا تأخذون الولد) فقلنا لها ما بدنا نأخذه — بدنا ندخله المدرسة في الصباح.. يتعلم القرآن والكتابة.. ونعطيه كل يوم نصف ريال.. ويعود اليك بعد الظهر.. ويطلع رجال يتعلم القراءة والكتابة.. فقالت (هاه هاه) خذوه ما يخالف.. واتفقنا مع حمدان ان يدخل المدرسة صباحا ونعطيه ربع ريال.. ويعمل عنده فى القهوة بعد الظهر ويعطيه ربع ريال.. فوافق ودخل الصبى المدرسة.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/٩/٢٣ هـ

* مخصص يومي للطلاب

ومن تلك اللحظة.. قررنا ان نعطي لكل طالب يعول والدته أو أحد أقربائه (ربع ريال) يوميا وكل طالب يعول أهله.. ثلاثة قروش.

ودخل الطالب المدرسة وأظن ان اسمه فهد الحربي.. ونبغ هذا الطالب — كما كنا نتوقع له.. وكان ممن اخترناه لبعثة السكة الحديد بالمنطقة الشرقية التي طلبها معالي وزير المالية في ذلك الوقت الشيخ عبد الله السليمان — رحمه الله.

ومن ابتعثته الشركة الى امريكا للتدريب على اعمال السكك الحديدية.

وعاد بعد عدة سنوات ذا شأن، نشطا عاملا مثقفا ثم رافق معالي الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية — رحمه الله — في رحلة للمدينة المنورة مترجما له مع بعض الحاجات بأطراف المدينة.. وقدمه لنا الوزير اثناء زيارتنا له في مخيمه بأطراف المدينة.. على أنه من طلاب مدرسة الصحراء وقد أثنى على أخلاقه وأخلاق زملائه — بعثة مدرسة الصحراء — للمنطقة الشرقية — للسكة الحديدية. وعرفنا وذكرنا بجلسنا بقهوة حمدان وحديثنا معه ومع والدته.

وبعد دخول هذا الطالب للمدرسة.. وأعلامنا أننا سندفع ربع ريال للطلاب الذي يعول أحد أقربائه.. وثلاث قروش للطلاب الذي يول أهله.. بدأ الطلبة يدخلون المدرسة.. وأصبح يتزايد عددهم يوما بعد يوم.. وضاق صندوق المدرسة عن دفع مخصصات الطلاب..، ولم نستطع أن نتراجع.. عن قرارنا وبلغ ما كنا نصرفه على الطلبة — فقط — من ٤٥٠ — ٥٠٠ ريال شهريا.. والزيادة مستمرة كل شهر ولم يكن للمدرسة وارد يتحمل كل هذه المصاريف.. وكانت رواتب هيئة المدرسة — المدير والمدرس والمراقب والقروش المنصرفة.. تقارب ما يصرف على الطلبة.. وارتفع مصروف المدرسة

شهريا الى حوالى الف ريال أو تزيد.. ومن أين.. التبرعات كان بالريالات وبعشرات الريالات.. اذا كثرت.

* عون جلالة الملك عبد العزيز للمدرسة

ورفعنا الأمر للمغفور له الملك عبد العزيز — وهو المعروف بحبه للتعليم والعلماء وانتشار — العلم — في بلاده.. شرحنا له امر المدرسة.. وقلنا له أن أنتساب الطلاب للمدرسة يتوقف على مساعدتهم في معيشتهم.. وطلبنا منه تخصيص نصف ريال لكل طالب.. تشجيعا للعلم ولدخول الطلاب للمدرسة.. وكانت استجابة جلالته سريعة.. فلم يطل أنتظارنا.. وصدر أمر تغمده الله برحمته الواسعة على وزارة المالية بصرف نصف ريال لكل طالب من طلاب مدرسة الصحراء بالمسيجيد وهي أول مدرسة في المملكة يتقاضى طلابها معونات من الحكومة.. وأول مدرسة تؤسس في المملكة لتعليم أبناء البادية في الصحراء.. ولم يسبق أن فتحت مدرسة في البادية على هذا المستوى.

ومع الزمن تكاثر عدد طلاب المدرسة حتى ضاقت بطلابها.. وبعد ان كانت المدرسة تجرى وراء الطلاب تدعوهم للأنساب الى المدرسة.. أصبحت ترفض قبول الطلبات للألتحاق بها.. وكثيرا ما كنا نتلقى بالمدينة خطابات من أولياء الطلبة يطلبون منا التوسط لدى الأستاذ.. سالم داغستاني — مدير المدرسة بدخول ابنائهم.. وكنا نعمل المستحيل ونهى الفرض بعدم رد اى طلب لمن يرغب دخول المدرسة.. وكلما زاد فصل من الفصول عن العدد القانونى للفصل قسم الى فصلين أو ثلاثة أو أربعة فيكون فصل حرف (أ) وفصل حرف (ب) وفصل حرف (ج).

ولقد كانت المدرسة في ركن صغير من القهوة.. كانت في غرفتين عند افتتاحها.. فى المبنى الذي أقامته وزارة المالية بالمسيجيد ليكون كفندق راحة للحجاج وضيوف الحكومة.. ثم أجرته وزارة المالية على الشيخ محمد

بكر واستعمله قهوة وبعد أن أنهت أجرته وأعطتنا وزارة المالية كامل المبنى ليكون مدرسة.

وذلك بمساعدة وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان.. ووكيل الوزارة الشيخ محمد سرور الصبان — رحمهما الله —

وقد ضاقت فصول المدرسة بالطلاب.. وأضطررنا الى عمارة دور ثان في المبنى نفسه.. وسوف أذكر تفصيل طريقة بناء هذا الدور.. فالمدرسة كانت تلقى عوناً وعطفاً من الجميع من الدولة، ومن المواطنين، ومن الحجاج والزوار.

* المنهج الدراسي والاختبارات

وكنا نطبق منهج وزارة المعارف الابتدائي حرفياً.. وكانت المرحلة الابتدائية أربع سنوات.. وفي خلال سنتين أو ثلاث أمكن تشكيل الفصول الأربعة للمرحلة الابتدائية.. وفي السنة الثالثة قدمت المدرسة عدداً من طلابها للاختبار النهائي للدراسة الابتدائية.. وكانت تشكل لجنة للاختبار من وزارة المعارف ويجرى الاختبار بالمسيحيد — بالمدرسة وكان النجاح دائماً (ماية في الماية).

ثم رأيت المديرية العامة للمعارف أن ينتقل الطلاب الذين يتقدمون لاختبار الشهادة الابتدائية الى المدينة المنورة ليجرى اختبارهم ضمن من يختبرون للشهادة الابتدائية في مدارس المدينة فنقلوا الى المدينة وأختبروا مع طلبة المدينة.. فكان نسبة نجاحهم ايضاً مائة في المائة.. ومعظم العشرة الاوائل من مدرسة الصحراء.

لقد كان الطلاب يعكفون على الدراسة والمذاكرة وليس لديهم مايلهم عن المذاكرة المستمرة والحصول على الدرجات الاولى.. وكنا نسمع دوى مذكراتهم في المسجد أيام الاختبارات مساء كدوى النحل.

وكننا نعد المدرسة لان يكون بها قسم أعدادي وثانوي وكنا نعمل على فتح عدة مدارس بالقرى المجاورة وقد اشترينا دار بالفريش لتكون مدرسة بها ولكن عجز صندوقها عن تحمل هذه الأقسام. وهذا التوسع اضطرنا لطلب الحاقها بالمعارف خشية توقفها.

* ابتعاث طلبة المدرسة للمنطقة الشرقية

كان معالى الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية — رحمه الله — يعطف على مدرسة الصحراء كثيرا.. وما كان يمر من المسيجيد الا ويزورها ويشجعها أدبيا وماديا.. ويرى في طلبتها الطابع العربية الأصيلة فكان معجبا بها وبنجاح طلابها.. وقد طلب أولا من المدرسة ابتعاث ١٥ طالبا للمدرسة العسكرية.. والتحق بعضهم بالكلية الحربية، وموسيقى الجيش.. ثم طلب معاليه رحمه الله — سبعة عشر طالبا الى المنطقة الشرقية للعمل بمحطة السكة الحديدية.

ونجحت بعثة السكة الحديد الاولى.. وطلبوا ارسال بعثة ثانية.. فانتدبت المدرسة بعثة ثانية من ١٦ طالبا واختارت الشركة من طلاب هاتين البعثتين عددا أبتعثتهم الى أمريكا للتدريب على مختلف أعمال السكة الحديدية.. ادارة المحطات، قيادة القطارات، الأعمال الحسائية.. وعاد أفراد البعثة فتسلموا مراكز كبيرة فى محطة السكة الحديدية.

وبالمناسبة.. كنت حضرت حفلة وصول أول قطرة من قطورات السكة الحديدية في شهر المحرم ١٣٧١هـ الى الرياض من المنطقة الشرقية.. وكنت مرافقا لمعالى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان منتدبا من جريدة — المدينة المنورة — لهذه المناسبة.. ثم لمرافقة معاليه للمنطقة الشرقية في زيارة لأرامكو.. وكانت البعثة الصحفية مكونة من الأساتذة عبدالله عريف عن البلاد السعودية.. حمزة بصنوى عن الأذاعة.. محسن بابصيل عن «أم القرى».. عثمان حافظ عن جريدة المدينة المنورة.

وكان يرافق معالي الوزير معالي السيد حسن شربتلى والشيخ عبد الرحمن السبيعي رحمه الله والشيخ سراج زهران وكان سكرتيه الشيخ محمد باحارث وعبد الرحمن مؤمنة.

واقم حفل افتتاح اول قطر يصل الى الرياض يرأسه جلالة الملك المغفور له الملك عبد العزيز نائبا عاما لجلالة الملك على الحجاز.. وكنت اجلس بالقرب من الشيخ عبد الله بن عدوان، وكان ممثلا لوزارة المالية بالمنطقة الشرقية لدى شركة أرامكو.. وقبل أن يصل القطار الى الرياض.. قال لى الشيخ عبد الله بن عدوان (ويش أبشرك ياعثمان) أن مدير محطة الرياض من مدرستكم — ومدير محطة الدمام من مدرستكم ومدير محطة حرض من مدرستكم وعددا من مديري محطات السكة الحديدية من مدرستكم مدرسة الصحراء.. وسمع طرفا من الحديث الامير سعود رحمه الله فالتفت اليه وقال له (ويش تقول يابن عدوان).. قال اقول لعثمان ياطويل العمر ان مدير محطة الرياض ومديري عدة محطات للسكة الحديد من مدرستهم فقال له: وكأننى اسمع نبرات الصوت الان — (ايه ايه — يابن عدوان علموا ابناء الوطن هذه الاعمال.. لا تتركوا الأعمال يتولاها الأجانب)

وأحتفظ بصورة لهذا الحفل.. وهذه الصورة نادرة أخذها المصور عبد الحميد بغدادى الذي أنتدبته شركة أرامكو. لمرافقة معالى وزير المالية والوفد الصحفى السعودى الذى دعتة شركة أرامكو لزيارة منشأة الشركة بالظهران وأذكر أننى كتبت عدة حلقات بوقته عن هذه الرحلة.

وقد احتفظت بهذه الصورة وأنشرها اليوم للتاريخ للذكرى... والى حلقة قادمة ان شاء الله.

ذكريات نصف قرن

ماأروع أن يعيش المرء مع ذكريات الماضي البعيد.. وماأجل أن تكون أحداث تلك الذكريات وأشخاصها قائمة تنطق بالحوادث — وتغذى تلك الذكريات بما طوته الايام وذهبت به الليالى.

والذكريات التي لها جذور في تاريخ الانسان.. أو في تغيير مجرى حياته — لاتنسى أبدا حتى ولو كانت فى طفولته المبكرة.. ولذا قالوا ان الذكريات الحية.. هي عمر ثان للأنسان.

وقد يمر المرء بمحادثة بسيطة، أو يسمع كلمة مؤثرة تثير لديه ذكريات عميقة الأثرينعم بها ويعيش في جوها الممتع، وجالها الرائع.

زرت المدينة — الحبيبة — في الأسبوع الماضى.. وعندما عدت مساء الى الفندق وجدت بطاقة صغيرة.. مربوطة بمفتاح الغرفة من الصديق الشاعر حسن صيرفى يقول «الى رفيق البناء عثمان حافظ وقفت طويلا أمام هذه الكلمة — قبل ان أتم قراءة الرسالة — وقفت أحداثه وقد أعادتني هذه الكلمة (رفيق البناء) الى الوراء كثيرا — الى نصف قرن من الزمان.

ومر بى شريط.. ذكريات البناء عندما زاولنا مسؤوليات الحياة.. وعندما شعرنا بمسئلياتنا، وواجباتنا.

وأول مامر بى من شريط ذكريات البناء — الارهاصات التي سبقت صدور جريدة المدينة المنورة.. وسبقت تأسيس مدرسة الصحراء بالمسيجيد.. وعندما كان يزورنا الأستاذ الصيرفى — الذي أثار هذه الذكريات — «فى

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/٧/٢٤هـ

مطبعة طيبة الفيحاء» التي كانت مندسة فى دكان بباب الرحمة مساحته ٣ × ٣ متر.. وواجهة هذه الدكان — تقدر بنصف المساحة.. كانت للكتب والأدوات المدرسية.. وقد فصل بين المكتبة والمطبعة — دولاب كبير أشغل أكثر من عشر المساحة.. من يصدق هذا.. انها حقيقة تشبه الخيال.

واذكر الآن كلمة منه مانسيتها ولن انساها أذكرها — لأنها فى صلب الموضوع كان يقول — متى ياعثمان تصدر هذه المطبعة جريدة المدينة — التي هى أمل المدينة — بل أمل الأدب فى المملكة.. ونتجاذب أطراف الحديث.. ثم نخرج بعد العشاء نتمشى فى «القمارى» على هضبة باب العنبرية — الهضبة الغربية — وقد «نشمل» بتشديد الميم — الى ساحة باب الشامى ثم الى هضبة ثنية الوداع، وسفوح سلع.. الجبل الذي احتضن المدينة كما تحضن الام وليدها.. وقد يطول بنا المسير — اذا جد جد الحديث، وصفى الجو، وشع نور القمر فعم الجبال والوهاد — وأظل مواقع الأشجار.. فنتجه إلى طريق سيد الشهداء صوب جبل أحد.. الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم إنه «جبل يحبنا ونحبه» هذا الجبل إذا سأل وتدقق المطر من شرايينه فإن جداول الماء بعد صفاء الجو وهى منحدره من أعاليه إلى سفوحه وكأنها سبائك من الفضة المذابة.. تتعرج من أورده، وشرايينه، ويتجمع الماء فى حفر مختلفة الأحجام يسميها أهل المدينة (المهاريس) ويتسابق أهل المدينة للفسحة والقيولة بعد هطول الأمطار، وسكونها — الى المهاريس — كى يشربون من مائها الزلال العذب، وليس احلى ولا أعذب ، ولاأذ من ذلك الماء النقى الصافي.

وكنا نقتل الوقت بحثا ونحن نسير فى تلك الشعاب وبين الأودية، والسفوح معظم أحاديثنا كانت عن الشعر والأدب والجريدة.. التي كانت مطمح أنظار أدباء المدينة.. ولم يكمن البحث أكثر من أمانى وامال.. وهى كل ماملكه من وسائل إصدار الجريدة.

ورغم أننى كنت أراول مهنة الطباعة على تلك المطبعة الصغيرة حجبا

وأنتاجا.. الا أننى كنت أعيش فى خيال ووهم — كنت أظن أن هذه المطبعة يمكن أن تصدر جريدة — اذا توفر لديها الحروف، والجداول، والتواضيب الكافية.

تذكرت تلك الليالى الحلوة.. ونحن فى شرخ الشباب نتقد حماسا ونشاطا، ولانعرف المستحيل — وقد كنا نفكر بعواطفنا لابعقولنا عندما كنا نعمل للبناء — والعواطف هى التى تقود المرء للمغامرات، وارتكاب المصاعب — ولو كنا نفكر بعقولنا ونخطط ونتبع المثل السائر «قيس قبل الغطيس» لما خطونا خطوة واحدة لأن رأس مالنا فى تأسيس الجريدة، أو المدرسة كان الأمل والرجاء فقط.. ثم الأيمان بالله والعزيمة الصادقة.

جريدة المدينة

وعندما يسر الله وتحقق إصدار جريدة المدينة المنورة اصدرتها انا واخى السيد على حافظ بعد ان أعاننا الله تعالى على تأسيس مطبعة كبيرة لأصدارها «كنت سافرت خصيصا الى مصر لأحضار هذه المطبعة واجراء تجارب عليها لان المدينة لم يكن بها فنيون أو مهندسون للمطابع وكل ماكان فيها هو «مطبعة طيبة الفيحاء» التى كانت مخصصة للعناوين وبطاقات الدعوات.. وكنت العامل، والمهندس، والطابع، والناشر وكانت معلوماتى بفن الطباعة وهندستها على قدر حجم مطبعتنا وصندوقى حروفها، يعنى ولاشئ.

ومنذ وصلت المطبعة وبدأنا فى تركيبها — والاستاذ الصيرفى معنا يد بيد — لم يقصر فى مساعدتنا، ومعونتنا بيده، وبفكره، وبكلمته المكتوبة والمسموعة، ويعتبر تاريخنا واعيا لجريدة المدينة المنورة.

وعندما كنا نسهر الليالى الطوال فى تصحيح الجريدة وطبعها، وتطبيقها، وتغليفها وكتابة العناوين عليها.. كان يعتبر الأستاذ الصيرفى رئيس الفرقه..

واذا مانضم الى أسرة المساعدين مساعد جديد.. كان يتولى تدريبه على العمل وكان يشرف على العمل ككل ... وماكنا نستطيع ان نقوم بتلك الأعمال لولا عون الأخوان ومساعدتهم.

ولم نكن بعيدين عن آل الصيرفى.. فقد كان والده العم مصطفى رحمه الله — يقول لنا نحن مع اخوالكم اقارب وأصهار — وسألنا جدتنا لأمنا السيدة «جدة» مرة عن العم مصطفى وقرابته لنا فقالت نعم أننا كنا وأياهم نسكن فى حارة واحدة بسيدى عقبي بالجزائر ونحن أقارب وأحباب معاهم من يومنا — فهم — اعنى آل الصيرفى — خيلان خيلانى.

* مدرسة الصحراء والصيرفى

ثم مر بى شريط ذكريات البناء مسرعا — فوجدت الأستاذ حسن الصيرفى معنا فى بناء مدرسة الصحراء بالمسيجيد.

كنا «نطلع» أنا وأخى السيد على حافظ أسبوعيا الى المسيجيد أيام تأسيس مدرسة الصحراء على ظهور سيارات الحمل، وتمتلىء عيوننا، وأنوفنا، وأذاننا من التراب المتصاعد من عجلات السيارات — ولا توجد أيامها سيارات صغير لحمايتنا من التراب — واذا وجدت فأين نحن منها وكنا نضحى بكل شىء حتى بصحتنا فى سبيل بناء المدرسة «ومن يطلب الحساء لم يغلها المهر».

وكان بعض الأصدقاء والأخوان يرافقوننا فى رحلاتنا الى المسيجيد وفى طليعتهم الأستاذ الصيرفى كان يرافقنا فى معظم تلك الرحلات.. ويتحمل معنا المتاعب والمشاق.

* هضبة العنبرية

ولقد لحت.. بعد اجتيازنا باب العنبرية لحت الباب الحديدي الذى كنا

نخرج منه «لهضبة العنبرية» — الهضبة الغربية وكانت هذه الهضبة هي العش الحنون الذي كان يجمعنا في كل يوم عصرا.. فهي محل نزهتنا، ومتنفسنا بعد عناء العمل اليومي واذكر من الاخوان الذين كانت تجمعنا بهم هذه الهضبة السادة مع حفظ الألقاب محمد حسين زيدان، عزيز ضياء، السيد عبد القادر غوث، اسعد طرابزونى، صلاح الدين عبد الجواد، السيديس طه، بهاء الدين خاشقجي، ثم السيد مصطفى العطار، فهمى الحشاني، عبد العزيز برى، حسن خاشقجي، أنور بصراوي، عبد الحميد عنبر، السيد ناصر غوث — رحم الله من انتقل منهم الى الدار الآخر — وامد في حياة الموجودين معنا.

وكنا أنا وأخى السيد على حافظ من المواظبن على أرتياد هذه الهضبة. وقد جرنى الحنين الى زيارة هذه الهضبة وعرضت الأمر على الاستاذ الصيرفى فقال «هضبة ايه».. «الله يرحم الهضبة الغربية» لقد تحولت الى منطقة سكنية وأصبحت شوارع ضيقة، وبيوتا صغيرة.

وأخذنى الأستاذ الصيرفى عصرا ليرينى ماجد من شوارع وعمران بالمدينة المنورة وبدأنا مشورانا من الحرة الشرقية.

وكان عهدى بها حرار سوداء لاتصلح للجلوس عليها لما فيها من نتؤات طالعة ونازلة وقالوا انها من بقايا بركان نار فى تلك المنطقة قبل عشرات القرون.. وماكنا نستطيع السير في معظم انحائها لوعورة مسالكها وماكنا نراها الا اذا كنا فى طريقنا «للعريض» أو أحد البساتين التي تقع بأطراف هذه الحرة وكان بهذه الحرة أراضى صالحة للزراعة يزرعها أهل المدينة حبوبا فى مواسم الزراعة فقط.

ولقد تحولت هذه الحرة التي كان يستوحش فيها «الغراب» تحولت الى شوارع مسفلته وأسواق لمختلف الحاجيات ومعارض، ومحطات للبنزين، ومدارس ومعاهد للعمل وأينا الطلاب وهم يخرجون من مدارسهم ويغفون الشوارع وكأنهم خارجون من صلاة الجمعة في تزاحهم ووجدت الشوارع

مملوءة باعمدة الكهرباء، واعمدة اسلاك التليفون وبعد ان كانت حرة قاحلة سوداء ترتفع أطراف الحجارة فيها كالمسامير — أصبحت مدينة ذات شوارع أسفلتية مضاعة.. وميادين، وجناين، وملاعب للأطفال، وأرتفعت أسعار الأراضي فيها الى مئات الألوف وسبحان من يغير ولايتغير.

وخرجنا من هذه المدينة — التي مازالويسمونها بالحرة الشرقية الى شوارع فسيحة مسفلتة منسقة الى شارع العوالى وشارع قربان وقباء — وقد كنت أعرفها شوارع ترابية ضيقة ملتوية وبعضها لايزيد على مترين أو متر ونصف عرضا — وماكننا نرتادها الا بالعريبات — وطبعاً — العربيات «الكرو» ومعظم تلك الشوارع ماكانت تصلح لحركة السيارات لضيقها.. وتكاشف والتراب الناعم الذي تثيره اى حركة فيها.

وقد أمتلأت هذه الشوارع بالعمارات الضخمة وأضيئت بالكهرباء وألتحم البنيان وتكاد تصبح تلك المنطقة التى كانت تسمى بالعالية والتي تجمع هذه القرى الجنوبية تكاد تكون محله سكنية واحدة وأجل ماسرنى أن رأيت مستشفى هناك بالعوالى اسسه «الدكتور بادي بن بادي» ووالد الدكتور بادي من كبار مشايخ العوالى ومن أصدقاءنا وهو كريم النفس وله بلاد بالعوالى ممتازة (مزرعة) وقد وضع خارج البلاد بركة يصب فيها الماء ليلاً ونهاراً يستقى منها سكان تلك المحلة.. وكلما مررنا من تلك المنطقة ورأينا هذه البركة ذكرنا بالشيخ بادي صاحب المزرعة بخير.

وانتقلنا من ميدان قباء الى الشارع الحديث التي أنشأتها البلدية مؤخراً والذي يمتد من ميدان قباء الى ذى الحليفة ميقات أهل المدينة فى شارع عريض متسع مسفلت وأظن عرضه يزيد على ستين متراً — وهو ذو خطين ذهاباً وإياب وقد أوشك أن ينتهى العمل منه ومازالت الدركترات تعمل فى تمهيدده ممايلى ذى الحليفة وسوف يخفف هذا الشارع الضغط عن مدخل المدينة من شارع العنبرية وربما كان أعظم شارع فى المدينة المنورة.

وأنقلنا من الأحساء الى شارع المؤدى الى سلطانه.. وقد قامت فى تلك

المنطقة الغربية شوارع عظيمة مسفلته وقام عمران كبير حول مسيل وادي العقيق وأتسعت مباني الجامعة الإسلامية أتساعا كبيرا وأصبحت تلك المنطقة منطقة سكنية ومعظم البساتين التي في تلك المنطقة تحولت الى أراضي سكنية، وأزيل ما بها من أشجار ونخيل ومزروعات وخططت الى مربعات لتقام عليها فلل وعمارات سكنية وأقيم في تلك المنطقة فندق من اعظم فنادق المدينة لولا بعده عن المسجد النبوي الشريف.

* الحرة الغربية

وأخذنا من تلك المنطقة الى مسجد القبلتين وكان عهدى بهذا المسجد أنه يقع على حرة مرتفعة وليس حوله الا بعض بيوت من اللبن يسكنها بعض رجال البادية ووجدت المسجد بين مباني مختلفة الأشكال والألوان ومشينا فى شارع ضيق اشبه بأزقة المدينة الضيقة بداخل المدينة أيام زمان — ودخلنا فى منعطفات ملتوية ومتعرجة واذا نحن أمام البوابة الحديدية التي أعتدنا أن ندخل منها الى الهضبة.

ولا أدري كيف سمحت البلدية بالبناء بهذا الشكل دون تخطيط أو تنظيم ولكنى علمت أن — المجاورين لتلك المحلة — قد وضعوا اليد على أنحاء تلك المنطقة ثم قام فيها العمران كيفما اتفق والأولى تخطيطها وتنظيمها وتنسيقها لأنها أقيمت تحديثا فيما أظن والتخطيط والتنظيم أصبح من ضروريات الحياة هذا.. والى حلقة اخرى عن تلك المناطق وانتشار العمران فيها.. فهى تحتاج الى لفتة نظر المسؤولين لتنظيم المباني والشوارع فيها.

**** ١٥ يوما في ربوع المدينة المنورة تثير ذكريات ثلاثين عاما مضت**

خمسة عشر يوما قضيتها في ربوع المدينة المنورة.. من شهر رمضان المبارك.. أريد التحدث عنها.. ولكنى لأدري من أين أبدأ حديثي؟

فقد ازدحمت في ذهني الذكريات.. واضطربت أمامي الأفكار.. وتغير على كل شيء بالمدينة.. فلم أعد أعرف طرقاتها، وأسواقها، وشوارعها.. وأنا الذي ربيت فيها.. وقضيت طفولتي وشبابي، وشيخوختي بها.. قضيته بين حوارها، وأزقتها، واحوشها ربيع العمر وخريفه وشتاه.

المدينة.. التي كانت قبل السيارات.. ملتفة حول مسجدها المطهر، انتقلت اليوم.. الى ما كنا نسميه بالقرى.. انتقلت — الى قباء، وقربان، والعوالي، والعيون، والمساجد، والخرة الشرقية.. والخرة الغربية.. كل هذه الأماكن — كان بعضها بساتين ومزارع وارفة الظلال.. وبعضها حرار وصخور جرداء.. تحولت الى قصور شاهقة.. والى طرق أسفلتية والى ميادين واسعة.. قضى جوانبها الثريات الكهربائية وتسقيها صنابر الماء..

حتى مجرى وادي (أبى جيدة) — الذي اذا أمطرت مراويه — هدر وزجر.. وملاء الشباب والوهاد — حتى مجرى السيل — سفلت قاعاته — وأقيمت على جوانبه القصور والمحلات التجارية.

ولأدري كيف يكون الحال اذا جاء هذا السيل (غاويا) وأهل المدينة يسمون سيل أى جيدة بالسيل الغاوى — اذا جاء قويا وغمر الأرزقة والأحوشة التي حوله.. والميادين التي بجوانبه.

نشرت في جريدة المدينة في ١٦/١٠/١٣٩٧هـ

لأدرى؟ من أين أبدأ حديثي — بعد هذه التغيرات الكثيرة التي طرأت على المدينة — ولكنني سوف أبدأ حديثي بالمسجد النبوي الشريف الذي وجدت فيه من المفارقان مالم أكن أعهده قبل..

* الزحام بالمسجد

ولا أريد أن أتحدث عن الزحام الشديد بالمسجد: في أوقات الصلاة المكتوبة.. فهذا الزحام وأن كان يفوق الوصف — إلا أنه قد يبدو طبيعياً.. لأن الزوار للمدينة.. يتضاعفون شهرا بعد شهر.. وسنة بعد سنة.. لسهولة المواصلات، وتنوعها وتيسيرها — وكل من قصد (المحبة) أول مايقصد — مسجدها الشريف.. للصلاة فيه.. والصلاة والسلام على الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم.. ويقول الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً).

ولقد ضاق المسجد بزواره.. رغم التوسعة السعودية الأخيرة التي ضاعفت من مساحته تقريبا — ورغم الأماكن الكبيرة التي أزيلت تمهيدا لتوسعته.. ورغم اقامة مظلات في الجهة الغربية بمساحات واسعة — ليصلى فيها الناس.. رغم هذا كله.. فأن المسجد أصبح لايتسع لزواره.. والشخص الذي لايات المسجد قبل ثلاثين أو عشرين دقيقة.. قبل الصلاة والأذان.. فإنه لايجد مكانا للصلاة فيه.. وكثيرا ماكننا نصلى الصلاة المكتوبة خارج المسجد اذا وصلنا مع الأذان.. لأننا نجد صفوف المصلين.. قد أمتدت من أبواب المسجد الى وسط الشارع.. أما صلاة الجمعة فحدث عنها ولا حرج.. فالناس يصلون.. من شدة الزحام — في حصة المسجد — تحت قرص الشمس ولايبالون.

* التوسعة الجديدة

وأن ماجرى من هدميات في الجهة الغربية وغيرها بأطراف المسجد النبوي — يدل على مبلغ الاهتمام الكبير من الدولة.. بأجراء توسعة

جديدة.. للمسجد النبوي.. وتوسعة هذا المسجد المطهر.. هى سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم — وسنة خلفائه الراشدين من بعده.

أقول.. أن هذا الزحام الشديد بالمسجد النبوي.. قد يكون طبيعياً.. ولكن الأمور الغير طبيعية — بالمرّة — هى

* النوم بالمسجد

هى — أن يتحول المسجد النبوي — الى فندق كبير للنوم — سيما بعد صلاة الظهر.. فتجد الناس نياما متراسين.. كأنهم خشب مسنده.. وقد يتعذر لمن تخلف بالمسجد قليلا — للقراءة جزء من القرآن المجيد.. أو لأى شىء آخر الخروج من المسجد — لتلاصق أجسام النائمين وجميع هؤلاء الذين ينامون بالمسجد من الأغراب.

* الطعام بالمسجد

أما قبيل المغرب في رمضان فأن المسجد يتحول الى مطعم كبير.. فتجد حلقات الموائد منتشرة فى جميع أنحاء المسجد.. وقد مدت عليها أطباق الفواكه.. والشريك، ودوارق الماء، والشاى.. والقهوة.. وقد يتخللها بعض المقلبات والأرز.. عند من لا يهمهم الا بطونهم.. أو عند من يسكنون المسجد النسبوي من الذين لا مأوى لهم غير المسجد وفي الفترة القصيرة.. بين الأذان والأقامة.. فأنهم لا يستطيعون جمع فضلات الطعام والشراب.. وتنظيف الأماكن التى يشغلونها بطعامهم وشرابهم.. وكثيرا ما يبقى أشياء وأشياء.. من فضلات الطعام والمياه.. فتحدث أثرا سيئا وتلويثا بالمسجد.

* أطراف المسجد

أما أطراف المسجد النبوي.. فقد تحدثت عنه جريدة المدينة في ١٦ رمضان بما لامتزيد عليه. ودعمته بالصور — عما يحدث من القائمين فيه من الأغراب من تلويث، وطبخ بقرب السيارات، وتجمعات هنا وهناك..

وماتتركه مخلفاتهم من أوساخ وقاذورات.. ثم عدم وجود أى رقابة عليهم.. لا من الأوقاف.. ولا من البلدية، ولا من الدفاع المدني.. ولا من وزارة الصحة.. وكل هذه المصالح تتصل مسؤولياتها.. بما تحدثه هذه التجمعات.. من أوساخ وقاذورات.. قد تضر بالصحة ضررا بالغا.. ومن اشعال نيران أما بالحطب أو بالغاز.. مما قد يسبب حرائق تكون ضحيتها أموال الناس.. وقد تلحق نفوسهم.

* ضرورة أسكانهم

وهؤلاء الأغراب — الذين يشغلون المسجد وأطراف المسجد بنومهم وإقامتهم وطعامهم — ويخلفون فضلاتهم وأوساخهم.. هؤلاء الأغراب.. أما أن يكونوا عمالا فيجب على المؤسسات التي تستقدمهم أن تكفل لهم أماكن لراحتهم ونومهم وقضاء حوائجهم.. وأما أن يكونوا زوارا أو حجاجا.. فيجب على أولائهم أن يهيئوا لهم أماكن سكنهم وإقامتهم — ويجب أن يكونوا قادرين على دفع أجور سكنهم.. والله تعالى.. لم يفرض الحج الا على من استطاع اليه سبيلا..

* قسوة الجنود بالمسجد

وهناك ارتفع أمر آخر.. ماكنت أحب أن أتحدث عنه — لولا مشاهدته مما أزعجنى وضايقنى.. وهو.. القسوة والشدة التي يعامل بها بعض الجنود الذين وكل اليهم ارشاد الزوار الى ما يجب أن يكونوا عليه أثناء الزيارة.

لقد شاهدت امرأتان كانتا متجهتين الى المواجهة للزيارة.. وقد منعها جندى من التوجه للمواجهة — وقال لهما ممنوع الزيارة — فقالت إحداهن — بأسلوبها المبسط — أننى قدمت اليوم من الطائف — وقصدى أعود بعد الزيارة الى الطائف — لأننى تركت أولادي وحدهم — فرد عليها الجندي — بعنف — يقول لها أسكتى ولا كلمة ممنوعة الآن يعنى ممنوعة.. ودفعها

دفعنا بكلتا يديه.. الى مقر النساء.. وقد ارتفع صوتها فى طلب الزيارة..
وارتفع صوته في منعها.. وتجمع الناس حولهم..

وكننت أفضل ان يقول الجندي لهم — فى رفق — ان هذا الوقت
للصلاة — ولا تستطيعان الزيارة مع زحمة الرجال ويمكنكم أن تأتوا للزيارة
بعد الصلاة بنصف ساعة أو أكثر أو أقل — حسب مالىديه من تعليمات.

ولو فعل الجندى ذلك لتفادى الضوضاء التى حصلت أثناء منعهن ولقنعا
بالكلمة الطيبة.. وجبذا لو أختير الجنود الذين يرشدون الأغراب بالمسجد
النبوي من الجنود الهادئين — الذين يحسنون أقناع الناس بالكلمة الطيبة
ويدعون الى الله بالحكمة.. والموعظة الحسنة.. وقديما قالوا.. من أراد أن يأمر
بالمعروف — فليكن أمره بمعروف، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك.

وعلى العموم — فإن المسجد — مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم —
يحتاج الى المزيد من الاهتمام والعناية.. ويحتاج الى رقابة مستمرة.. وكما
يبدو — أن الرقابة فيه غير كافية.. والمسجد النبوي الشريف — والمسجد
الحرام — هما أكبر مساجد المسلمين فى العالم — ويؤمهما فى كل عام
الحجاج والزوار من كل أنحاء الدنيا — فهما فى أمس الحاجة الى رقابة
وصيانة مستمرة وعلى مستوى عال.

واذا سمح لى بابداء رأى — فأنى أرى أن تسند ادارتها الى مسؤول
كبير فى الدولة يشرف على نظافتها وتنظيم وتنسيق جميع شؤونها.. وجبذا لو
اختصا بالدراسات العليا للشئون الاسلامية واللغة العربية — ولغة القرآن
ليعيدا سيرتها الأولى — فقد كانا مصدرا لتعليم الشريعة الإسلامية والدين
الحنيف.

هذا مجرد رأى — ومجرد ذكرى — أطرحهما للمناقشة وولاة الأمور أدرى
بما يجب نحوهما.. والذكرى تنفع المؤمنين.

* العشرة الأواخر

ولأأريد أن أطرح مكانى هذا.. دون أن أتحدث عن الفترة الروحية العظيمة.. في العشر الأواخر من رمضان.. فقد كانت هذه الفترة عامرة بالعبادة — والألتجاء الى الله تعالى.. بطلب العفو والغفران والتوبة النصوحة.. وكان الناس يتسابقون الى المسجد النبوي ليعمروا معظم الليل بالعبادة.. ويقومون بالعبادة وبالصلاة والتهجد الى قبيل الفجر بحوالى ساعتين فقط..

ويوم التاسع والعشرين من شهر رمضان — هو اليوم المشهود.. يختم الإمام القرآن المجيد بعد صلاة التراويح.. وبعد صلاة التهجد.

وفي كل سنة يقوم فضيلة الرجل الصالح الذي له من اسمه نصيب الشيخ عبد العزيز بن صالح أمام وخطيب المسجد النبوي ورئيس المحكمة الكبرى والدوائر الشرعية بالمدينة المنورة فى آخر ركعة من صلاة التراويح وصلاة التهجد — بالدعاء والاستغفار — للعلی القدير— دعاء من القلب بخشوع ورهبة.. ينفذ الى اعماق القلوب.. ويتجاوب معه المصلون بالتأمين على الدعاء وبأصوات تجهش بالبكاء والتضرع الى الواحد الأحد الفرد الصمد.. ويدوى في أرجاء المسجد ما يثيره وهذا الدعاء من تضرع وبكاء وانابة الى الله ويتهدج صوت الإمام بالبكاء وتتجاوب معه أصوات المصلين بالتأمين والبكاء وترج أرجاء المسجد هذه الأصوات المرتفعة الى العلى القدير.

يا لها من ساعة عظيمة يتجلى فيها رب السموات والأرض على عباده فى هذا اليوم العظيم.. وفى هذا المكان العظيم وفى هذه الساعة المباركة.. انها ساعة روحية عظيمة من ساعات العمر نسأله تعالى العفو والقبول أن يغفر لنا الذنوب جميعا أنه هو التواب الرحيم.

**** عطف الدولة يتطلع اليه اصحاب الدور**

عندما قدرت لجنة تقدير العقار بالمدينة المنورة الدور القريبة من المسجد النبوي الشريف في تقديرها الثاني لم تراعى أثناء تقديرها الدور المشتركة لأكثر من شخص واحد وكان كثير من الدور يملك الطابق الأرضي شخص بينما يملك الطابق العلوي شخص آخر وكانت اللجنة قدرت المبنى ككل دون أن تخصص لكل طابق قيمته وقد حصلت شكله بين الملاك للدار الواحدة التي يملكها أكثر من شخص وبعد أن رفع الأمر لولاية الأمور فصدر الأمر الكريم بأعادة تقدير الدور المشتركة التي يملكها أكثر من شخص حسب أسعار اليوم وتعيين ما يخص كل مالك في الدار المشتركة وقد جرى التقدير حسب اقيامها في الوقت الحاضر وعين لكل شخص استحقاقه وهذا انتهت المشكلة وأخذ كل ذي حق حقه كاملا غير منقوص وظهر بعد هذا التقدير الأخير مشكلة أخرى وهى أن الدور المجاورة لتلك الدور التي أعيد تقديرها ظهر أن اقيامها ضعيفة جدا بالنسبة للدور التي أعيد تقديرها مع أن جميع تلك الدور المشتركة وغير المشتركة متقاربة واقيامها متقاربة وهؤلاء وأولئك كلهم يريدون أن يستبدلوا بدلا دورا أخرى تأويهم وتأوى أبناءهم وقد أصبحت قيمة الدار التي أعيد تقديرها حوالى ضعف قيمة الدور التي لم تقدر وكان تقديرها من قبل وقد تضرر أصحاب الدور التي لم يجر تقديرها مع التقديرات الأخيرة التي قدرت تقدير مناسباً بأسعار اليوم وقدر راجع الملاك أصحاب الدور التي لم يشملها التقدير الثاني مالية المدينة المنورة طالبين مساواتهم بجيرانهم في التقدير لأن أسعار الأراضي وأسعار المباني وأسعار المواد الغذائية واليد العاملة كلها ارتفعت عن ذى قبل ولكن المالية مقيدة بما لديها من أوامر وتعليمات لا تستطيع تجاوزها وأنا واثق أن ولاية

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٧/٩/٢٥ هـ

الأمر يهمهم جدا الا يتضرر أحد من الرعية وأن يصل كل فرد الى حقه وزائدا غير منقوص والدولة لم تأل جهدا في اسعاد أبناء شعبها وأزالة كل ماينالهم من ضرر وحيف وهي تعين شعبها بمختلف المعونات تعين المواد الغذائية وغير الغذائية أعانات مجزية للدور القريبة من المسجد النبوي الشريف وتبين للدولة أنهم يستحقون الزيادة صدر الأمر الكريم باعطاء جميع أصحاب الدور في التقدير الأول ٣٠٪ عما قدر لهم وعندما تظلم أصحاب الدور المشتركة ورفع الأمر لولاة الأمر طالبين إعادة التقدير حسب الوقت الحاضر وتعيين ما يخص كل شخص في الدار المشتركة صدر الأمر الكريم أيضا باعادة التقدير وتعيين استحقاق كل مالك في الدار المشتركة وهو أمر بالغ الاهمية يدل فيما يدل على مقدار عطف الدولة على الرعية تمشيا مع القول المأثور كل راع مسؤول عن رعيته فالدولة دائما تراعى مصالح رعاياها واسعادهم وازدهار حياتهم والأن بقيت هذه المشكلة وهي المساكن غير المشتركة التي لم يشملها التقدير الثاني وظهر أنها بالنسبة لما قدر للدور المشتركة قليلة جدا وأهلها معظمهم ضعفاء ومهما اعطوا قيمة لها فهم لا يمكن أن يتعوضوا أماكنهم بحال أولا لأن أماكنهم كانت قريبة من المسجد النبوي الشريف وهذه الميزة لا يمكن بحال تعويضها لعدم وجود أماكن هناك واذا وجدت فأسعارها خيالية لا تطاق.

ثانيا: لأن المبالغ التي قدرت بها منازلهم لا تكفى لتأمين مثلها ولو في الحرة وهذه ويمكن للدولة أن تؤمنها لهم بأعادة التقدير على أن الدور الباقية والتي لم يشملها التقدير الأخير نسبتها قليلة جدا بنسبة ما قدر اذ تبلغ حوالى ٣٠٪ بينما الدور التي جرت تقديرها مجددا وصرفت اقيامها تمثل حوالى ٧٠٪ واصحابها الآن ينتظرون عطف ولاة الأمور عليهم بمساواتهم زملائهم اما زيادة ٣٠٪ كما جرت في التقدير الأول وأما باعادة التقدير كما جرى في التقدير للثاني للمساكن المشتركة والأمل عظيم في جلالة الملك الصالح خالد بن عبد العزيز وسمو ولي عهده الأمين الأمير فهد بن عبد العزيز الا يحرموا من العطف السامى وأن يتساوا بأخوانهم وجيرانهم وأن الله تعالى ولي التوفيق وهو الهادي الى سواء السبيل.

** اسأل مجرب ولا تنس الطبيب

تحدثت في كلمتى السابقة عن المسجد النبوي الشريف والدور التى احترقت حوالية — وأعود الآن للحديث عن طريق المدينة — كما وعدت في تلك الكلمة..

* طريق المدينة

عندما أردت السفر الى المدينة المنورة.. نصحنى بعض أخوانى الا أسافر ليلاً.. لخطورة السفر فى الليل.

الطريق مفرد، وضيق — والمنطقة التى بين محطة بدر والمدينة المنورة.. أكثرها ملفات — ومنحنيات.. والشاحنات الكبيرة، والويتات — ترتاد الطريق في كل وقت — وسائقو السيارات — الضخمة — يرفعون النور العالى بدون أى مبالاة أو رحمة بالناس فيربكون السير — ويضاعفون من مشاكل الطريق.. وإذا أضفنا الى ذلك السرعة الجنونية — لمعظم السيارات التكاسى وغير التكاسى فإن الخطر سيكون محققاً.

وأنا أنصح المسافرين فى هذا الطريق — سياً أصحاب العوائل — الا يسافروا الا نهاراً (وأسأل مجرب ولا تسأل الطبيب). ولقد سافرت نهاراً.. وفى أيام ليست من أيام الاجازات الأسبوعية.. فكان الطريق مملؤاً بالسيارات الكبيرة والصغيرة.. الذهابة والعائدة — وقلت لرفيقى ونحن نسير في الطريق: هذا الزحام ولسنا في مواسم الحج أو الزيارة — فكيف يكون الحال فى المواسم.. وفى شهر رمضان الموسم الروحى..

نشرت في جريدة المدينة في ١٩/٤/١٣٩٨هـ

وكل شىء يتضاعف سيارات الحجاج الضخمة الكبيرة، والويتات والشاحنات والسيارات الصغيرة والكبيرة والتكاسى.. كلها تتضاعف باعداد كبيرة.. واذا ماسرت ليلا وجدت أنوار السيارات المقبلة وكأنها سلسلة من الأضواء ممتدة على الخط.. يضاف الى ذلك جنون السرعة.. وكشح الأنوار العالية.. وعند ذلك تكثر الحوادث — وتزهق الأرواح البرثية.

ولقد رأينا على الخط — أعداد كثيرة من السيارات المحطمة على جانبي الطريق ومعظمها من السيارات الصفراء (التكاسى) ومعظم الحوادث من السرعة الجنونية.. ومن عدم مراعاة تعليمات المرور وأنظمتهم... ويعلم الله كم من الأرواح ذهبت مع هذه السيارات المعجزة والملقاء هنا وهناك.

وهؤلاء الذين يسرعون ليكسبوا الوقت.. أو ليكسبوا (السرى.. قد يضيعون ما هو أثمن من الوقت.. قد يضيعون حياتهم — وحياة من معهم من الأهل أو الركاب.

ونحن هنا — تنقصنا التوعية المرورية.. فتى نعى آداب السير وآداب الوقوف؟.. متى نعى أن من الواجب مراعاة وأتباع أنظمة المرور وتعليمات المرور.. التي وضعت من أجلنا ومن أجل سلامتنا متى نعى؟؟ أننا أن خالفنا هذه التعليمات فسوف ندفع الثمن غاليا وقد يكون الثمن أرواحنا أو أرواح اسرنا ومن معنا.

لقد رأيت — والله فى طريقى للمدينة — أكثر من سيارة تجتاز السيارات التى أمامها — دون ملاحظة السيارات المقبلة من الأمام وقد حدث معنا شخصا ولولا أننا كنا نخفف السرعة لدرجة الوقوف لوقعنا فى كارثة لا يعلم الا الله تعالى نتائجها.. والحافظ هو الله تعالى.

ولقد سرنى أن رأيت عناية المرور.. بتسير سيارات مرورية فى طريق المدينة.. ترشد السيارات وتوجههم لما يجب أن يكونوا عليه من السرعة.. ومن النظام والأعتدال فى تخطى السيارات.. ولاشك أن لهذه السيارات

المرورية نفع كبير وفائدة عظيمة فى الحفاظ على سلامة السير.. حبذا لو كانت هذه السيارات بأعداد أكثر.. أو كان جانبها (موتوسيكلات) يجوبون الطريق من حين لآخر.. لأن السائقين لا يلبثون أن يعودوا الى سيرتهم الأولى من السرعة الجنونية وتخطى السيارات بدون مبالاة وارتكاب المخالفات المرورية اذا غابت سيارات المرور عن وجوههم.

وعلاج دفع أخطار هذا الطريق أن يكون طريق المدينة جده — مزدوجا وقد يكون هو أولى بالعناية والأزدواج من خط الخواجات الذي يربط أبار على ببتوك الذي قال عنه معالى وزير المواصلات فى جريدة المدينة المنورة أن الوزارة تجرى دراسات لجعله مزدوجا.

وأذكر — الآن — أن دراسات مسبقة جرت لجعل خط المدينة جده مزدوجا.. وأن الصحف المحلية قد نشرت هذا.. ولاندرى اين وصلت تلك الدراسات.. وحركة السير فى هذا الطريق فى الزيادة يوما بعد يوم.

أرجوا أن تهتم وزارة المواصلات بهذا الخط.. فهو لا يقل فى الأهمية عن خط جده — مكة —.. سيما أيام المواسم والأعياد.

** حديث مخضرم عن ذكريات الصوم

تستقبل المدينة المنورة.. رمضان بفرحة كبيرة.. ويشترك فيها الاطفال والنساء والرجال معا..

وقد عاصرنا رمضان فى فترات كثيرة وتطورت عوائده وتقاليده بتطور الحياة والزمن

وسوف يكون حديثى عن رمضان مخضرمًا يجمع بين القديم والحديث عن عوائد رمضان وتقاليده.. كان أول ماتظهر بوادر رمضان.. اضاءة مآذن المسجد النبوي الخمسة فيسطع نورها فى ارجاء المدينة ويصل ضؤوها الى بعض ضواحيها.. بحيث يرى المرء ظله فى الرحبات القرية من المسجد. واذكر، عندما كان مدير اوقاف المدينة غالب (بك) — واطنه فى آخر عهد الحكومة العثمانية — اذكر ان شريطا كان يربط بين المئذنة الشكيلية ومئذنة باب المجيد.. يربط فى الطوق الأول للمئذنة الشكيلية والمجيدية ويعلق بهذا الشريط احرف مكتوبة بالثرديات الكهربائية.. وقد كتب عليها (اهلا وسهلا بشهر رمضان المبارك) فكانت تتلأأ فى رحبة المسجد النبوي بشكل جميل رائع ملفت للنظر.. وتشاهد أضواؤه صاعدة إلى السماء من الأمكنة البعيدة.

وفى ٢٩ شعبان وفى ليلة ٣٠ منه يزدحم المسجد النبوي بالناس حتى ليكاد يضيّق بالمصلين.. ينتظرون ثبوت هلال رمضان ليصلوا التراويح.. وتزداد اضاءة المسجد النبوي اضاءة ملحوظة فى القسم المسقوف منه وفى الرملة.. حتى كانت توجد اعمدة من الحجر الاحمر منتشرة فى رحبة المسجد النبوي تعلق عليها قديما قناديل من الزيت وتضاء ليلا فى شهر رمضان وبعد وصول الكهرباء كانت توضع فيها ثريات من الكهرباء للاضاءة.

نشرت فى جريدة المدينة فى ١٣٨٦/٩/٢ هـ

** رؤية الهلال:

وبعد غروب الشمس من يوم ٢٩ شعبان يصعد الناس الى الهضاب والمرتفعات واسطحة المنازل والجبال القريبة من المدينة.. يتشوفون الهلال.. وقليلًا ما كان يثبت هلال رمضان من المدينة لان الافق الغربى في المدينة محاط بالجبال المرتفعة.. وفي السنين التي ثبت فيها رمضان من المدينة — وهي قليلة جدا — كان شهود الهلال فيها يأتون من قرى المدينة القريبة او البعيدة — او من السابلة التي يأتون المدينة لبيع المواشى والفحم والخطب.. ولا يصل هؤلاء.. الا بعد وقت متأخر من الليل اذ انهم يأتون اما مشيا على الاقدام — أو سيرا على دوابهم البطيئة السير.. لذلك ما كان يثبت رمضان الا بعد منتصف الليل..

ومنذ عهد ليس بالقريب — كان يثبت شهر رمضان في الغالب عن طريق اللاسلكى.. فاذا رأى الهلال في اى مدينة من مدن المملكة واعتمد سماحة رئيس القضاة شهادة الشهود ووافق جلال الملك على ثبوته عمم على جميع انحاء المملكة بواسطة اللاسلكى واعتمد رمضان فى جميع البلاد السعودية.

** المحكمة الشرعية

ويبدأ فضيلة القاضى جلوسه بالمحكمة الشرعية يوم ٢٩ شعبان من بعد صلاة المغرب فورًا لسماع شهادة من رأى الهلال.. ويبقى الى اذان العشاء واذان العشاء في هذه الليلة يتأخر الى الساعة الثانية.. املا في اداء صلاة التراويح بعد صلاة العشاء اذا ثبت رمضان.. اما في الايام العادية فان اذان العشاء يكون الساعة الواحدة والنصف وبعد صلاة العشاء في المسجد النبوي يعود فضيلة القاضى الى المحكمة الشرعية ويبقى الى ساعة متأخرة من الليل.. املا في حضور شاهد «رأى» الهلال من مكان بعيد.. او استقبال اشارات اللاسلكى بالثبوت فى اى قرية او مدينة من مدن المملكة السعودية.. وفى عهد الحكومة العثمانية.. كان يعطى الشاهد الذي يثبت

هلال رمضان بشهادة يعطى «بخشيشا» وكان القاضى يتحرى كثيرا فى قبول الشهادة لئلا يأتى للشهادة مطالب بالبخشيش وقد بطلت هذه العادة من زمن بعيد..

**** استقبال الاطفال لرمضان:**

وبينا تنتظر المحكمة الشرعية شهود هلال رمضان تجد الاطفال يطوفون شوارع المدينة.. وبعضهم يحملون المشاعل المضاءة وهم يرددون اناشيدهم التقليدية (جابوا ماجابوا.. جابوا ماجابوا) يرددونها بصوت واحد يسمعه كل سكان المدينة تقريبا.. وهم يطوفون جميع شوارع المدينة وحوارها.

والنساء يسهرن الى ما بعد منتصف الليل.. الى مدافع السحور — والمويه — يطهون طعام السحور.. وقد اضيئت منازلهم بالانوار.

وموظفوا اللاسلكى تجدهم كلهم اذان يلتقطون الاشارات البرقية من هنا وهناك — من مختلف انحاء المملكة التى تجرى بين المراكز او التى ترفع للجبهات العليا عن ثبوت هلال رمضان.. واجراس التليفونات لا تنقطع ابدا عن سؤال موظفى اللاسلكى عما لديهم من اشارات برقية وأول ماتظهر رائحة رمضان تظهر من بين محطات اللاسلكى فتسمع من حين لآخر الاتصالات بين المراكز او بين المحاكم عن تقدم الشهود فى اى منطقة من مناطق المملكة.. الى المحكمة.

**** الحركة فى الاسواق**

ومن بعد عصر يوم ٢٩ شعبان يبدأ نشاط حركة الاسواق بالمدينة بعرض انواع اطعمة رمضان.. ومما يختص به رمضان من الاطعمة.. السمبوسك والمكارنة والقمر الدين.. والفطائر والكنافة والقطايف والتمر المرقد، والشربة والمقليات.. ولايكاد يخلو منزل من منازل المدينة من هذه الانواع ولا تخلوا موائد شهر رمضان من الاسراف فى الطعام حتى قال بعض شيوخنا ان مصاريف شهر رمضان تعادل مصروف ثلاثة شهور فى الايام العادية.. لان

الطبخ والتنفخ والقلى قبل المغرب وقبل مدفع السحور لابد وان يكون يوميا..
والطعام البائت لاجمال له في اكثر المنازل ايام رمضان والكل يقولون (خلى
الفقير يشبع).

وترتفع اصوات باعة الاطعمة من يوم ٢٩ شعبان بالاعلان عن
بضائعهم.. وتختلط اصواتهم بعضها ببعض حتى لا يستطيع المرء ان يفرق بين
هذه وتلك.. الا صوتا واحدا يبقى بارزا بين جميع هذه الاصوات وهو (عبى
سحورك يا صايم، عبى سحورك يا صايم).

ومن جملة اصوات باعة الكنافة.. كانوا يعلنون عنها — بقولهم —
الكنايف الكنايف — وكنا نقول لمن نقف عليهم ونشتري منهم..
(لاتقرفونا).. الكنايف جمع كنيف وليس جمع كنافه ولكن — مين يسمع
ومين يقرأ — وحتى هذه السنين وهم ينادون على الكنافه بالكنايف «ولدى
رجوعنا الى المنجد لم نجد فيه كلمة الكنايف أصلا».

واذا ثبت هلال رمضان ليلة ثلاثين من شعبان — فإن أمانة المدينة توفد
سيارات الى القرى التى لا يمكن ان تصلها مدافع رمضان — تعلمهم ثبوت
رمضان ليصوموه مع الناس.. وكان فى عهود ما قبل السيارات توفد حكومة
المدينة رجالا على الابل والدواب لابلغ القرى القرية بثبوت رمضان.

كيف ثبتنا رمضان فى شعبان

ومن اغرب مامر على جريدة المدينة — وكان ذلك فى يوم الاربعاء ٢٩
شعبان سنة ١٣٥٦هـ — السنة الأولى لصدور جريدة المدينة المنورة ثبوت
رمضان فى شعبان.

ويتلخص هذا الحادث... فى أن جريدة المدينة — وقد كانت تصدر
اسبوعية — وصادف صدورها يوم ٣٠ شعبان — وكنا نوضب الصفحة
الاولى والرابعة باعتبارهما للمقالات فى ذلك العهد من اوسط الاسبوع
وتبقى الصحيفة الثانية والثالثة اللتين كانتا مخصصتين للاخبار المحلية

والخارجية — الى ليلة صدور الجريدة لنشر اخر الاخبار المحلية والخارجية ويبدأ الطبع من بعد عصر اليوم الذي سبق صدور «الجريدة» او بعد المغرب على الاكثر.. لقللة الامكانيات الطباعية.. واتعب مشكلة كانت تواجهنا.. الحصول على العامل الذي يستطيع ان يدير عجلة مكنة الطباعة.. لانها كانت تدار باليد ورغم اننا كنا ندفع اجور هذا العامل بسخاء ندفع مبلغ ثلاثة ريالات لطبع كل وجهين من الجريدة ثم زدناها حتى اصبحت ٥ ريالات فان كل من جاء ودور (الطارة) مرة شرد وعاف الثلاثة والخمسة ريالات لانها متعبة ومرهقة.. ولم يصمد معنا الا شخص واحد هو (ابو ثوب احمر) واطن ان اسمه صالحا — ولكن كان لا يعرف الا — بأبى ثوب احمر — ويكفى ان يعرف القاريء العزيز ان الواحد منا ماكان يستطيع ان يدير هذه الطارة اكثر من ١٥ الى ٢٠ مرة وهذا القوى فينا.. أما غير القوى فمن ٥ و ٦ دورات فقط ثم يقف في الخط وقد تشعب هذا الحديث لان له دخلا كبيرا فى القصة التى سأرويها.

قلت انه صادف صدور جريدة المدينة ليلة ٣٠ شعبان وقد اخرنا طبع الوجه الثانى والثالث الى ان نتأكد من ثبوت شهر رمضان.. وانتظرنا تلك الليلة الى الساعة الخامسة والسادسة ليلا.. وماكان يشغل بالنا.. الا (ابو ثوب احمر) نخشى ان يضرب عن ادارة طارة المطبعة فتعطل الجريدة عن الصدور حتما لو رفض.

كنا نتحسس الاخبار من هنا وهناك من المحكمة الشرعية ومن اللاسلكى.. من صديقنا الشيخ كامل خطاب مدير اللاسلكى... والتفتنا خبرا خاصا من اللاسلكى بأن رمضان قد ثبت فى جيزان بشاهدين.. وان قاضى جيزان قد رفع ذلك لجلالة الملك المعظم وسماحة رئيس القضاة.. فاذا اعتمد الشهود عمن ثبوت رمضان لجميع انحاء المملكة.

وبينا نحن فى هذه الدوامة من القلق وكان ابو ثوب احمر يخطرنا من ساعة لآخرى بتركه للعمل.. وعجلة الزمن تسير لا تنتظر احدا.. واولئك

عمال المطبعة قلقون.. نلاحظ (من تحت تحت) تدمرهم وقلقهم يريدون كغيرهم ان يفرحوا برمضان وان يعجبوا سحورهم.. بينما نحن في هذه الدوامه.. واذا برسول المحكمة الشرعية.. السيد عباس يمر مسرعا من امام المطبعة ويبيده دفتر التوديع.. وبداخل الدفتر ظرف مختوم موجه لقائد منطقة المدينة المنورة — السيد احمد مجلد.

وسألنا السيد عباس عن الخبر فقال: (خلاص).

فقلنا له خلاص يعنى ايه.. ثبت رمضان.

فقال نعم وهذا الظرف للقيادة واطلاق المدافع..

وكانت الساعة حوالى الخامسة والنصف او السادسة وكان خبر رمضان مهيبا للنشر وكل شىء جاهز.. اغلقنا باب المطبعة وبدأنا الطبع والتغليف.

ونشر الخبر في العدد ٣١ يوم الخميس ١ رمضان ١٣٥٦ هـ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٧م تحت عنوان «ثبوت هلال رمضان»: (حمل البرق الى المدينة بعد منتصف الليل ثبوت رؤية هلال رمضان ليلة الخميس بجزان بشهادة العدول وقد عمم ذلك فى جميع انحاء المملكة العربية السعودية، فعليه هذا اليوم هو اول ايام الصيام.. وان جريدة المدينة تتفاعل باتفاق صدورها فى هذا اليوم المبارك وتقدم تهنئتها لجلالة الملك المعظم وانجاله الفخام وللبلاد العربية السعودية وعموم المسلمين سائلين المولى جل وعلا ان يجمع فيه شمل المسلمين ويجعله عام وفاق وخير وبركة.

وقد حمل الينا البرق انه ثبت بالخميس فى مصر وفلسطين.

ونشرنا خبر ثبوت هلال رمضان على النحو التالى اذ لم يبق اى شك لدينا فى صحة الخبر بعد ان عززت المحكمة الشرعية ماسمعناه عن ثبوت رمضان فى اللاسلكى واعتبرنا أنفسنا أننا قد حصلنا على سبق صحفى قل أن يجود الزمان بمثله.

وأغلقنا الباب علينا لنعمل فى هدوء: ولكن التلفون أشتغل داخل أروقة المطبعة.. أشتغل التلفون على نطاق واسع.. عممنا ثبوت رمضان لكل من

نعرف ومن لانعرف — وسرى الخبر فى المدينة سرى ان الماء فى منحدره.. واستيقظت المدينة فى ذلك الليل على ثبوت — رمضان وجاء الكثيرون يطلعون على الجريدة ليتأكدوا من ثبوت رمضان وقد أخذ البعض اعدادا من الجريدة ليقتنع من لم يقتنع.. وشرعت الاسواق بعرض بضائع رمضان واستطيع أن أقول أنه لم يبق أحد فى المدينة الا وعرف ان رمضان ثبت وتسحر ونام من اعتاد ان يتسحر مبكرا ونام وبقي من بقي.

واشغلنا الناس بالسؤال تلفونيا عن رمضان فلا تكاد نرعى السماعه حتى يرتفع جرس التليفون مرة اخرى وكلهم يسأل — هل صحيح ثبت رمضان — وكنا طبعا — نجيب بنعم والخبر نشر فعلا.. والكل يروون ثبوت الهلال عن الجريدة واى مصدر اوثق من الجريدة.

وتركنا الجريدة تطبع وعدنا الى منازلنا ونحن فى منتهى التعب وتسحرنا — ولكن النوم شرد من اجفاننا لانه مضى وقت طويل جدا ولم تضرب مدافع رمضان — (ولبدنا على ماعدنا) ونحن فى منتهى القلق من الناس ومن الحكومة.. وطلع النهار والناس مفطرون — لامدافع رمضان ولايحزنون — الجريدة اودعت فى البريد ماكان منها للخارج ووزعت فى المدينة وخبر ثبوت رمضان فيها.

وافقنا من تعبنا وقلقنا على جرس التليفون — كان المتكلم الامير عبد الله السديري — رحمه الله — امير المدينة — يطلبنا لمقابلته.. وبعد ان قابلناه — سألنا: كيف تنشرون خبر ثبوت رمضان وهو لم يثبت فأخبرناه بما حصل معنا فى الموضوع فكان الواقع هو أن فضيلة القاضى — قاضى المدينة المنورة — السيد زكى برزنجى كثيرا مايعتريه الصداع.. وكان مشتدا عليه فى تلك الليلة.. وعلم كما علمنا من اللاسلكى ان رمضان ثبت فى جيزان وان المخابرات تدور مع الجهات العليا حول تعميمه لمناطق المملكة فقرر مغادرة المحكمة للراحة.. ولم يكن معه معاون ذلك الحين فأمر ان يكتب الخطاب التقليدي باطلاق المدافع — مدافع رمضان — ووقعه والخطاب موجه لقائد

منطقة المدينة كالمعتاد.. وكتب معه خطابا خاصا لقائد المنطقة يعلمه فيه
بظرفه واضطراره لمغادرة المحكمة — واخبره في الخطاب الخصوصي انه في
حالة ثبوت الشهر ووصول البرقية من جهة الاختصاص بذلك — يكون عنده
التعميد باطلاق المدافع ولا حاجة لازعاجه وخروجه مرة ثانية من المنزل
للمحكمة وفي حالة عدم ثبوته بواسطة الاسلحة يعيد اليه الخطاب ثانية
صباحا للاحتياط فقد احتاط السيد كل الاحتياط رحمه الله.

** العيد فى المدينة المنورة

الاعیاد.. فیها منطلق.. وفیها ترویح للنفس.. وفیها بعد عن قیود العمل الروتینى المتكرر الممل.. الذى یعیشہ المرء طول سنته — بین المكتب والمنزل.. و بین العمل والبیوت لذلك كانت ايام الاعیاد.. من امتع ايام العمر واغلاها، واحلاها.. عند مختلف الشعوب والامم.. یشترك فی ذلك الأطفال والكبار.. والرجال والنساء.

وعندما اتحدث — عن العید فی المدينة (الجريدة) فانما اتحدث عن العید.. فی المدينة (البلد) البلد.. الذى عشت عیده اكثر من نصف قرن.. لذلك سوف یشتمل حدیثى عن العید — قديمه وحديثه.. سوف یشمل ذکریات الامس.. وواقع الیوم..

والعید فی کل الدنیا یهیء للأطفال، والكبار على السواء یهیء لهم.. وسائل التسلية، والترفيه والترویح عن النفس ویتیح لهم التحلل.. من قیود التعليمات، والنظم.. ومراقبة الرئيس للمرؤوس.. وصاحب العمل للعامل (ویریح) الموظفين من التوقع — على دقت الدوام عند الحضور والغیاب.. هذا الدقت.. الذى یعتبره الكسول والمتراخى.. ابغض ما فى الدائرة.. بل ابغض من الرئيس الکشر.

** لا احقاد فی العید

وفى العید تزاور.. وتحابب.. وتقارب وتآلف وفیه تحطيم للأحقاد.. والخصومات.. فیه یحل التسامح محل الضغائن.. والایتسامة والبشاشة محل

نشرت فی جريدة المدينة فی ۱۰/۷/۱۳۸۸هـ

(التقزين) وتقطيب الجين.. تجد المرء — يعيش الايام والشهور — فى خصام مع صديق أو قريب.. فاذا جاء العيد نسى كل خصامة وزعله وماان تدق العين فى العين.. حتى يتصافحا ويتعانقا لاشعوريا.. والابتسامة تعلو وجوههم، يتبادلون العبارة التقليدية للعيد (من العايدين) وينتهى كل شىء..

ويتحين المصلحون.. فرصة ايام العيد فيصلحون بين المتخاصمين.. ولو كان بينهم (حرب البسوس) وتكون حينئذ مهياة للصلح والتسامح.
وحتى الحكومة.. يتجلى عليها هذا التسامح.. فى العيد فتطلق سراح المسجونين.. وتعفو عن المذنبين.

فالعيد كله سرور.. وكله فرحة — لاجل فيه للكثرة، والتبؤيز..

**** حنين المدينة:**

ويحلولى الحديث.. عن عيد المدينة — فإن له ذكريات غاليات لديّ
تثير لواعج الشوق والحنين.. الى طيبة الطيبة.. الى ربوعها ومغانها.. نقاها وقباها.. قربانها وعواليها.. جرفها وعيونها.. عقيقتها وبطحائها، وقناها.. ساحتها ومناخها.. أهدها وسلعتها، وجاداتها.. كل هذه المغانى لها ذكريات عندما يتجدد الحديث عنها وتكرر كلما خطرت بالبال وكلما نادى منادى العيد.

يحلولى.. الحديث عن تلك المرافق والمغانى.. التي كانت مرتع الصبا ونضرة الشباب، وزهرة العمر.. أسأل الله تعالى.. ان تكون لى آخر المطاف فى هذه الحياة.

ولأحب — أن أتحدث — عن الشجون، ولواعج الحنين والشوق.. وأنا أتحدث عن العيد.. فإن من طابع العيد الفرح — والترويح عن النفس.. فالى الحديث عن العيد.

تبدأ حركة العيد بالمدينة.. في يوم ٢٧ رمضان.. عندما يبدأ هلاله.. في التوديع.. تزداد الحركة والنشاط فى الاسواق.. وتنتشر انواع الحلوى.. فى الاسواق.. مع اختلاف اشكالها والوانها.. فى جميع الاسواق.. لا يوجد منزل.. من منازل المدينة — او القرى — الا وتقدم فيه الحلوى — للزائرين والمعبدین.. وتستهلك المدينة — ايام العيد — من هذه الحلوى اطنانا واطنانا.

**** التمر بدل الحلوى فى العيد**

وهذه المناسبة.. اذكر ان جريدة المدينة المنورة.. قامت بدعوة المواطنين.. من السنة الاولى لصدورها.. سنة ١٣٥٦هـ.. باستعمال التمر بدل من الحلوى.. تشجيعاً لمنتوج بلادنا.. لان التمر.. من اهم حاصلات بلادنا الزراعية.. والحلوى مستوردة من الخارج بالعملة الصعبة.. وتبنت جريدة المدينة.. هذه الدعوة ونجحت نجاحاً كبيراً.. حتى ان — امير المدينة الامير عبد الله السديري رحمه الله.. اقتنع بهذه الفكرة.. وقدم فى معايدته الرسمية بالديوان.. التمر بدل الحلوى.. كما ان معظم المواطنين — ان لم اقل كلهم — قد وضعوا التمر بدل الحلوى.. وكنا نلاحظ ان بعض من كان.. يضع الحلوى فى اطباقه.. يخجل من تقديمها — ولا يتورع بعضنا من ان يبعثر اطباق الحلوى.. لمن لم يستعمل التمر بدلها.. وتحسن سوق التمر.. فى ذلك الحين.. تحسنا كثيراً.. واصبح التماره.. يعرضون انواع التمر الجافة.. التى (لادبك) فيها.. فى العيد.. ويقولون — ان سوق التمر فى العيد — اصبح احسن من السوق.. ايام الموسم.. واستمر ذلك عدة سنوات — حتى كادت تختفى الحلوى — كلياً من المنازل.. وتوقفت الجريدة عن الصدور.. ايام الحرب العالمية الثانية.. فى عام ١٣٦٠هـ.. ورجع الناس لاستعمال الحلوى مرة ثانية.. تدريجياً وتركوا منتوج بلادهم التمر.. الذى هو ألد وأنفع وأطعم من الحلوى الف مرة. فهل من عودة للتمر بدل الحلوى.

ولا اريد.. ان اطيل.. فى هذا البحث — فقد يخرجنى.. عن الموضوع وجريدة المدينة المنورة.. مملوءة.. بما كتب فى هذا العدد.. من الادباء،

والمفكرين .. فى ذلك الحين .. ومالقى المشروع من رواج ونجاح.

(وأعود) ولاعود.. للحديث عن العيد.. أيضا..

**** ازدحام الاسواق:**

تبدأ ليالى العيد.. كما قلت من ٢٧ رمضان حيث تتعطل الاعمال..
فى الدوائر الحكومية.. وجميع المكاتب والمصالح — وينتقل النشاط.. الى
الاسواق.. بغرض متطلبات العيد.. من مأكـل ومشرب وملعب، وزينة..
وتزدحم الاسواق.. بالذاهبين والآيين سيما بعد التراويح.. (واللى مايشترى
يتفرج).

واكثر الاسواق حركة ونشاطا — باب المصرى، سوق الحدره، (المسمى
سوق (جوه المدينة)، سوقة شارع العينية، باب السلام، برحة باب الرحمة،
باب المجيدى، هذه الاماكن تكتظ بالناس.. فلا ترى بها موضعا لقدم.

ويؤم المدينة — فى هذه الايام، الكثير من سكان القرى القريبة
والبعيدة.. من المدينة.. من الشمال والجنوب والشرق، والغرب — يؤمون
المدينة.. للعيد بها وصلاة المشهد — فى مسجد الرسول — الاعظم صلى الله
عليه وسلم وكلهم — يقضون لوازمهم — لباسهم وطعامهم، وزينتهم من
اسواق المدينة.

وتخرج بضائع العيد.. من المخازن، والدكاكين.. وتشرع فى الاسواق..
على عرض الطريق.. وتتغاضى البلدية.. عن ترفيعاتها فى الاسواق..
وتتساهل مع الذين يخرجون على الشوارع.. ولسان حالهم يقول (اتركهم
يتسبون الدنيا عيد).

**** الخياطة والحلاقون:**

واكثر الناس تعباً ونفعا.. الخياطون، والحلاقون.. فالخياط يعبى..
العديد من عماله.. ويسهر معهم الى الصباح.. ويرفض قبول الخياطة —

من العشرة الاخيرة — وبعضهم من اول رمضان.. (ويادوب) يوفى بوعده.. واذا جاء مضطر لخياطة ثوب له او لاحد عياله.. فى العشرة الاخيرة.. فعليه ان يدفع اجرة له ثلاثة اضعاف الاجرة العادية.. والا فليعد.. بثوبه القديم.. والحلاقة — اتعب.. من يريد الحلاقة.. فى ليالى العيد.. انه اذا لم (يرن) الساعات الطوال.. عند باب الحلاق.. فإنه يعيد (بشوشته المنبوشة).. وتجذ الطابور.. امام دكاكين — الحلاقين — يتعدى السوق الذي هو فيه.

**** لانوم ليلة العيد:**

وليلة ٣٠ رمضان — هى الليلة — الساهرة — التى لاينامها احد.. الاسواق عامرة بالناس الى الصباح — والبيوت مضيئة الى الفجر — لترتيب مايلبس ويؤكل فى العيد.. ولكنس البيت ورشه وغسيل الحجر.

**** ستات البيوت:**

وتجذ الناس.. وبالأكثر السيدات.. يضعون ايديهم على قلوبهم.. خشية ثبوت العيد.. ليلة ٣٠ رمضان.. ولايصفق لمدافع العيد.. اذا ثبت الا الأطفال أما الباعة.. والمتسبون.. ومن كانت اعمالهم تتعلق بالعيد — والنساء فى المنازل — فإنهم يتضايقون من مدافع العيد.. ليلة ٣٠ رمضان.. كما يتضايق (خزانة السمن من المطر).

وقليل جدا.. من ربات البيوت من تستطيع ان تهىء لوازم بيتها واولادها وعائلها يوم ٢٩ رمضان..

(والدبيازه).. الاكلة التى تجمع.. بين اللحم والفواكه الجافة والحلوى والنقل.. هى الأكلة المفضلة لدى السيدات فى اول يوم العيد.. فلا تجذ دارا فى المدينة ليس فيها طبق الدبيازه.

** صلاة المشهد:

من امتع المشاهد — واجملها... صلاة العيد (المشهد) فى المسجد النبوي الشريف، فترى الناس يتهيئون — لصلاة المشهد — بعد منتصف الليل.. وكان طابع — زمان — فى لباس العيد.. الثياب الداخلية — المشغولة — بالنسلة واللف — ويتعاقب البعض فيرفع الياقة المشغولة.. الى عنان الرقبة.. بحيث تظهر من تحت (الجلابية) الثوب.. وتنشى هذه الياقات.. فتصبح واقفة.. كلوح المقوى.

** الجبة والعمامة:

والجبة والعمامة.. هى اللباس التقليدي.. فى العيد — لمعظم المواطنين يلبسها الصغار والكبار — ومشكلة المشاكل — فى العمامة.. لفها.. فقليل من الناس — من يجيد لفها.. والعمامة عبارة عن — طاقة مقصص — يلف عليها احرام من الشاش — طوله ستة او سبعة «اراشين» ويلف الاحرام.. حول نفسه اولاً.. ثم يلف ثانية على العمامة.. طبقة فوق طبقة.. بطريقة رتيبة.. وقد يقضى رب الاسرة.. معظم الليل.. وهو يلف عمايم — اذا كان عنده اولاد وأطفال — يلبسونها.. وكثيرا ماتجده — يهد وينى — فى لف العمامة.. حتى تخرج العمامة (مكولسة) بشكل جذاب يرضى عنه — ومن اشتهر بجودة لف العمام.. فان اكثر اقاربه واصدقائه وجيرانه.. يقصدونه لللف عمامتهم.

وبعض الاسر لها طريقة خاصة فى لف العمام.. تعرف بها.. فالبعض يضع لها عذبة من الامام.. فى وسط التكريه — مرفوعة الى اعلى.. والبعض يجعلها.. فى الجانب الايمن.. وبعضهم يضع العذبة من الخلف.. يرخيها الى اسفل ويطولها.. وبعضهم يقصرها.. وبعضهم لا يضع لها عذبة بالمرّة.. وهكذا لكل اسرة طريقة خاصة.. فى لف العمامة وكثيرا ما تكون العمامة.. اكبر من رأس لابسها.. اذا كان طفلاً.

** خروج الاسر للمسجد:

ومن فجر.. يبدأ الناس في الخروج.. الى المسجد النبوي — وكل اسرة يتقدمهم كبيرهم.. يحيط به افراد اسرته صفاراً وكباراً — بأزيائهم التقليدية الزاهية.. وكثير من الاسر.. لهم امكنة خاصة.. تحجز لهم.. بواسطة سجاجيد يتقدم بها.. احدهم.. أو خدمهم ليحفظوا لهم الاماكن بالمسجد ولا يلبث المسجد ان يمتلئ بالناس حتى يضيق بهم.. ثم تمتلئ الشوارع.. والرحبات المحيطة به.

** فى صلاة العيد وما فيها:

وتقام صلاة العيد.. بعد شروق الشمس.. فتقف هذه الكتل البشرية — داخل المسجد وخارجه تؤدي صلاة — العيد.. وقد يكون من بين.. المصطفين للصلاة — من لا يفقه.. تكبيرات العيد.. سيما من كان قادماً.. من البادية والقرى.. البعيدة عن المدينة.. وقد يختلط.. على بعض المصلين.. بين تكبيرات العيد.. والتكبير.. للركوع والسجود.. فتجد — سيما — من كان خارج المسجد.. وفي الصفوف الاول — البعض راكعاً — والبعض قائماً او ساجداً — او قاعداً.. بشكل يوحى بالغرابة، وبأن صلاة العيد صلاة.. لاتقام الامرة فى السنة.. او مرتين.. ولا يفقهها.. الا.. الدارسون.

** الزحام عند الخروج من الصلاة:

وبعد صلاة المشهد — ينطلق الناس.. من المسجد.. فى طريقهم الى منازلهم.. وتمتلئ الشوارع بالناس.. ويكثر الزحام بالموكب.. فالذين جاؤا للمسجد فى ساعتين او تزيد.. يخرجون.. كلهم دفعة واحدة واكثر مايكون الزحام.. عند بوابات المسجد النبوي.. سيما.. من يضعون احذيتهم لدى.. بواب المسجد.

**** ذكاء بوابى المساجد:**

ويعجبك ذكاء بواب المسجد وفراسته.. فأنت لا تتعب كثيرا — فى الحصول — على حذائك.. فإن البواب بمجرد ما ينظر الى وجه الشخص مد يده وسلمه اياه.. ولا تكاد فراسته تخطىء فى هذا سبيل .

**** اشكال والوان فى الشوارع:**

وفى الشوارع التى تكتظ بالناس ترى مختلف الازياء والاشكال.. العجيبة فى اللباس الجبب والعمائم.. والمشالح والعقل المقصبة وغير المقصبة والصواكى الريزة والمواشاة بالترتر والكثير.. ومعظم لباس العيد يكون جديدا على الناس غير معتاد لديهم.. فكثير من الناس.. لا يلبس الجبة والعمامة الا فى العيد.. ولا يلبس المشلح والعقال الا فى العيد.. ولا يلبس الكندره والشراب.. الا فى العيد.. لذلك تجد من لم يتعود على امثال هذا اللباس.. لا يحسن لباسه فهذا عمامته ميله الى اليمين.. وذلك الى الشمال.. وهذا عقاله معروج الى الخلف او الى الامام.. وهذا مشلحه كتف طالع وآخر نازل — فترى انماطا عجيبة ونماذج كثيرة.. فى العيد.

**** حجاب نساء البادية:**

ومن اعجب المناظر التى كنا نشاهدها فى العيد حجاب نساء البادية.. انهن يضعن.. على الخمار المغطى به الوجه حديدة من الصفر.. تثبت فى الخمار بمحاذات الانف والى جانبها قطع فضية ملصومة.. من ذوات القرش والقرشين وربع الريال.. الفضى القديم.. تلضم على اطراف البرقع الموضوع لغطاء الوجه.. ويتباهين بسحب ردائهن فى الأرض.. ومازاد وسحب فى الأرض يسمونه (العز) فتجد هذا العز يكس الشارع وراءهم.

**** الدعاء والاستعراض:**

ويتجمع كبار القوم وصغارهم وكبار الموظفين.. وصغارهم بعد الصلاة

(المشهد) عند دار الحكومة ويأتى قاضى المدينة.. بحاشيته.. ويقف امام دار الامارة ثم يأتى حاكم المدينة.. متأخرا عن الناس.. لانه لا يخرج الا بعد انتهاء خطبة العيد.. يأتى امير البلد.. راجلا.. يحف به خدمه ويرافقه قائد منطقة المدينة ومدير شرطتها.. ورجاله.. بلباسهم التقليدي.. وقد حمل بندقيته على كتفه وسيفه بيده وان كان من يحملون السيوف قلة.. ويتوسط الحاكم هذه الجموع.. ويقف بجانبه قاضى المدينة.. ثم يخرج القاضى بطاقة فيها دعاء العيد.. ويبدأ قراءتها.. بصوت رخم فتجد تلك الجموع الغفيرة مصغية لما يقول.. وكان على رؤوسهم الطير.. واذا جاء فى آخر الخطبة الدعاء للسلطان أو الملك.. يشير شخص يوضع خصيصا فى منارة مسجد السيدة فاطمة.. بدار الحكومة.. يشير الى الجنود بجبل سلع.. ببيرق احمر.. يلوح به يمينا وشمالا.. ايدانا بذكر الملك.. او السلطان.. فتطلق مدفعية الجبل ٢١ طلقة.

وبعد الانتهاء.. من خطبة العيد يستعرض حاكم البلد.. جنود الدفاع.. وجنود الشرطة.. فتصر امامه اولا جنود الدفاع بموسيقاهم المشجية.. واذا حاذي الضابط الذي يتقدم الجنود.. موقف الامير.. ارخى سيفه.. الذي كان مشهورا.. ونظر الى الجهة التى بها الامير.. وصاح فى جنوده بصوت يدوى فى ارجاء الرحبة (يمين انظر) فتتحول انظار جميع الجنود الى الامير.. بسرعة خاطفة وكلما مر ضابط امام الامير صنع صنيع زميله.. الى ان ينتهى الطابور وبعد ان ينتهى عرض جنود الدفاع.. يبدأ عرض جنود الشرطة.. بموسيقاهم ومشيتهم التقليدية ويسرون بالنظام.. الذي سار به زملاؤهم جنود الدفاع وبعد انتهاء العرض يستقبل الامير المعايدين بالصالون.. ثم يطوف الامير على جميع الدوائر الرسمية بالبلد.

**** عادات بطلت:**

وقد بطلت عادة اطلاق المدافع منذ زمن بعيد.. أما موقف الامير وخطبة العيد.. امام دار الامارة واستعراض الجنود والمعايدة فهى قائمة.. على ان خطبة العيد كان يلقيها معاون القاضى أو رئيس الكتاب.

وبعد ان شملت.. دار الامارة التي تداعت الى وزارة المواصلات لتكون مقر التلفون الاتوماتيكي.. وانتقلت الامارة الى مكان آخر اقام سمو أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز.. مخيماً كبيراً في الجهة الشرقية.. واستقبل المهنيين والمسلمين.. وتحول تكاتف الناس وزحامهم من شارع العنبرية الى شارع ابي ذر.

**** الضيوف والزوار:**

ولقد سهل على الناس طريق المدينة الاسفلتي.. سهل للكثيرين العيد بالمدينة.. فن يوم ٢٧ رمضان.. يبدأ أهالي جدة ومكة والطائف وينبع وغيرهم المجيء الى المدينة لقضاء ايام العيد.. والصلاة في المسجد النبوي.. فتزدحم الفنادق والمنازل المعدة للايجار واخبار الضيوف الذين لايجدون منازل لسكناهم ثم يعودون بعد صلاة المشهد الى بلادهم.. كثيرة جداً.. ولو عرف اهل المدينة الذين لايجدون اماكن لنزولهم لأفسحوا لهم في صدورهم.. ولكنهم لايعلمون ذلك الا بعد ضياع الفرصة.. لانهم يحبون ضيوفهم ومن هاجر اليهم.. ولا تعرف المدينة موسماً اكبر من موسم العيد.

** ذكريات العيد (١)

كلمة العيد كلمة شيقة شفاقة.. حبيبة الى النفوس فهي توحى بالبهجة والسرور، والغبطة الحبور.. وقد لا ينطق بها انسان فى أيام العيد.. الا هاشا، باشا، مبتسما.. فتملأ النفوس مرحا وهناء.

ولكل أمة من الأمم عادات وتقاليد فى الأعياد.. يتزاورون فيها.. ويتبادلون فيها التهانى، والتبريك والهدايا.. «والبخاشيش».

ومن أهم الأعياد فى الاسلام، وأمتعها وأجملها.. عيد الفطر السعيد.. فهو عيد المسلمين جميعا.. فى جميع أصقاع الأرض.. يحتفلون به.. ويعدون الأيام، والساعات لاستقباله والحفاوة به.

وفى هذا اليوم السعيد ترى الوجوه مشرقة والثغور باسمه والنفوس مبتهجة.. والقلوب نظيفة، مهياة للتعاطف والتسامح والتجاوز عن الماضى.. بما فيها من خير او شر.

وتشدنى هذه الذكرى.. ذكرى عيد الفطر المبارك الى أعياد المدينة المنورة.. التى قضيت فيها أيام الطفولة الحلوة، وأيام الشباب الماتعة، وأيام ربيع العمر، وخريف الحياة، وشتاء الشيخوخة.

واذا ماعدت الى تلك الذكريات الغالية.. فأنا تنغص علينا واقعنا الذى نعيشه الآن.. فقد اختفت من الأعياد تلك العوائد الجميلة الرائعة.. فى التزوار.. والتصافح والايناس.. اختفت تلك اللقاءات المشرقة.. بوجوه باسمه، ونفوس متجاوبة متساحة.. تلك اللقاءات التى نسعد بها.. فى جميع

نشرت فى جريدة المدينة فى ١٠/١/١٣٩٩هـ

أيام العيد الأربعة.. وقد خصص لكل حارة من الحارات الاربعة بالمدينة يوم.. يؤمه الناس لمعايدة أهله وأصدقائه ولايتكون بيتاً مفتوحاً.. الا وزاروا أصحابه عرفوهم أم لم يعرفوهم.. تجد الشوارع في يوم أعيادهم تلك الحارة بالمعدين والمسلمين بلباسهم التقليدي للأعياد.. وتخدمهم أفواجا، أفواجا كل أسرة يتقدمها كبيرها.. وتلتف حوله الأبناء، والأحفاد وأقرب الناس الى الأسرة.. ويسيرون في نظام دقيق رتيب.. وتستطيع أن تعرف أسنانهم من سيرهم.. فالصغير في السن دائماً يتأخر خطوة أو نصف خطوة عن هو أكبر منه سناً.. ولا يمكن أن يدخل الصغير قبل الكبير.. أو أن يجلس في المجلس الصغير قبل الكبير.. هكذا كانت الاخلاق بين الأسر وهكذا الاحترام والتقدير سائد بين الطبقات الصغيرة يوقر الصغير الكبير والكبير يرحم الصغير.. والتعاطف سائد لابعد حدود التعاطف.. هذه الزيارات المتتالية في الأعياد.. وهذا التعاطف.. والتحاب جعلت سكان البلد الواحد وكأنهم اسرة واحدة.. وعم التعارف والتقارب.. بين الناس حتى لا يكاد يمر بك شخص ما. الا تعرفه وتعرف أسرته ووالده وفي أى محلة يسكن.. وليس هذا من صغر حواري المدينة — فقط — ولكنه من تعاقب الزوار واللقاءات المستمرة في الأعياد.

وليس هذا التزوار بين الأهل والأقارب مقصور على العيد الكبير وعيد الفطر.. بل هو مستمر في بقية المناسبات الأخرى.. وأذكر أنه اذا هل رمضان فأنسنا نرافق والدنا غفر الله له — أنا وأخواني على وأبو سعود رحمه الله في زيارات دائمة.. فلا نترك أحداً من الأرحام، والأقارب، أو الأهل.. الا ونزورهم ولانترك صديقاً حميماً الا ونزوره، وجيران الجنب لابد من زيارتهم واحداً واحداً.. وقد لا يكفي شهر رمضان لهذه الزيارات.. فنضطر أن نزور داراً أو دارين في يوم واحد وكذا في هلال رجب.. وكنا نزار ونزور فلا تنقطع الزيارات لمنزلنا طيلة أيام رمضان.

اختفت هذه الظاهرة الجميلة.. ظاهرة التزاور والتعاطف.. بين الأقارب والأرحام والأصدقاء والأقارب في تلك المناسبات وها هي الآن تختفي.. في

هذه المناسبة الكبرى مناسبة عيد الفطر السعيد من أعظم أعياد الأسلام..
وحل محلها البطاقات، والبرقيات للمعايدة.

وأتى الأعجب.. أن أرى بعض البرقيات، وبعض البطاقات من
أصدقاء أعزّه.. تربطنا بهم أواصر الصداقة العميقة، والأخاء والرحم أيضا،
وهم معنا في بلد واحد ويتربقب المرء أيام العيد لمواصلتهم وتجديد الصلات
بهم.. والتمتع بأحاديثهم.. واستجراح ذكريات الماضي البعيد والقريب
معهم.. فيجد أمامه سيلًا من البرقيات وبطاقات المعايدة.. وهذه المعايدات
البرقية و«البطاقية» تقطع الطريق.. على تلك الزيارات.. ويضطر المرء أن
يجارى التيار.. وإذا كنا بالأمس «لأنرضى الوصال وفوقه» فأننا الآن «نقنع
بالخيال ودونه على رأى شاعرنا».

وقد كنا نستعمل البطاقات والبرقيات.. لمعايدة الذين ينأون عنا.. وفي
بلاد بعيدة.. لاسبيل للمواصلات الشخصية اليهم.
أما أن يعيد الجيران بعضهم بعضا.. أو الذين يمكن الاتصال بهم
شخصيا بسهولة ويسر.. فنعايدهم بالبرقيات أو البطاقات وبيننا وبينهم
أيضا خط تليفونى يمكن أن نسمع أصواتهم ويسمعوا أصواتنا نعايدهم
بالورق.. فهذه بدعة غير حسنة وما كنا نعرفها.. من قبل هذا.

والآن.. وما أدراك ما الآن.. تزدحم الذكريات أمامى — ذكريات
العيد، وجمال العيد، وأنا أكتب هذه الكلمة.. ويتحرك الشوق والحنين..
الى تلك الربوع الطاهرة.. والى تلك الأيام الجميلة الغالية.. الأيام التى
عشناها.. فى طيبة الطيبة.. بين جدرانها، أزقتها، وأسوارها، ومناخها،
وساحتها، وذروانها وسيحها.. يهزنى الشوق الى مسجدتها العظيم.. الذى
كان محلا لعبادتنا لحفظ القرآن المجيد — ولذاكرة دروسنا، بحضور حلقات
الدروس على مشايخنا وأساتذتنا فى مختلف العلوم والفنون.. الدينية
والدنيوية.. ولقد كنا نقضى فى المسجد النبوي.. أكثر مانقضيه فى منازلنا
وبيوتنا.. فهو بيتنا الأكبر.

يهزنى الشوق والحنين.. الى مغانى طيبة وربوعها.. الى عالياتها.. قباها،
والعوالي، وقربان.. الى عقيقتها، وبطحانها وقناها، وقناتها.. الى جرفها
وعيونها، الى احراشها، وهضابها.. الى احدها وجماداتها وسلعها الى ابي
جيدة.. ذلك الوادى الجميل.. والذي يتباشر به أهل المدينة.. والذي يضرب
المدينة من وسط منازلها وبيوتها.. ولا يترك بئرا الا وملأها بعذوبة مائه.

أنها أماكن عزيزة غالية على النفس.. قضينا فيها ربيع عمرنا، وشرخ
شبابنا وطلائع شيخوختنا.. فكيف ننساها.. أنه جزء من حياتنا فكيف
نسلاها.. وكل ماأرجوه من المولى عز وجل أن يجعل اليها المآب.. وأن يجعل
فيها الخاتمة.. بجوار من اصطفاه رحمة للعالمين.

ولقد ذكرتني هذه النفثات بقطعة شعرية للمرحوم الصديق أبى حمزة
ضياء الدين رجب — قال يناجى بها المدينة تحت عنوان «على ربي سلع».

ياموحى الشعر صوت منك أشجانا	فهل أعرت الحجار الصم آذانا
ياموحى الشعر أصداء ترن على	سلع تنردد ايات والحنانا
ياموحى الشعر قد أورثنى شجنا	ولست أعرف من ذى قبل أشجانا
ياموحى الشعر في «سلع» لنا مهج	وفي العقيق وفي الجماء أحيانا
وفي الطبيعة حسن غير مصطنع	ينسيك ليلى وذات الدل بورانا
واسمع أهازيج ورق باللوى هتف	أبعد هذا تردم اليوم سلوانا
أبعد موطنك العالى وعزته	تروح أندلسا يوما ولبنانا
أبعد خير بقاع الأرض منزلة	تشتاق مصر وفرد الحسن بغدانا
أبعد طيبة أو أم القرى وطنا	ياصاح تخطب فى دنياك أوطانا

هناك شع ضياء الدين فى حلل حمراء تنشر ياقوتا ومرجانا
هناك أزهر ونور العلم وازدهرت رياضة فجنى الاسلام عرفانا
هناك انجبت الدنيا اعزفتى لنصرة الحق والتوحيد وأفانا
هذه أبيات ناجى بها رواى المدينة ومربعها.. وقد اشجتنى وحركت
لواعج الشوق، والحنين الى تلك الربوع الغايات.
وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقي العاشقيننا

** ذكريات العيد (٢) **

ليس أجمل ولا أروع من أيام العيد.. فأيام العيد كلها سرور وهجة — وكلها هناء ومرح.. فالعيد هو متنفس الشعوب وانطلاقها من قيود العمل الروتيني.. الذي يعيشه الانسان صباح مساء.. وفي العيد، والأعياد يتخلص الانسان من النظم والتعليمات، والأوامر والنواهي ومن الساعات ومن الدفاتر التي تخصى عليه ساعة قدومه وساعة انصرافه.

في العيد يتخلص الناس كل الناس من جميع الطبقات.. الموظف والعامل، والتاجر، الصانع كل الناس يتخلصون من الدوام الرسمي من التاسعة الى الثانية ومن الخامسة الى السابعة.

هذه القيود تتلاشى أيام العيد — فكل أيام الأعياد أجازات يسرح فيها الناس ويمرحون في فسح وزيارات.

من أجل ذلك كانت الأعياد فرحة كبرى للناس — صغيرهم وكبيرهم، نساؤهم ورجالهم.. ومن أجل ذلك.. كانت أيام العيد من أمتع أيام السنة وأجملها.

وقد أعطت هذه الحرية في الأعياد للناس.. فرصة قضاء أيام العيد خارج المدن التي يسكنوها.. وتوفير المواصلات الجوية والبرية.. سهلت على الناس السفر الى البلاد القريبة والبعيدة على السواء.. فلم تصبح الآن البلاد الآسيوية أو الأوربية بعيدة — وبينما كان السفر الى القاهرة أو لبنان فيه كثير من الصعوبات.. أصبح الآن السفر الى لندن ميسر — لا يكلف أكثر من ست ساعات فقط — طيران في الهواء.

نشرت في جريدة المدينة في ١٠/٢/١٣٩٩هـ

وربما تأتى أيام آخر يخلق الله تعالى مالا تعلمون.. ومن يدري؟
قد يمكن السفر على الصواريخ والقذائف التي تقطع آلاف الأميال في دقائق.

أعود الى موضوع العيد — الذي هو موضوع حديثنا.

لقد اعتاد الناس في كل الدنيا أن يتبادل التهاني والتبريك بالعيد — اعتادوا أن يتزاوروا ويتصافحوا، ويتحايبوا.. وأن تتهيا نفوسهم للتسامح، وماتقابل أثنان في أيام العيد الا وتتصافحا وتعايدا، وابتسما وأخذ بعضها بالأحضان ولو كان بينهما — ماصنع الحداد والمصلحون دائما — يغتنمون فرص أيام العيد — فيجمعوا بين ما كانت بينهم من خصوصيات — مهما كانت كبيرة، ويصلحوا بينهم — في أيام العيد تلين القلوب القاسية.. وتصلح ماأفسدته الأيام.

وحتى الحكومات ترق قلوبهم — ويغلب عليهم حب العفو واذا كانت عليهم حقوق مادية — تسددها عنهم الدولة.. أو تسددها صناديق البر وصناديق الخير — ليعيد السجناء الذين عليهم جنح بسيط مع أهلهم وذوهم — وهى حسنة كبرى من ولاية الأمور بالشعب — ولهم أجرها وثوابها لأنهم يدخلون السرور على أرباب هؤلاء المسجونين على أهلهم وأولادهم، وذوهم وليس في الدنيا أفضل من أذخال السرور على مسلم في يوم العيد.

فالأعياد كلها جمال وممتعة، وكلها رحمة وشفقة بحسب الناس للقائها ألف حساب وحساب رغم تكاليفها المادية التي قد تكون مرهقة للبعض في بعض الأحيان.

والمدينة المنورة بالذات يؤمها المسلمون من جميع الطبقات فمن اليوم العشرين في رمضان — والسيارات والطائرات تتدفق على المدينة حتى لايبقى مكان في الفنادق والمنازل التي بأطراف المسجد النبوي والبعيد عن المسجد أيضا — كلها تمتلىء — وكثير من الزوار — قد رأيتهم رأى العين

— يعودون بسياراتهم الى بلادهم بعد اداء ما يمكن من الفروض في المسجد النبوي — يعودون الى أماكنهم بحب ومتعة.. فوسم الزيارة بالمدينة في رمضان من أعظم مواسم المدينة.. وفي المسجد النبوي لا تكاد تجد مكانا لأداء الفريضة — الا اذا ذهبت الى المسجد قبل الأذان بنصف ساعة على الأقل — فالمظلات تزدهم بالزوار والمصلين ومعظم الأزقة والشوارع — التي بأطراف المسجد النبوي تمتلئ بالمصلين وتمتلئ الرحبات والساحات التي في الجهة القريبة للمسجد والتي وسعتها الحكومة تمهيدا لتوسيع المسجد النبوي تمتلئ بالمصلين — حتى لوحظ أن الصفوف هناك قد تلتحم مع صفوف المصلين بمسجد الغمامة — وقد يلتبس على البعض متابعة الأمام.. من كثرة تقارب الصفوف وازدحام الناس.

والمدينة المنورة مقبلة على خير كبير انشاء الله.

وقد قرأنا أيام تصريح فضيلة نائب الرئيس العام للأشرف على الحرمين الشريفين — بأنه سوف يجرى توسعة المسجد النبوي الشريف بمقدار ستة أضعاف المسجد الحالي — وقال فيما أذكر أن الزيادة المنتظرة تزيد عن ٦٠ ألف متر مربع.

والذي أذكره الآن — أن مساحة المسجد النبوي في الزيادة العثمانية الأولى كانت حوالى عشرة آلاف ومائة متر وأن التوسعة السعودية الأخيرة كانت في حدود ٦٠٠٠ آلاف متر.

فمساحة المسجد الآن هي ستة الف متر مربع — وسوف تقارب الثمانية الف متر بعد المساحة المنتظرة.

على أنى أتوقع أن الزيادة مهما كانت كبيرة.. فإن المسلمين والله الحمد في حاجة للمزيد المزيد توسع المسجد النبوي — وأن سهولة المواصلات الجوية والبرية أيضا جعلت الزوار يتكاثرون بالشكل الذي نراه — وزوار المدينة المنورة وزوار مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم — والمسلمين على عظيم هذه الأمة وسيدها محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه

لاينقطعون أبداً، من زيارة المدينة المنورة وحبذا لو أهتم المسؤولون بسرعة هذه العمارة وإنجازها — لأن المسلمين جميعاً يتطلعون الى هذه التوسعة بالمسجد الشريف من توسعة الخوارى والأزقة الموصلة للمسجد تسهلاً للوصول الى المسجد سيما من الجهة الشرقية والجهة الشمالية والجهة الجنوبية وأن يبقى المسجد فى ميدان كبير تحيط به الشوارع الرئيسية من كل جانب وتخطط مواقف للسيارات بعد أن أصبحت بهذه الكثرة.

هذا وتبدأ تباشير العيد من اليوم السابع والعشرين من رمضان.. الأسواق والشوارع تضاً بأقوى ماتكون الإضاءة — وتشترع الأسواق بعرض مستلزمات العيد من أنواع الحلوى، وأنواع الروائح العطرية.. وكان عطر الأعياد فى زماننا.. ماء الورد الطائفى المكرر، وماء الزهر المكرر — مع وجود أنواع العطور الأخرى — ويتشرع الأسواق بالملابس الجاهزة — وألعاب الأطفال المختلفة.. وكل ما يحتاجه الناس للعيد.

وتستعد ربوات البيوت بتحضير ملابس أطفالها وأبنائها وعائلها — وتنظف منزلها وأعداده لأستقبال المعيدى والمسلمين.

ومازلت أذكر — الشريات الكهربائية.. التى يربطها (على أفندى المخرنجرى) أحد طرفها بالمنارة الشكيلية، والطرف الثانى بالمنارة المقابلة لها — المجيدية — وقد أزيلت هاتان المنارلتان فى التوسعة السعودية للمسجد النبوى — وأقيم فى محلها مآذن قوية بارتفاع شاهق وجمال وفن.

هذه الشريات الكهربائية يبدأ فى تحضيرها وتنسيقها (على أفندى) من أول رمضان — تضاء من منتصف رمضان وتبقى أيام العيد.. وقد كتب بها — بالشريات الكهربائية (أهلاً وسهلاً) يراها القادم الى المدينة من المفرحات على بعد حوالى ثلاثين كيلو متراً وتضىء أطراف المدينة وأزقتها المجاورة للمسجد — وفى البيوت القريبة منها يمكن أن يقرأ القرآن على ضوءها.

وتتحرك ربّات البيوت من منتصف ليلة العيد فبعد ترتيب ملابس الأولاد وأبوهـم — تبدأ في تنظيف دارها — وغسيل الدرج من آخر درجة في السطوح الى أدرجه باب الزقاق — ولا يكتفين بتنظيف البيت بل ينظفـن أيضاً باب الزقاق — كنسا ورشا — فتجد الشارع أو الزقاق مرشوش بالماء على طوله لأن رش الأبواب بالماء يتلاحم.

والسيدات يكرهن ثبوت هلال شوال ليلة ثلاثين من رمضان.. ليتسع الوقت لهن في إكمال شؤون منزلهن.
عادات وتقاليد جميلة كلها اندثرت وخلفت وراءها الذكريات والتشوق لها.

** ذكريات العيد (٣)

الحديث عن العيد وعن مباحج العيد وعن ذكريات العيد حديث ذو شجون، وشئون لا ينضب معينه، ولا يمل ترديده.. ذلك أن العيد قة أفراح الأمم وقة سرورها وابتهاجها.

ولقد كنت تحدثت في كلمة سابقة عن أفراح العيد بالمدينة ومباهجه، وذكرياته.. وظننت أنى غطيت ذكريات العيد بالمدينة.. ولكنى عندما قرأت ما كتبت.. خيل الى.. أننى لم أكتب شيئاً ولم أقل شيئاً عن عيد المدينة.

ومن الغريب أننى رغم قضائى أعيادا كثيرة في غير المدينة المنورة بالملكة.. وبغير المملكة من البلاد العربية والأجنبية.. فأنى لم أجد بها أى ذكريات — فتلك أعياد جامدة لاروحانية فيها وليس فيها طعم ولارائحة بالنسبة لى شخصيا.

وذلك أما لأننى لأعرف عوائد الأعياد هناك ولا أعرف طقوسها وخلفياتها أو لأننى ألفت عيد المدينة المنورة فلا يهنا لى عيد في غيرها.

واذا كان لى من ذكريات في غير المدينة فأنها ذكريات العزلة والفراغ، والخواء.. فقد كنت هناك في أيام العيد أبقي في محلى لأزور ولا أزار والحركة في البلد ناقصة كل المحلات والدوائر الرسمية التي لى بها معارف مقفلة.. ومعظم من أعرف بعيد عن الديار والمثل القديم يقول (جينة بدون ناس ماتنداس وناس ماتعرفهم ماهم ناس).

نشرت في جريدة المدينة في ١٠/٣/١٣٩٩هـ

أما المدينة فأن أيام الأعياد مشحونة.. بالزيارات، والروحانيات وبالبهجة والأفراح.. أيام العيد كلها حركة تنبض بالنشاط والتحرك — ويكاد ينعدم النوم في ليالي العيد وحتى لو أخذت سنة من النوم فأنت تقضى بقية ليلتك في حلم سعيد مع العيد وحلاوة العيد.

ويلد للإنسان أن يتحدث عن العيد، وعن بهجة العيد وعندما يتحدث عنه فكأنه يعيش أيام العيد — ينشرح صدره ويسر خاطره.

وأول ماتبدأ بشائير العيد بالمدينة تبدأ باطلاق مدافع العيد وهي أن اطلقت في التاسع والعشرين من رمضان بعد ثبوت هلال شوال فأن المدينة تستيقظ بأكملها.. وتقف على قدميها ويتجاوب الأطفال مع أول طلقة من المدافع فتنتطلق أصواتهم بالترحيب بالعيد ويطوفون الشوارع باهازيجهم التقليدية (من لم يسمع يسمع).

وتنشط الحركة من جديد في الأسواق والشوارع.. تضاء الأتاريك في محلات البيع والشراء.. وفي الرحبات التي تعرض فيها سلع العيد وبضائع العيد وينتقل الناس من منازلهم الى الأسواق والشوارع لشراء مقاضى العيد ولوازم العيد لأن أيامه الأربعة لا أسواق فيها كلها تبقى مقفولة ولم يبق فى الأسواق الا ملاعب الأطفال فلا لحوم ولا خضار ولا عيوش كلها تختفى أيام العيد والكل فى عيد فى (جرى ورمح) من الشروق حتى الغروب.

من أجل ذلك تجد الأفران تفتح أبوابها ليلة العيد لتقديم أنواع العيوش والبqvصمات.. والجزارين يذبحون ويشرعون اللحوم فى الأسواق.. والفلاحين أصحاب البساتين يهبطون من بساتينهم بمنوجاتهم الزراعية من خضار وفواكه.. ويعودون الى بساتينهم بمقاضى العيد.

فتشتد الحركة فى الأسواق عموما — ولا تفتقر الا مع صلاة العيد — بعد الفجر — وتجد طواير المنتظرين عند الحلاقين والخباطين، والجزمته.. وأصحاب الصنع، وأصحاب السلع المتعلقة بالعيد يأملون أن يكمل رمضان

العدة فيتوفر لديهم يوم جديد يستطيعون فيه أكمال نواقصهم ولكن لكل شىء ضريته ففرحة العيد ليلة الثلاثين من رمضان يقابلها هذا الضغط من الحركة.

وإذا دخلنا من الشوارع الى المنازل فأنا نجد ربات البيوت في حركة لاتعرف الراحة.. تبدأ بتحضير ملابس العيد لأطفالهن ورجالهن ثم فى ترتيب وتنظيف غرف استقبال المعايدين ثم فى اعداد طعام الأولاد والأسرة.. ومن الأطعمة المفضلة يوم العيد والتي لايمكن ان يخلو منها بيت من بيوت المدينة ويهدى منها بعضهم بعضا أكلة (الدبازة) وهي أكلة غريبة تجمع بين الدهن واللحم، وبين المشمش الناشف والسكر مع ملح الطعام أيضا.. هذه الأكلة لابد من وجودها في سفرة الطعام يوم العيد في الإفطار والغداء.. وبعد أن ينتهي السيدات من المطبخ.. ينصرفن الى غسيل الحجرة من الآبار — وعلى فكرة — فإنه لا يوجد أبدا بالمدينة دار ليس فيها بئرا فالبئر تحفر عند بناء الدار وقبل كل شىء.. ولايستغنى أى منزل عن البئر لأنه لا يوجد ماء الا عن طريق السقاة بالقرب.. ولايمكن أن يسد السقاة حاجة الناس من الماء الشرب والغسيل ويتكاتف من في البيت من ستات وبنات وشغالات أن وجدن فيغسلن الدرج والأسياب من درجة السطوح الى درجة باب الزقاق ويختمو عملية الغسيل برش باب الزقاق رشا يتلاحم مع أبواب الجيران بحيث يصبح الشارع كله مرشوشا بالماء. ولاأدرى هل المقصود من هذا الرش الثقيل هو النظافة فقط أم ملاحظة فيه عدم اثاره الغبار في يوم العيد من كثرة الحركة من الناس — والشوارع والأزقة كانت كلها ترابية أقل حركة فيها تثير الغبار.

* صلاة المشهد:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة العيد مع أصحابه في رحبة كبيرة في فناء المدينة وخارج أسوارها تسمى المصلى وكان عليه السلام.. يتناول قبل خروجه الى المصلى تميرات وترا.. وكان يذهب من

مكان ويعود من مكان آخر.. وقد أقيم على رجعة المصلى الآن مسجداً يسمى مسجد الغمامة.. وقالوا— وان كان لم يثبت هذا — في تسمية هذا المسجد بمسجد الغمامة قالوا أن الغمامة أظلت الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع.. لذلك سمي بمسجد الغمامة ويسمى أيضاً في كتب التاريخ بمسجد المصلى — وقد أصبح مسجد المصلى الآن في قلب المدينة المنورة واحيطت به المباني من كل جهة ولم يعد يتسع لسكان المدينة للصلاة فيه في الأعياد — سيما والنساء يأتون للصلاة من القرى البعيدة والقرية ومن كل مكان.. وأصبح الناس يصلون الأعياد بالمسجد النبوي الشريف وتتصل صفوف المصلين في العيد الى المناخة ومابعد المناخة.

وماأروع صلاة العيد بالمسجد الشريف وماأجلها وأبهاها.. يبدأ الناس في الحضور الى المسجد من قبل الفجر ويأتون الى المسجد فى مجموعات كل عائلة أو أسرة في مجموعة تلتف حول كبير الأسرة ومعظم الأسر يحجزون أماكن لهم من قبل الفجر بسجاجيد يفرشونها.. وبعض العوائل لهم مكان مخصوص يجتمعون فيه تأتى الأسر بلباسهم التقليدي وتغاير العيد الجميلة المقصبة والمزركشة ويعجبك منظر هذه الأسر في تجمعها وتحابها حيث تتقابل هذه الأسر لمعايدة بعضها بعضاً.. بعد صلاة العيد يتقابلون بالمصافحة، والقبل، والأحضان، والبشر يعلو وجوههم والأبتسامة لا تفارق ثغورهم.. وليس أسعد من ذلك في الحياه، ولاأروع ولا أجمل ويشدني القلم لذكر أسماء بعض هذه الأسر وأن كنت واثقا ان من المستحيل احصاءها.. أذكر أسماء هذه الأسر بعد أن احتجبت عن انظارنا معظمها ومن هذه العوائل التي كنا نراها في زماننا الأول عائلة.. آل المدني، وآل هاشم، وآل الصافي، وآل البيتى، وآل عبد الجواد، وآل الخاشقجي، وآل جل الليل، وآل السقاف، وآل الاركوبى، وآل الرفاعى، وآل الدقر دار، وآل الكردي، وآل الكماخى، وآل عشقى، وآل مرشد، وآل جعفر، وآل الطرابزونى، وآل القممجى، وآل حماد، وآل حودة، وآل حكيم، وآل ابو الفرج، وآل توفيق، وآل الخريجى، وآل الدغيتى، وآل الحجام، وآل الخربوطى، وآل المحار، وآل الحسينى، وآل

البرادة، وآل البرزنجي، وآل الحوالة، وآل بافقيه، وآل خشيم، وآل السمان، وآل ناصر، وآل الدشيشة، وآل صادق، وآل عمران، وآل حمد الله، وآل محروس، وآل البري، وآل زاهد، وآل العطاس، وآل الديولي، وآل الانصاري، وآل ابو الجود، وآل الحبشي، وآل فقيه، وآل الفضائلي، وآل الشاعر، وآل جليدان، وآل المفتي، وآل الرشيدى، وآل البساطي، وآل الخياري، وآل المطبقاتى، وآل الجياد، وآل القين، وغيرهم وغيرهم ممن اذكرهم ولست اذكرهم.

هذه الجموع من أهل المدينة كلها تتقابل يوم العيد بعد صلاة المشهد أولاً، ثم فى مناسبات الحوائث ثانية.. هذه الأسر مع من فاتنى ذكرهم — تجدهم في العيد وكأنهم أسرة واحدة في تواددهم وحبهم وصفاء قلوبهم.

وهذه الأسر في مجموعهم وأفرادهم لا يسمحون أبدا لأى شخص منهم أن يقضى العيد خارج المدينة — لقد عيّدت أنا واخوانى مرة.. في سلطانه مع بعض الأصدقاء.. فقابلنا الشيخ حسين جواد رحمه الله ثم قابل والدنا رحمه الله.. وقال له كيف تسمح للأولاد يعيدوا (بره) ثم قال لنا في حماس.. أن أيام العيد ليست ملكا لكم أنها ملك للأحباب والأخوان عندكم ثلاثمائة وخمسين يوم روحوا فيها محل ماتريدون أما أيام العيد فهى للعيد وقضينا بعد هذا الحساب الدقيق فترة لانترك العيد بالمدينة أبدا.

ولقد قضيت عيد الفطر في العام الماضى والذي قبله بالمدينة وبكل حسرة لم أجد من أعرفهم الا النذر القليل جدا جدا من هذه الأسر والعوائد الجميلة لأثرها اليوم. أعود الى تقاليد العيد وعوائده بالمدينة.

بعد صلاة العيد ينتقل المصلون الى قصر الأمانة لسماع دعاء العيد ومعابدة الأمير. ويأتى الأمير.. ماشيا من المسجد النبوي بعد سماع خطبة العيد ومن حوله خوياه ورجاله وبعض كبار الموظفين متقلدا سيفه الذهبى وعند وصوله الى رحبة الديوان تحييه كوكبة من الدفاع والشرطة بالسلام الملكى، ويقف الأمير وسط هذه الجموع ثم يتقدم فضيلة قاضى المدينة المنورة

أو نائبه ويتلو دعاء العيد ويدعو لولادة أمورنا بالنصر والتأييد وأذكر من بين القضاة والنواب الذين كانوا يتلون الدعاء.. الشيخ احمد كماخى — الشيخ عمر كردى — الشيخ ابراهيم برى — الشيخ عبد الحفيظ كردى — الشيخ محمد نور كتبى — الشيخ عبد الله بن زاحم رحمه الله — الشيخ عبد الله الخليفى — الشيخ عبد العزيز بن صالح.

وبعد انتهاء الدعاء.. واستعراض الأمير للجيش ولجنود الشرطة بموسيقاهم يجلس الأمير فى صالون الاستقبال لقبول معايدة الناس.. ورحمك الله ياسيد عبد الله جعفر — فقد كان رئيسا لكتاب بلدية المدينة — وكان يتولى الاشراف على تقديم الحلوى والعطور فى يوم العيد وكان هو دينمو الحركة يوم العيد وكان رحمه الله يحمل قارورة عطر ورد من أفخر العطر الاستامبولي وكان يعطر به الأخلص من أحبابه وأصحابه والمحظوظين عنده.

وبعد معايدة الأمير يطوف الأمير على الدوائر الرسمية التي مقرها بعمارة ديوان الأمارة وهم: الأوقاف — والمحكمة المستعجلة — والمالية وكتابة العدل — ثم يواصل معايدته على بقية الدوائر الرسمية — بعد تناول طعام الإفطار.

والمعايدة فى المدينة مقسمة على اربعة أيام.
اليوم الأول لمعايدة الحكام، والأهل والجيران.
اليوم الثانى لمعايدة سكان الساحة.
اليوم الثالث لمعايدة سكان المناخة.
واليوم الرابع لمعايدة سكان الحارة — حارة الأغوات وما يتبعها.

وبذا يمكن مسح جميع دور المدينة بالمعايدة — ونظام المعايدة بالمدينة — ألا يترك باب مفتوح.. الا ويدخله المعاعدين سواء عرفوهم أو لم يعرفوهم.. ونستطيع أن نفهم من هذا أن جميع أهل المدينة يلتقون أيام العيد ويتصافحون ويحددون عهد اللقاء والمحبة.

وبكل اسف أن هذه العوائد الجميلة قد اصبحت الآن في ذمة التاريخ
لم يبق منها الا اليسير القليل ولايتزاور الناس الا قليلا.

والحوائر المعروفة كلها اندثرت — محلة الساحة ازيلت بأكملها لتوسعة
المسجد النبوي — وتوسعة الشوارع، ومحلة المناخة أزيل شيء كثير منها
واتسعت وتشعبت فلم يعد يعرف أولها من آخرها — ومحلة الحارة —
انكشت وأزيل بعضها واتسعت بعض جوانبها وضاعت منها معالمها.

وتحتاج هذه الحوائر الى لفته قوية من رئاسة البلدية وعلى رأسها
الصديق صدقه خاشقجي لتحديد الحوائر ولها فبعض عوائد هذه المعايدات
تعود اليها لأن خسارتنا في الغاء هذه المعايدات خسارة لا تعوض وبعد أن
كان أهل المدينة يشكلون أسرة واحدة وقل أن نجد ساكنا بها لايعرف بقية
السكان أصبح الآن الجار لايعرف جاره دخلتنا عمارة الشقق فباعدت بين
الناس وهذا البعد جافى بينهم وجعلهم اشتاتا لايعرف بعضهم بعضا.. تولانا
الله تعالى بلطفه ورعايته.

** بلدية المدينة.. ومسئولية التنظيم والنظافة

المدينة المنورة.. مقبلة على تطور كبير.. في جميع مرافقها فعظم الشوارع والازقة الضيقة التي كانت بجوار المسجد النبوي الشريف.. قد ازيلت — وحل محلها ميادين وشوارع واسعة.. وسبق هذا ان قامت البلدية بتوسيع مداخل، وازالة بعض الاحوشة واصبحت ميادين لوقوف السيارات.. واخذ العمران ينتقل الى خارج المدينة.. ومازال الاصلاح، والتوسعات للشوارع، واحداث الميادين، يتلو بعضه بعضا — وتسير على نطاق واسع — وتتضافر جهود المالية، والبلدية، ومكتب تخطيط المدن — على تحسين الشوارع وتوسعتها — لتكون المدينة.. على ارفع المستويات تنظيما، وتنسيقا، وجمالا، لتستوعب الوافدين اليها بمئات الالوف — ولتسهل تحركاتهم فيها — سيرا على الاقدام، وركوبا على السيارات — وتخفف الزحام — الذي يزداد — عاما بعد عام — لاسيما حول مسجد سيد الانام صلى الله عليه وسلم.

ولقد اتجهت الدولة.. لتوسيع المسجد النبوي — والشوارع المؤدية اليه لنفس الغرض.. لتخفيف الزحام.. وليظهر المسجد النبوي كالكوكب — في وسط المدينة — تحيط به ميادين فسيحة، تشجر وتزهر وتظلل.. لتكون مكانا للصلاة — عندما يضيق المسجد بالمصلين.

وفي زيارتي الاخيرة للمسجد النبوي — مررت بالجهة الجنوبية الشرقية للمسجد.. ومن هذه المنطقة كان مرورنا دائما — من منزلنا بشوارع العوالي الى الكتاب بالمسجد النبوي — واذا هذه المنطقة باقية كما كانت عليه في زماننا قبل خمسين عاما.. أو تزيد.. وبها ذلك الزقاق الضيق — المسمى —

نشرت في جريدة المدينة في ١١/١/١٣٩٥ هـ

زقاق الحمزادي — قد يصل في بعض اماكنه الى متر واحد — ليوصل لحارة الاغوات.. ويكثر في هذه الازقة الضيقة تجمع الحجاج وتكثر الأوساخ والروائح الكريهة التي يخلفها الحجاج وقد وجدت على ناصية الشارع الموصل لحارة الاغوات — عمارة تبنيها الاوقاف.. وقالوا — ان بها سوقا تجارية.. وبين هذه العمارة وجدار المسجد النبوي حوالي ١٥ مترا.. وبينها وبين قبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم حوالي ٢٥ مترا — وقد تذكرت وانا اشاهد هذه العمارة — ماكتبه عنها اخي السيد على حافظ في جريدة المدينة.

وكنا نأمل.. ان الاصلاح للشوارع التي تحيط بالمسجد النبوي والموصلة اليه سوف يشمل هذه المنطقة — ولأقل من أن يمنع البناء حولها، لانها بجوار المسجد النبوي — ولأن ضغط حركة المرور الى المسجد كبيرا جدا — اذ ان منه ثلاثة ابواب للمسجد النبوي — الباب الكبير — باب الملك عبد العزيز — الذي يقع في وسط الشارع — ومنه مدخل النساء للحيز الخاص بهن في المسجد، وباب جبريل، وباب النساء — وكل هذه الابواب عليها ضغط كبير لايمكن بحال ان يتحملة الشارع الشرقى على ضيقه — الذي لايزيد على ١٢ مترا.

وبينما كنا نترقب وصول يد الاصلاح لتوسعة هذا الشارع الشرقى — وجعله ميدانا — نرى ان عمارة ضخمة تقوم على هذا الشارع.. ويبدو ان هذه العمارة — وبها سوق تجارى كما سمعنا سترتفع الى طوابق كثيرة لان اعمدتها، ومسلحاتها قوية ومتينة.

وهذه العمارة — مع الاسف — تقوم بينائها الاوقاف — وأضغط — هنا على كلمة الاوقاف..

الاوقاف.. الذي كنت اعرف — فيما مضى — انها كانت تدعو — دائما — لتوسعة ماحول المسجد النبوي الشريف وتعمل لهذا.. وكان لديها مشروعا — فيما اذكر — هذا المشروع جعل المسجد النبوي في ميدان فسيح مشجر

منسق من جهاته الاربعة بسعة ٣٠٠ او ٥٠٠ مترا ويقام سياج على هذا الميدان — فلا تدخله السيارات — ومن بعده يبدأ فى تخطيط الشوارع — وتخطيط مواقف السيارات واقامة المباني بنسب معينة — وذلك احتراماً للمسجد النبوي الشريف.. واطهاره بالمظهر المشرف.

اقول — الاوقاف — التى من اهم واجباتها الحفاظ على جمال المسجد النبوي.. وما يحيط به من شوارع، وميادين ليكون فى ارقى المستويات.. الاوقاف تقيم بنفسها هذه العمارة — على بعد ٢٥ أو ٣٠ مترا من قبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وبعد هذا — ! — اين ستكون مجارى هذه العمارة — وماتقدمه من اوساخ، ومياه، وفضلات وكيف يكون بهذه الجوار الطاهر — مجموعة من البشر — يسكنون ويوسخون، ويضجون.. وسوف تمتلئ العمارة — بطبيعة الحال — بأجهزة الراديو والتلفزيون — وقد تحرق اصوات هذه الاجهزة المواجهة الشريفة لقرها منها. وهل من الادب.. مع مسجد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم، الذي تشد اليه الرحال — هل من الادب — ان يكون بجواره ضجة كالضجة التى يحدثها سكان عمارة كبرى — مثل التى تبنى الآن — والى اين يصل الزحام الذي تحدثه — من يدخل ويخرج — منها ويبيع ويشترى فى سوقها التجاري — كما يقولون —.

ومن جهة اخرى.. اين تقف سيارات من يسكنون هذه العمارة.. وكيف يمكن وصول السيارات اليها — مع ضيق الشارع الموصل اليها.

لقد قفل المرور.. الخط — من مدخل شارع العوالى الموصل الى باب السلام — ليفسح للناس طريق الدخول الى المسجد النبوي فى هدوء لا ترتعج ابواق سيارات المصلين والزائرين.. وهل من المعقول — ان تقف سيارات سكان عمارة كهذه بما فيهم من كبار وصغار ونساء وشيوخ — على هذا البعد الشاسع عن العمارة — ام انه سيفسح مرة ثانية للسيارات بالدخول.. فتصمم ابواقها المصلين والقارئین وقد يتسرب دخانها الى المواجهة فيؤذى الناس ويفسد عليهم عبادتهم.

وهل الاوقاف — في حاجة الى دخل هذه العمارة.. لا اعتقد ذلك — لان الدولة تنفق بسخاء على الحرمين الشريفين بمئات الملايين — عمارة وفرشا ونظافة، واضاءة.. وكل ما تحتاجه هذه المساجد.

وصاحب الجلالة الملك المعظم يفخر بأنه حامى الحرمين الشريفين — وخادم الحرمين الشريفين.

وبعد هذا.. يأتى دور البلدية ومكتب تخطيط المدن بالمدينة — البلدية التى ازالته الكثير من العمارات الحديثة الشاهقة.. والقديمة وازالت كثيرا من الاحوشة.. والشوارع — وايجاد ميادين عامة في اماكن قريبة من المسجد النبوي.

واماكن بعيدة تؤدى طرقها الى المسجد النبوي وايجاد مواقف للسيارات.

ومعظم.. أو كل التوسعات كان الغرض منها سهولة وصول الناس.. من مواطنين، وزائرين، وحجاجا — للمسجد النبوي.. البلدية — ومكتب تخطيط المدن — كيف يعطيان رخصة بأقامة عمارة.. في منطقة ضيقة يبلغ شارعها حوالى ١٢ مترا — بجوار المسجد النبوي — التى هو محل تجمع الحجاج.. والحجاج من طبقات مختلفة — ولايسلم محل سكنهم وتجمعهم من الاوساخ والفضلات.

على كل هذا شعورا استقر في النفس — اثارته هذه المجموعة — من ضيق الشارع الشرقى والجنوبى للمسجد النبوي.. وبقاء تلك الازمة الضيقة والضيقة جدا على حالها بعد هذا التطور الكبير في توسعة الشوارع وفتح شوارع وميادين جديدة — لتسهيل الوصول للمسجد النبوي الشريف وعدم الازدحام حوله بقدر المستطاع رأيت من الامانة ان اعرض الامر على معالى وزير الاوقاف والحج النباه — راجيا أن ينقذ الموقف فيأمر بازالة المبنى ومايجب نحو توسعة الشارع من هذه الجهة الشرقية — واذا اريد اقامة مباني للاوقاف فيمكن في غير هذا الموقع على اراضى الاوقاف — التى لا يخلو منها مكان بالمدينة.

وارجوه له من الله العون والتوفيق،،،،

**** تداركوا هذين الشارعين قبل فوات الاوان**

لا اريد ان اسبق الحوادث.. ولكننى اريد أن أقول.. أن مدينة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم، مقبلة.. على تطور كبير في العمران.. واعتقد أن ماحدث من عمران في السنوات الاخيرة، قد يفوق في مجموعة عمارات المدينة القديمة.

وقد اتجه الاهلون.. في المدينة.. الى السكن في الشقق، والمبانى الحديثة.. الا من اضطرته ظروفه للسكن فيها.. حتى أن الشقة الصغيرة.. قد تزيد اجرتها.. على دار قديمة.. من دورين او ثلاثة ولقد شجع الناس.. على السكن في العمارات الحديثة.. نظافة المبنى، ونظافة مجارى المياه، ونظافة الحمامات، والطرق، ونظافة الاضاءة بحيث لا تحتاج ربة المنزل الى بذل مجهود اكثر فى التنظيف، والترتيب، والتنسيق.

وانا لا اريد ان اتحدث عن هذا.. ولكننى اريد — ان الفت نظر المسؤولين الى ان هذا التطور في العمران.. لابد ان يسايره.. تطور فى فتح الشوارع، وتوسيعها وتعبيدها. ومجاعة لهذا التطور.. وهذه النهضة العمرانية.. قام مكتب توسعة المسجد النبوي الشريف.. بفتح عدة شوارع.. وتوسعة شوارع اخرى.. ومازال لديها.. مشاريع كثيرة.. بفتح وتوسعة شوارع.. في مختلف انحاء المدينة.. داخلها وخارجها.

ولقد كانت.. بعض هذه الشوارع.. نموذجاً صالحاً.. لما نرتجيه من توسعة وتنسيق.. فقد خطط — بعضها — على ان يكون.. ذافرعين.. فرع خصص

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٤/١/٢١ هـ

للذاهب.. والاخر خصص للآيب.. وبينها جزيرة.. لغرس الاشجار.. ثم ارضفة.. على الجانبين — يغرس فيها.. ما يمكن.. من اشجار وغروسات.. لتلطيف الجو.. وإيجاد ظل افضل للمشاة.. وللترفيه عن الجمهور والزائرين وتهيئة الجو الصحى للجميع.

ولقد اعطينا سيارات الحجاج.. التى وصلت الى المدينة في عام ١٣٨٣هـ من الشمال عبر طريق البر.. اعطينا درسا.. يجب ان نستفيد منه.. فقد وصل عدد كبير.. من هذه السيارات.. ومنها جرارات ضخمة.. تسحب من ورائها، (احواضا) كبيرة. تتسع لحوالي ٢٠٠ راكب. مما لا تتحمله شوارع المدينة.. بحال من الاحوال.. وكانت هذه الجرارات.. اذا مرت من الشوارع.. تدك الارض دكا.. وتهز المباني هزا.. وتزعج السكان.. بأبواقها ازعاجا.. مما جعل المسؤولين.. بالمدينة — يفكرون في علاج حاسم.. باتخاذ قرارات.. بايقاف هذه السيارات.. في اماكن.. بعيدة عن العمران.. مع ضمان راحة الحاج.. وتيسير أمر نزوله الى المدينة.. وزيارته لقبر الرسول الاعظم.. ومسجده الشريف.. واذا كانت الاجراءات الروتينية.. قد اخرت تنفيذ هذا المشروع في عام ١٣٨٣.. فإننا نأمل أن يتم إنفاذه في هذا العام.. على أن المظنون أن عدد هذه السيارات.. سيتضاعف.. عاما بعد عام.. بعد أن أوشك.. خط المدينة — تبوك — الاسفلتى.. على النهاية.

ولاعود — الآن — للتحدث عن توسعة شوارع المدينة.. وسفلتها.. وهو ما اردته من هذا البحث.. واحب ان الفت نظر — المسؤولين.. الى أن شارعين هامين.. من شوارع المدينة.. قامت الحكومة.. بسفلتها.. في اول مشاريع سفلتة شوارع المدينة.. لاهميتها.. سفلتا قبل ان تظهر حاجة البلاد.. لتوسعة الشوارع على نطاق واسع.. لانها كانا يؤديان غرضا خاصا.. هو ربط المدينة.. بالمزارات.. التي اعتاد الحجاج زيارتها.. عند قدومهم للمدينة.. هذان الشارعان هما شارع — سيد الشهداء.. الموصل الى احد وماحول احد.. وشارع سلطانه.. المؤدى.. لمسجد القبليتين.. والقصور الملكية والجامعة الاسلامية — هذان الشارعان سعة كل شارع منها ٦ أمتار

فقط .. وعلى جانبيها .. متر أو متر ونصف .. معبد وغير مسفلت .. ولم يعد
يفى بالغرض الان — شارع عرضه ستة امتار.

اننى اذكر: ان امرا ساميا — صدر بأن يكون سعة الشوارع التي بمدخل
المدينة .. واطرافها ٤٠ مترا .. وانى ارى المباني .. بدأت تقوم ... على جانبي
هذين الشارعين .. واخشى ان يأتى وقت .. يتعذر فيه .. توسعتها .. اذا قامت
مبان ضخمة — على حافيتها .. لأن .. التوسعة حينذاك .. قد تكلف .. مبالغ
باهظة .. اذا نحن .. اضطررنا الى نزع ملكية هذه المباني .. والان لا يوجد في
هذين الخطين لو وسعا مبان تذكر تستحق الازالة .. وغلطة شارع قباء ..
ليست عنا بعيدة — لقد خطط شارع قباء زمن فخرى باشا في عهد
الاتراك .. قبل ٥٠ سنة .. وكان سعته ١٢ متراً .. وكنا مغتربين به ..
كأعظم واوسع شارع بالمدينة المنورة .. ولكنه ظهر اليوم .. ان اثني عشر
مترا .. لشارع رئيسي، كشارع قباء .. لا يتسع لحركة المواصلات الحديثة .. مما
اضطر البلدية أن تفكر في توسعته ليتحمل ضغط المواصلات العنيفة .. وقد
تعذرت توسعته .. بعد ان قامت على جانبيه .. مبان وعمارات شاهقة .. ولو
ارادت البلدية ان تعوض اصحاب هذه المباني، والعمارات .. لعجزت عن
تسديد تعويضاتها .. لانها ستكلف ملايين الريالات .. لضخامتها، وكثرتها
وجدتها — وقد اضطرت البلدية اخيراً .. ان تترك هذا الشارع على وضعه ..
وان تفتح شارعا .. موازيا له .. من الجهة الغربية .. ليكون احدهما للذهاب
والاخر للآيب .. وذلك بعد ان ضاعت فرصة توسعته .. باقامة المباني حوله ..
ورغم ان هذا الاجراء سيحل ازمة حركة السيارات .. الا انه — لو جعل
شارعا واحدا .. على نسق شارع ابي ذر، او شارع العوالى — لكان اعظم
جمالا، وأروع منظرا — ولكن للضرورات احكام.

ان المباني حول شارعى .. سيد الشهداء وسلطانة .. قد بدأت تمتد
تدريجياً .. واخشى ما اخشاه .. ان تزداد هذه المباني .. فتضيع علينا .. فرصة
توسعتها .. او ان نضطر .. الى دفع مبالغ كبيرة لنزع الملكيات .. وسوف تنتشر
المباني بسرعة مذهلة .. اذا نفذ مشروع اتمام اضاعتها بالكهرباء ومد شبكة

الخطوط المائية اليها.. في مشروع العين الزرقاء الكبير.. الذي وافق عليه —
كما علمنا — مجلس الوزراء.. وهو تحت التنفيذ.. لذا — ارى المبادرة فى
تخطيطها.. على نحو تخطيط شارع ابى ذر — مثلا فيكون كل شارع.. ذا
فرعين — احدهما للذهاب والاخر للآيب.. والا يقل كل فرع عن ١٢ الى
١٦ متراً.. تفصل بينها جزيرة لغرس الاشجار.. وبجانبا ارضة للمرور.
اننى ارى المبادرة.. في تخطيطها.. وتقديمها للدولة.. كمشروع من مشاريع
المدينة.. قبل ان تنتشر المباني حولها.. وقبل ان تفوت الفرصة.. كما فاتت
في شارع قباء.

هذه كلمة احببت ان الفت بها نظر المسؤولين الى هذين الشارعين وارجو
ان تكون محل الدرس والاهتمام.

* بنك التسليف الزراعي

الزراعة هى احدى الدعائم الكبرى. لهنضات الامم الاقتصادية..
وهى اول ماعرف الانسان.. من وسائل الحياة.. وعليها تترتب حياة ورفاء
البشرية.. لذلك كان اهتمام الامم والحكومات.. اهتماما بالغاً بها..
والبلاد المنتجة والمصدرة خير من البلاد المستوردة.. لأن الثانية تبقى تحت
رحمة الاولى في جميع الظروف والمناسبات — ومعظم البلاد التي مسها الجوع
والسغب ايام الحروب العالمية الاولى والثانية.. هى البلاد المستوردة للغلال
والمنتجات الزراعية — وان اقل مايجب هو ان تستطيع البلاد الاستغناء عن
غيرها من منتجاتها الزراعية استغناء ذاتيا وبلادنا — كما يحدثنا التاريخ —
من البلاد المصدرة للغلال والحبوب وغيرها من المنتجات الزراعية
لامستوردة.. ولكنها للأسف اليوم تستورد حبوبها وفاكهتها من الخارج — مع
توفر اراضيها الزراعية.

وعندما طرح في الميدان.. موضوع صوامع الغلال.. اذكر اننى كتبت
كلمة تحت عنوان — «الغلال اولا ثم صوامعها» واستغربت كيف تباع
الغلال الواردة اليينا من استراليا اقصى الشرق ومن كندا اقصى الغرب..

كيف تنبأ في اسواقنا بأسعار اقل من منتوج بلادنا.. مما سبب اعراض المزارعين عن زراعة الحبوب كليا، وحتى اصبحت مزارع الحبوب وآبارها.. خاوية على عروشها.

لقد كنا نعرف منذ زمن. وليس بالبعيد.. انه اذا جاء موسم زراعة الحبوب يتهافت الناس.. حتى الموظفون، والمتسبون.. لاستئجار المزارع.. وزراعتها وكانوا يجدون خيرا كبيرا منها.. اما اليوم فقد اختفت زراعة الحبوب نهائيا.. او كادت بسبب ارتفاع اجر اليد العاملة هنا وعدم سهولة الالة هناك.

نعم ان السبب الرئيسي — كما اظن — في رخص اسعار الحبوب المستوردة عما عليه هنا — هو توفر الالة هناك.. وعدم توفرها هنا.. واعتقد ان ازمة عدم انتاج الحبوب لاتحل الا باستيراد الالة على نطاق واسع الالة الحافزة والحارثة والباذرة والحاصدة والمعبئة.. واذا لم نوفر الالة للمزارعين فأنا سوف نبقى تحت رحمة غيرنا في استيراد حبوبنا وغير حبوبنا.. لذلك ارى ان من اولى واجبات وزارة الزراعة هي العناية باستيراد الالة الزراعية وجعلها في متناول المزارعين باقل الاسعار.

ومما اضعف الناحية الزراعية — ايضا — حاجة اكثر المزارعين الى الدين.. من العميل.. العميل الذي لا يرحم المزارع ولا يشفق على جهده وعرقه.. بل يتخذ لنفسه ارباحا خيالية وقد يؤدي الامر الى ان تكون هذه الارباح تصاعدية.. فيعجز المزارع عن تسديدها.. ويكون قد رهن بستانه.. فيأخذ العميل البستان.. ويخرج المزارع صفر اليدين.. وانا لنعرف كثيرا من هذه المآسى ولانرى داعيا للدخول في التفصيل.

ولقد اغتبطنا واستبشرنا خيراً بتأسيس البنك الزراعي وارجو ان يحل هذا البنك موضوع ديون المزارعين فيعطى المزارعين قروضا مقسطة على مدد معقولة حسب ظروف المزارع وحاجته.. كما ارجو ان تعم فروعه في جميع انحاء المملكة ليستفيد منها جميع المزارعين في مختلف انحاء البلاد.

وقد جاء تأسيس هذا البنك في الوقت المناسب وانى لارجو ان يعم نفعه
ويكثر خيره.. والمزارعون كانوا ينتظرون وجوده انتظارهم للغيث فأرجوا ان
يحقق امالهم.. ولنا في السادة الذين تولوا ادارته عظيم الامل وكبير الرجاء.

** أزمة المياه في المدينة تناديك يا بن عبد العزيز

في مثل هذه الايام.. من كل عام.. تشتد أزمة الماء بالمدينة المنورة.. وترتفع الشكوى.. في بعض انحاء المدينة من قلة الماء وقد تصل زفة الماء.. الى ريال او ريالين.. سيما في ايام موسم الحج.. وقد لا يوجد السقاة بالمرة.. في بعض الاحياء فتلحق اضرار بالغة بالسكان من قلة الماء.

وادارة العين الزرقاء.. لم تقتصر فيما لديها من امكانيات.. لتأمين الماء في الأحياء القليلة الماء ولكن امكانياتها.. لم تستطيع سد حاجة المناطق.. التي قل فيها الماء.

وليست هذه الشكوى.. بنت اليوم.. فأنها تتكرر منذ عدة اعوام — في ايام الصيف.. حيث تغور فيها مياه الابار.. وفي ايام موسم الحج.. حيث تتضاعف فيها صرفيات الماء.. واذا جاء موسم الحج في ايام الصيف.. فإن الشكوى لا تكاد تنقطع.. من قلة الماء..

ولدى ادارة العين الزرقاء.. ثلاثة عشر وابتا.. تعبئها يوميا وترسلها.. الى المناطق القليلة الماء لتزويدها بالماء.. وهذا كل ماتملكه من وسائل.. تأمين الماء.. على ان هذه الوايتات — فيما اعلم — انما وجدت لسقيا المناطق النائية.. بأطراف المدينة.. التي لا تصلها مواسير العين الزرقاء.

والسقيا بالوايتات.. ليست طريقة عملية.. لتأمين الماء.. فإن الوايت عندما يقف في المنطقة التي لاماء فيها.. يلتف حولها العشرات بل المئات من رواد الماء اهلين وحجاج.. هذا بصفيحتة وهذا بسطله، وهذا بقدره.. والكل يضارب صناير الوايت ليحصل على السبق في تعبئة انائه.. وبعد ان

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٤/٣/٤ هـ

يفرغ الوايت حمولته من الماء.. تجدد تحت الوايت بركة من الماء.. لسوء التوزيع والمضاربات على السقيا.. فيذهب جزء كبير من الماء سدى.

على أن الوايتات هذه تقف في اماكن خاصة تكون قرية.. لبعض المنازل.. وبعيدة عن البعض الاخر.. بحيث يتعذر على الاماكن البعيدة.. الوصول الى الوايت.. والارتواء منه.. فتشدد ازمة الماء.. في الاماكن البعيدة عن موقف الوايت وتساهم البلدية في بعض الاحيان — ايام الموسم — بارسال وايتاتها لتأمين الماء.. ولكن لايمكن كفاية هذه المناطق.. بحال بطريقة الوايتات.

والذي ظهر — واضحا — أن تأمين الماء للاحياء الآهلة بالسكان بواسطة الوايتات.. ليست عملية — بالمره — ولكن للأسف الشديد.. لا توجد طريقة غيرها لتأمين الماء على أن استعمال الوايتات.. داخل البلد يجعل المناطق البعيدة فيها مواسير الماء والتي كانت تسقى بهذه الوايتات تجعلها في حالة ازمة عنيفة من قلة الماعز

**** اسباب ازمة الماء:**

أن من أهم أسباب أزمة الماء بالمدينة.. شبكة الخطوط الغير منظمة.. فالشبكة القديمة.. يبدأ تاريخها من قبل خمسين عاما.. وقد وضعت دون دراسات فنية.. بل وضعت كيفما اتفق وبحسب الحاجة فكلما دعت الحاجة الى مد خط جديد.. في شارع أو زقاق، مد الخط من غير أن يسبق ذلك.. دراسات عامة، أو تخطيط خاص.. ويدفن الخط في الارض.. على اعماق مختلفة.. فبعضه نصف متر.. تحت الارض وبضعه اقل.. وبعضه اكثر.. وعلى ابعاد وارتفاعات ليست متساوية.. لذلك تجد الماء متوفرا.. في الاحياء المنخفضة، أو القرية من الخزان.. ومنعدما في الاماكن العالية. أو البعيدة عن الخزان وهذه الخطوط كثيرا ما كانت تنفجر في الشوارع، والازقة (وتغرق الدنيا).. أما لقدمها وتآكلها.. بسبب رطوبة الارض واما لوضعها وضعها غير فنى داخل الارض، واما لقرها من ضغط السيارات.. وكم من

منزل تصدع.. باسباب هذه الانفجارات.. وكم من دعاوى اقيمت.. على ادارة العين الزرقاء.. بطلب التعويض عما خربته مواسيرها المتفجرة.. ومازال كثير من انفجرت هذه المواسير.. القرية منها.. لذلك يجب تلافى.. هذا الموضوع فنيا وبالسرعة الممكنة.. ويجب ان تبنى.. بالمدينة شبكة فنية توزع على الشوارع والازقة.. بصورة منظمة.. وأن تقوم هذه الخطوط في انفاق مجوفة تحت الارض بحيث لا تتأثر بالرطوبة فتصان من عوارض المؤثرات الارضية.. واذا حصل تصدع في المواسير، او خراب في الخطوط.. فسرعان مايمكن اصلاحه دون حدوث اى ضرر اخر.. على المنازل والمباني المحيطة بها.. وبغير هذه الطريقة.. فإن أي شبكة خطوط جديدة.. ستكون مهددة بحدوث ما حصل على الشبكة القديمة.. من تصدع، وتخريب وتآكل شيئاً فشيئاً، الى ان تعود الحالة الى ماهي عليه الآن.

وارجو أن تجعل ادارة العين الزرقاء — هذا في حسابها.. بحيث لا تمتد الخطوط الا في انفاق مجوفة.. تركز على اقواس من الخشب او الاسمنت لتستطيع ضمانها مدة اطول، واصلاحها باقرب الطرق.. اذا طرأ عليها اى عطل.. هذا رأى ابدية.. ولادرى مبلغ امكان انفاذه في رأى المهندسين الفنين والخبراء.. اقتبسه — مما شاهدته في الخارج من وجود امثال الانفاق التي تمتد فيها خطوط الماء والكهرباء والتلفون.

وبعد أن تقام شبكة الخطوط الفنية.. فإنه يجب أن تقام الخزانات الضخمة.. التي تمون هذه الشبكة بالماء وأرى أن تقام هذه الخزانات في عدة مناطق من المدينة.. والا يكتفى بخزان قباء فقط.. فثلاً يقام خزان في جبل سلع مما يلي المدينة.. كما يقام خزان بهضبة المغسلة.. الذي كان قد تقرر اقامته في عهد الحكومة التركية.. واحضرت له المواسير اللازمة.. لتوزيع الماء من هذه الخزانات بسعة ١٠ بوصة.. وكانت هذه المواسير الكلية والعلمية وغيرها.. ووضعت التخطيطات اللازمة لاقامة هذا الخزان.. ولكنه لم يتم بناؤه — بأسباب الحرب العالمية الاولى — فيما اظن — وبقي هذه المشروع مجمداً.. وعبثت الايام بهذه المواسير فاستعملت لاغراض شتى..

وهذان الخزانان بالإضافة الى الخزان الذي اقيم حديثا بهضبة الخنق بطريق المطار.. وماسيقام من خزانات بمنطقة قباء — اعتقد انها سوف تسد حاجة المدينة من الماء وتغذى هذه الخزانات من المناطق التي يتوفر فيها الماء العذب بالطرق التي يقررها المهندسون الفنيون في هذا الصدد.

والمدينة تسقى اليوم.. كلها.. من خزانين في قباء.. سعة كل خزان ٧٥٠متراً.. ومن المعروف أن هذين الخزانين.. وضعا.. قبل حوالي عشر سنوات وكانت تسد حاجة البلد.. من الماء في ذلك الحين وقد تغيرت الاوضاع في المدينة في مدى هذه العشر سنوات.. وتضاعف السكان وتغيرت صرفيات الماء «الطاق عشرة» تقريباً.. والخزانات هي — هي — بينما انتشرت في جميع انحاء المدينة العمارات الضخمة الحديثة التي تستنفذ كميات كبيرة جداً من الماء.

كما ان الخط الممتد من هذه الخزانات — اعنى خزانات قباء — الى البلد.. خط واحد فقط سعة ١٢ بوصة.. فلو حصل تصدع، أو انفجار في هذا الخط — وقد حصل فعلاً — أكثر من مرة.. فإنه سوف يقف الماء عن المدينة بأجمعها نهائياً مدة اصلاح الخط.. وقد تطول المدة وقد تقصر — حسب الخراب الذي يطرأ — ولا تسل عن الشكوى والمتاعب التي يلاقها الناس.. لو وقف الخط ساعة فقط.. لذا يجب ان يمد خط ثان.. من هذه الخزانات.. لتكوين شبكة الماء.. بالمدينة، كما يمد من كل خزان خطان ايضاً وأن تكون هذه الخطوط في انفاق محفوفة.. لصيانتها.. ولدفع الاخطار عن المنازل.. التي تمر من جوانبها.. لأن خطر هذه المواسير الكبيرة.. عظيم جداً — لو انفجرت — لاسمح الله — تحت الارض، سيما وهي على اعماق بعيدة تحت الارض.

**** المناطق التي توجد فيها الماء:**

أن المناطق التي توجد فيها المياه العذبة.. قريبة جداً.. من المدينة.. فإن منطقة قباء — التي هي المونة الرئيسية للماء الان — المدينة.. بعد ثلاثة كيلومترات.. في مناطق اخرى بأطراف المدينة فإنها لا تزيد عن اربع او

خمس كيلو مترات.. على اكثر تقدير.. وهذه المسافات بسيطة جدا.. اذا وجدت العناية.. والعطف.. من المسؤولين..

لقد جلب الماء الى جدة.. من مسافة ٦٠ كيلو مترا او تزيد.. ومد منه خطان رئيسيان لتغذية شبكة الخطوط داخل البلد.. وهى اليوم تقيم خزانا ضخما.. يتسع لاربعين الف متر مكعب من الماء هذا عدى الخزانات الاخرى السابقة.. بينما كل مابالمدينة من خزانات سعتها ١٥٠٠ متر مكعب فقط.

اننا نسمع — بموضوع شبكة الخطوط الفنية.. وبناء الخزانات.. في مواقع اخرى منذ عدة سنوات.. وكلما احدثت ازمة الماء بالبلاد.. خرج للميدان المشروع.. واشتغلت الدراسات الفنية وعرض المشروع في المناقصة — فاذا ماجاء الشتاء واكتفى الناس بالماء.. نام المشروع مرة ثانية فتى يستيقظ هذا المشروع ويقف على قدميه؟.. متى يبتل ريق الناس بأقامة شبكة الخطوط الحديثة والخزانات؟ فتسد حاجة الاهلين والحجاج من الماء العذب وتنقطع الشكوى؟

* موارد العين:

اننى اعتقد — ان موارد العين الزرقاء غير كافية.. ولا بد من ايجاد موارد ثانية للعين.. أن الحجاج الذي يرغب ان يصله الماء الى غرفة نومه من مواسير الماء والذي يرفع عقيرته بالشكوى لولاة الامور — اذا قل الماء عنه وقد يكون وجوده من اسباب قلة الماء.. لأن معظم الحجاج يصرفون الماء بغير حساب.. هذا الحاج يجب أن يساهم.. في توفير الماء في المدينة.. بأن يدفع اعانة لادارة العين الزرقاء لتستطيع أن تؤدي واجبها وتؤمن له الماء في كل وقت.. وفي كل ناحية.

لقد كانت ادارة العين الزرقاء تتقاضى على كل حاج ١٥ ريالاً.. يؤديها لتساعد على اداء الخدمات اللازمة.. في مجالها.. وكان الماء يصل

للمدينة في الدبول.. تحت الارض.. وكانت مناهل العين الزرقاء لا ينقطع الماء عنها ليلا ونهارا.. وما كنا نسمع شكوى ابدا من قلة الماء.. بل كانت الشكوى توجه الى السقااة ايام الحج حين «يطمع السقااة» في الاهالى.. فيرفعون قيمة «قربة» (الماء من قرش الى خمس هلل وقد تصل الى ست هلل).

كانت ادارة العين الزرقاء تتقاضى.. هذه الخمسة عشر ريالا الى عهد قريب.. على كل حاج.. ولكن الحكومة الغت هذه الخمسة عشر ريالا — فيما اظن — يوم الغت الرسوم.. التى كانت مقررة على الحجاج.. وبقيت موارد العين الزرقاء — بعد الغائها — ضئيلة جدا.. ولا تمكنها من اقامة مشاريعها ذات الاهمية.

لقد قال سمو الامير فيصل في خطابه التاريخي الجامع — الذي القاه في حفل هيئة العين العزيزية لافتتاح خزانها الجديد بمجة.. قال سموه الكريم: هي مؤسسة خيرية واحب ان اوضح كذلك — انها ليست حكومية — وانما هى خيرية — مستقلة.. وان ميزانيتها مستقلة عن ميزانية الدولة.. وان الدولة.. لم تصرف عليها منذ انشئت الى الآن.. وأن لها ميزانيتها الخاصة ووارداتها الخاصة، ولم تصرف عليها الدولة قرشا واحدا منذ انشئت الى الآن.

وادارة العين العزيزية لها وارداتها الضخمة من مدن الحجاج وغيرها.. وقد استطاعت ان تتخير.. خير المشاريع واحسنها، وتقدمها للبلاد — ومن أخصب تخير — لذلك يجب أن تتوفر لدى ادارة العين الزرقاء الواردات الكافية — وأقل مايجب أن يدفع كل حاج يصل المدينة ١٠ ريال لادارة العين الزرقاء — بدل الخمسة عشر ريالا — التي كانت تتقاضاها من الحاج سابقا. واعتقد أن الحاج يدفع هذا المبلغ وهو مسرور.. مادام لتوفير الماء في البلد.. الذي شد اليه الرحال لزيارة مسجد المصطفى — صلى الله عليه وسلم. وزيارة قبره الشريف — وبذا يتسنى لادارة العين الزرقاء ان تكفى

بوارداتها وتقوم بمشاريعها التي توفر الماء باستمرار للسكان والحجاج..

أما مشروع شبكة الماء الحديثة ومشروع اقامة الخزانات الضخمة فأنا نرجو أن تتبناه الدولة.. وتقييمه وتهديه الى ادارة العين الزرقاء.. تهديه الى بلد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. وأنا واثقون من أن هذا المشروع سيحقق للمدينة مثل ماحققه مشروع العين العزيزية لجدة.. أن عين العزيزية كانت هدية اليد البيضاء يد المغفور له عبد العزيز والد فيصل — هديته لجدة — بعد أن اقام المشروع الضخم كاملا وسلمه لمدينة جدة — وعزز المشروع بعنايته ورعايته، وبما يؤمن نفقاته ووارداته التي حققت للمشروع النمو والنجاح.. وأن تاريخ جدة وتاريخ البلاد لاينسى ابدا — هذا اليد الكريمة، والحسنة الجارية.

أننا نرجو من فيصل بن عبد العزيز ان يقتدي — بعبد العزيز — في هذا السبيل.. فيقيم مشروع مياه المدينة.. من خزانات وشبكات خطوط.. وكل ما يحتاجه المشروع.. وهديه لبلد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. الذي حث على صدقة الماء وقال — أن في كل كبد رطبة اجرا — وان رجلا دخل الجنة بشربة ماء قدمها الى هرة — او كما قال عليه السلام — نرجو أن يهدي هذا المشروع الى المدينة ويساعده بما ينمي واردات العين الزرقاء والاكتفاء بها كلما اكتفت مدينة جدة بمشروعها.. بعد ان اقدم لها المشروع كاملا.

ان المدينة — يا ابا عبد الله — في أمس الحاجة — اليوم — الى مشروع الماء.. وان بين يديك الفرصة.. لتقيم هذا المشروع، وتخلد به كما خلد والدك العظيم عبد العزيز الى الابد.. ان بين يدينا التاريخ يحدثنا قبل الف سنة عن زبيدة التي جلبت الماء الى مكة، وعن مروان بن الحكم الذي جلب الماء الى المدينة، وعن عبد العزيز الذي جلب الماء الى جدة، وستضم — الى التاريخ الخالدين بجلبك الماء الى المدينة — بعد ان عفى مشروع مروان.

ان الفرص سوانح — ياطويل العمر — وأنها قد لا تتكرر — دائما —
وأنتى أحب أن يتم هذا الخير، وأنه يكفينى من الأمر أن أكون دالا على
الخير، وأن ينالنى أجر الدال على الخير، وهو كل ما أملك.

أن بلد الرسول — يا ابن عبد العزيز — تناديك.. لأن تحل أزمته من
الماء.. وأنتك قادر على أن تصنع معها شيئا — فأنظر ما أنت صانع.. تولاك
الله بحفظه وتوفيقه.

**** من الحافظة :**

واذا كانت النفوس كبارا	تعبت في مرادها الاجسام
تعب كلها الحياة فما اعجـ	ب الا. من راغب في ازدياد
محن الفتى تنبئك عن فضل الفتى	والنار مخبرة بفضل العنبر
قد يهون العمر الا ساعة	وتهون الارض الا موضعا

**** كيف كانت تشرب طيبة بالامس وكيف تشرب اليوم**

الماء هو حياة كل شىء في هذا الوجود.. قال تعالى «وجعلنا من الماء كل شىء حى» وقد من الله تعالى على البشرية بأن جعل هذه المادة الحيوية الهامة — الماء — متوفرة على سطح الارض، في الأنهار والعيون والبحار، ومتوفرة في جوف الأرض، وبين طبقات السماء.. ينزلها على الأرض مدرارا — بقدر فتشكل ينابيع في الأرض وجعلها مشاعة للجميع.. كالهواء، والعلم.. لاثمن لها.. الا ماكان من أمر نقلها الى أماكن الناس.

ولقد كان اهتمام حكومتنا الموقفة بأمر تأمين الماء.. اهتماماً كبيراً، لأن معظم بلادنا صحراوية قليلة الماء العذب، فكان من أولى المشاريع التي اهتمت بها الدولة توفير الماء العذب لسكان المملكة.. شربا واستعمالا وزراعة.

ولقد أجرى جلالة المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله.. عين العزيزية بجدة.. وكانت مدينة جدة لا تعرف الماء العذب الا ماكان من الامطار المخزون في الصحاريح، أو ماء الكنداسة الذي لايكفى لعشر سكان جدة.. وكانت جدة بسبب قلة الماء العذب محرومة مما تخرجه الارض من نبتها وفاكهتها، محرومة من رمانها، وعنبها، وزيتونها، وتينها، وتفاحها.. الا ماكان يجبى إليها من هنا وهناك.

وكان سكان جدة يقدرون بعشرات الالوف فأصبحوا بعد العين العزيزية يقدرون بمئات الالوف.

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/١/٢٨ هـ

وهاهو جلالة الملك خالد بن عبد العزيز يهتم اهتماماً بالغاً بتوفير الماء في مختلف انحاء المملكة، كما يهتم سمو ولي عهده الامين بمشاريع المياه.. ولما عجزت الآبار عن توفير الماء العذب.. لجأت الدولة الى تحلية ماء البحر.. وسحبته للأماكن القريبة، والبعيدة.. ولست في مجال احصاء ماقامت به الدولة من تحلية الماء، في المناطق التي تنعم الآن بالماء العذب.. ولكنى سوف اتحدث عن العمل العظيم بسقيا مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم من ماء التحلية الذي يكرر بينبع، ويدفع في مواسير الى المدينة المنورة.

وان من اهتمام جلالة البالغ، بايصال ماء التحلية الى المدينة المنورة، توجهه الى بلدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ليصلى في المسجد النبوي الشريف ويزور قبر المصطفى عليه السلام ومن ثم يتولى بنفسه فتح صمامة الماء التي تغذي بالماء الزلال العذب من ماء التحلية.

وبين يدي بطاقة، من اخي الصديق احمد محمد محمود رئيس التحرير يطلب منى التحدث عن الطريقة التي كانت تسقى بها المدينة من قبل، والمصاعب التي تواجهها.

وبما انى قد عشت فترة حياتي الأولى بالمدينة المنورة، وشاهدت الصعوبات التي كانت تسقى بها المدينة قبل اكثر من نصف قرن.. فسوف اتحدث عن تلك الفترة، وماقبلها وما بعدها لو ساعدتني الذاكرة.. ولو اعطانى الاستاذ رئيس التحرير فرصة أوسع لأمكن التحدث عنها بتوسع ولكن ضيق الوقت يضطرني للاقتضاب بقدر ماتسمح الذاكرة، والمراجع، وبقدر مايسمح الوقت الذي حدد لهذه الكلمة.. وهو عطلة يوم الجمعة فقط.

* كيف كانت تشرب المدينة

كانت المدينة.. منذ أن فتحنا عيوننا على الدنيا تسقى من العين الزرقاء وكان بالمدينة خمسة مناهل للسقيا، يسميها أهل المدينة بالعيون.. وتستمد هذه المناهل ماءها من العين الزرقاء وهي عين المناخة وكانت بجوار مسجد

الصيديق ابى بكر رضى الله عنه وهذه العين ذات قسمين قسم لسقيا الرجال، وقسم للنساء، وعين الساحة — بقرب باب الشامي وعين باب السلام، وعين الحاره، في حارة الاغوات في طريق البقيع، وعين الزكى في شمال مسجد السقيا بقرب قبر النفس الزكية. وكانت كل محلة تسقى من العين القرية منهم وللسقاة نظام معروف.. وشيخ السقاة كان يطبق النظام بدقة ومن أهم مانعرفه عن النظام.. احترام السقاة للمنازل التي يسقونها لأنهم قد يدخلون هذه المنازل وليس فيها الا النساء وشيخ السقاة اذا ثبت لديه اى انحراف من «السقاة» يعاقبه عقاباً شديداً بطرده من الصنعة أو بالعقاب البدنى وله التفويض من الحكومة بذلك صيانة للمحارم.

* الاسعار:

كان والدي رحمه الله مرتباً سقا للمنزل.. يسقى لنا هكذا: يوم قرية ويوم قربتين واذا نقص علينا الماء خلال الاسبوع، كانت والدتنا رحمه الله ترسلنى الى العين أو ترسل أحد أخواني لشراء قرية من ماء العين وكنا نتضايق من هذه المهمة — لأن السقاة لايمشون معنا بسهولة وعند طلب السقا يسأل أولاً عن المنزل ثم يسألون فوق والاتحت.. فإذا كان المحل بعيداً أو في أحد الأدوار العلوية.. يتركنا ويقول مشغول.. وكان يوجد عندهم نظام.. بالأى يتركوا الطفل أو المرأة واقفة على باب العين بل يلبون الطلب حالاً.. واذا ماتأخر السقا عن اجابة طلب الطفل أو المرأة يأمر الشيخ أول سقا طالع من العين بالذهاب معه دون معرفة ظروفه.

ولكل اسرة من الاسر سقا مخصوص معروف لدى الأسرة.. وعندما ينقص الماء ويطلب سقا الاسرة يحضر حالاً اذا وجد.. وهذا الماء الذي يسقى من العيون للشرب، أو للطبخ، أو للتصيين، فقط أما بقية الاستعمال للحمامات وغسل النحاس وغسل الدرج، ورش السطوح صيفا، ورش باب الزقاق، فإنه من بئر المنزل، ولا توجد دار بالمدينة ابدا وليس فيها بئر.. وكان أول مايبدا في العمارة يبدأ بحفر البئر وتطوى البئر بالحجر الأسود، ويعلق في

آخر دور من الدار ومعظم الآبار تكون صالحه وقل أن توجد بئر بالمدينة مأوها حلو.

وتوضع (بكره) بفتح الأول والثاني والثالث واسكان الأخير.. في آخر دور بالمنزل ويوضع على البكره جبل، بعمق البئر.. وسيدات البيوت، أو جوارهن أن كان هن جوار يجبدون من البئر حسب حاجة المنزل.. والدار التي ليست بها بئر لايمكن أن تسكن ابدا وأذكر أن راتب السقا على أساس يوم قربه ويوم قربتين (مجيدي ونصف) ريال ونصف ريال واذا زاد ريالين الا ربع وقيمة القربه من العين هلتين الى ثلاثة.

وهذه المناهل أو العيون ينزلون لها بدرج كثيرة أظنها لا تقل عن ٤٠ أو ٥٠ درجة.. ويوجد بأسفلها ثلاثة أو أربع بزاير تصب الماء باستمرار ليلاً ونهاراً للسقيا.. ولا بد للسقا انتظار دوره ولأءف أنني جئت العين والا كان الزحام على هذه البزاير شديداً وتوجد أماكن للسقا من العين الزرقاء غير هذه المناهل.. ففي المراكشية والحجازية، والمحمودية، والمراجانية، والطيبية، والمشرقية وزقاق النخالة، وتوجد فتحات تمر منها العين الزرقاء وتسمى هذه الفتحات (خرزه) يضع السقا عليها بكرات ويروون منها، للدور القريبة من هذه المحلات وبعض السقا، يسقون بالقرب الشعالي وهي القرب الكبيرة ولها صناعة خاصة، وبعضهم (بالزفة) والزفه هي تنكتين يحملها السقا على عصا يضع في كل طرف من العصا تنكة وسعر الزفه أقل من سعر القربة الشعالي وبعض البادية يسقون بقرب عادية وقيمة زفة الماء أو القربة العادية من هلله ونصف الى هلتين وقد تصل في المواسم الى ثلاث هلات.

* العين الزرقاء:

يقول الشاعر الشيخ ابراهيم اسكوبى في وصف العين الزرقاء

لبـلـدة خـير الخـلق
فلا تعذلونى ان فتنـت بها عشقا

يقولن في زرق العيون شامة
وعندي أن اليمن في عينها الزرقاء

والعين الزرقاء هى العين التى يشرب منها أهل المدينة منذ أوائل القرن الهجري الأول وقد أجرى هذه العين مروان بن الحكم بأمر من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان. وكان مروان واليا على المدينة من قبل معاوية وكان أزرق العينين.. فسميت العين بالعين الزرقاء وهى في كتب التاريخ عن الأزرق.. وقد أجرى مروان هذه العين من تحت الأرض بعمق من ٤ أمتار الى ٦ أمتار. أجراها من بئر كبيرة بقباء لا تبعد كثيرا عن مسجد قباء.. وهى بئر أريس.. البئر الذي سقط فيها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وعجز من جاء بعده فى اخراج الخاتم عندما كان خليفة للمسلمين.. وتسمى أيضا «بئر الخاتم».

وبمرور السنين كانت هذه العين يقل ماؤها فتحفر آبار أخرى وتسلط على دبل العين ثم اضطروا الى وضع مضخة ترفع الماء للدبل. وفى عهد حكومتنا الموفقة بنيت خزانات كبيرة في قباء تملأ بواسطة مضخات.. ووضعت مواسير ضخمة بدلا من الدبل لسقيا المدينة.. وعمم ادخال الماء الى المنازل بواسطة المواسير.. وفي أيام المواسم يقل الماء كثيرا وقد ينقطع الماء في بعض المحلات، وتؤمن العين الزرقاء الماء بواسطة الوايتات.

أما دبل العين الذي مشاه مروان بن الحكم فهو يتجه من قباء شمالا الى المدينة بصورة مستقيمة ومتعرجة حسب طبيعة الأرض ويتدرج في العمق من قباء الى أن يصل الى المصلى بالمناخة — ويجرى الماء من مجريين أحدهما علوي ويسميه أهل المدينة الماء الحلو وهو الذي تشرب منه المدينة،

والثانى أسفل منه بحوالى ستين الى ثمانين سنتيمترا ويسمى المالح، وهو عذب ليس مالحا.. ولكن وضع لتصفية الماء العلوي كما يقولون ويتفرغ الدبل من المصلى الى المناهل الخمسة التى تقدم ذكرها.. ثم يجتمع في منهل واحد عندما يصل الى عين الزكى التى بقرب قبر النفس الزكية.. ويتجه الى الشمال في قناة واحدة.. فتغذي خيف الاغوات على بعد حوالى كيلو متر ونصف ثم يتجه الى الشمال فى قناة واحدة.. فتغذي خيف الاغوات على بعد حوالى كيلو متر ونصف ثم يتجه الى مصبه الاخير في البركة.. وهي موضع بين الجرف والعيون وبه عدة بساتين وكانت هذه البركة منزل حجاج الشمال عند ورودهم وصدورهم يسقون منها مواشيهم ويشربون.. وتوجد فتحات على طول الدبل من مدخله في قباء الى مصبه في البركة.. وهذه الفتحات تسمى (خرزه) ينزل منها خدمة العين لصيانة الدبل، وتنظيفه واذا وجدت الخرزة عند مكان مأهول بالسكان يوضع عليها (بكره) ويسقى منها السقاة.. وتوجد مغاطس في مجرى الدبل فى أماكن متعددة تمتلىء بالماء.. ومداخل الماء معروف لدى الجميع أما مخرجه.. فلا يعرفه الا خدمة العين.. ووضعت هذه المغاطس لتحول دون دخول أى أحد الى المدينة عن طريق الدبل لأن من نزل فيها لا يستطيع الخروج منها الا من حيث دخل.

ولصيانة العين الزرقاء خدمة متخصصون من أسر المدينة المعروفة ويسمون بالمدينة (عبيد العين) وهم اوقاف كثيرة وليس لهم مرتبات واذكر ان ناظر وقف خدمة العين كان الشيخ حمزة حلا به من اعيان المدينة وافضائلها والآن وقد انتهت مهمتهم من صيانة العين بعد وضع المواسير لمجرى العين بدل الدبل فأن اوقافهم لازالت لهم وناظر الوقف الآن من آل العسيلان.

* خدمة العين الزرقاء

منذ انشئت العين الزرقاء لها خدمة مخصوصون من اسر معروفة يتوارثون هذه الخدمة.. وفي عهد الحكومة العثمانية تولى سيادة السيد زين العابدين مدنى رئاسة العين الزرقاء وهو من كبار أسر المدينة المنورة وأعيانها.. وقدم

للعين الزرقاء كثيراً من الخدمات وهو الذي شكل ادارة العين، ورشح اعضاء لهيئة العين الزرقاء، وعين موظفين وقدم للعين خدمة تذكرو وتشكر وكان اعضاء لجنة العين الزرقاء يعملون مجاناً وفي عهد حكومتنا الموقفة عينت لهم رواتب ومكتب مؤلف من سكرتير وموظفين آخرين.

واللجنة التي شكلت للعين الزرقاء في ذلك الوقت كانت من المشائخ على كابللى، حمزة حلايه، عتيق المخرج، حسين حياى، عباس قم قم جى، عبد الله حافظ، وشكل المكتب من السادة محمود ديولى رئيس المكتب، حمزة جليدان معاون رئيس المكتب غازي ذياب ناصر، أمين الصندوق، وفي عهد السيد زين العابدين مدنى مدت ماسورة ماء من المدينة الى ساحة سيد الشهداء بوادي قناة (سيل سيدنا حمزة) وسبب مد هذه الماسورة ان الحاج يوسف مامسه من حجاج الهند زار المدينة في احدى مواسم الزيارة وزار سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وشهداء اأء في موسم الرحية.. وكان الصهريج الموجود بساحة الشهداء لا ماء فيه وهذا الصهريج يملأ من واد قناة وارتفع سعر الماء بصورة خيالية حتى قال البعض أن سعر قربة الماء وصل الى مجيدي واحد ويسقون من أماكن بعيدة من آبار تسمى الحسو فاقترح الحاج يوسف مامسة على السيد زين العابدين مدنى — مد ماسورة ماء من العين الزرقاء الى ساحة الشهداء وتعهد بجمع تبرعات وقابلاً حاكم المدينة بصرى باشا ورحب بالفكرة ولكنه قال ان الحكومة مقبلة على حرب ولا تستطيع تمويل هذا المشروع فتعهد له السيد زين العابدين مدنى والحاج يوسف مامسة بدفع التكاليف واذن بصرى باشا لهم بالاستفادة من الخزان الكبير فى القلعة وكانت العين الزرقاء تمر من القلعة.

وقد قام بالمشروع بالكامل السيد زين العابدين مدنى من ماله الخاص وقد اخبرنى السيد يوسف مدنى نجل السيد زين العابدين مدنى أن الحاج يوسف مامسة قد ارسل كامل المبلغ الذي انفق على هذا المشروع من الهند حيث جمع تبرعات من هناك للمشروع ثم والى السيد زين العابدين مدنى بايصال الماء الى الشوارع الرئيسية والاحواش، والازقة تدريجياً، ثم ايصال

الماء الى المنازل.. وعندما كان يقل الماء فى المدينة كانت لجنة العين الزرقاء تؤمن الماء بالوايتات فى الأماكن التى يقل فيها الماء.

والآن وقد كثر سكان المدينة وزاد استعمال الماء زيادة كبيرة بسبب استعمال الحمامات الحديثة واتساع رقعة المدينة رأت حكومة صاحب الجلالة الملك خالد حفظه الله — أن تسقى المدينة المنورة من ماء التحلية وأن تجرى التحلية بمدينة ينبع من أقرب موقع من البحر من المدينة ويبلغ حوالى مائتى كيلو مترا وقامت بهذا المشروع الضخم الجبار.. وهاهو صاحب الجلالة المفدى يفتتح فى الأيام القليلة المقبلة صمام هذا المشروع الكبير.. ونرجوه تعالى أن يجزل له الأجر والثواب على هذا العمل العظيم الخير الجبار أما سقى المدينة قبل العين فقد كانت من الآبار والآبار المشهورة التى تسقى منها المدينة هي بئر بضباعة وبئر بضيعة وبئر حاء، وبئر الفرس، وبئر البوصة، وبئر العهن، وبئر اريس، وبئر انسى بن مالك، وبئر فاطمة بنت الحسين، وتعرف هذه البئر عند اهل المدينة ببئر زمزم وقال كتاب عمدة الاخبار أن السيدة فاطمة حفرتها بيدها فى الحرة الغربية حين عجز الحفارة وانها صلت فى موضع البئر ركعتين ثم دعت الله واخذت المسحاة فحفرتها بيدها والسيدة فاطمة بنت الحسين هي حفيدة السيده فاطمة الزهراء الكبرى ومن الآبار المشهورة التى كان يستقى منها أهل المدينة بئر رومة وهى بئر فى وادي العقيق وجاء فى وفاء الوفاء ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال نعم الحفيرة — حفيرة المزنى يعنى رومة فلما سمع ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه ابتاع نصفها بمائة بكرة وتصدق بها فجعل الناس يسقون منها فى يوم عثمان بن عفان فلما رأى رومة.. أنه قد امتنع منه ماكان يصب منها باع من عثمان بن عفان رضى الله عنه النصف الثانى بشيء يسير فتصدق بها كلها.

وماتزال بئر عثمان حتى الآن موجودة وعليها نخيل ومزروعات وهى عذبة شديدة العذوبة وغزيرة الماء.

وقالت كتب التاريخ أن الإمام علي بن أبي طالب تمنى لو أجرى الله تعالى على يده ذلك فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم).

وقد تولى رئاسة العين الزرقاء بعد السيد زين العابدين مدني — ابنه الأكبر السيد هاشم مدني — ثم السيد عبد القادر غوث.. ثم الشيخ عبد الله الحجام.. ثم المهندس عادل شيره.. وهو الذي يشغل الآن منصب رئاسة العين الزرقاء.. وقد عرف الأستاذ عادل بنشاطه وحسن ادارته واثنى على كفاءته ونشاطه كثير كل من زار المدينة.. أو راجعه في أمر من أمور العين الزرقاء وهو من أسر المدينة المنورة المعروفة.. ووالده رحمه الله.. الشيخ ابراهيم شيره.. من خيرة ابناء المدينة.. وقد خدم المدينة في عدة اعمال رسمية وهو صديق لنا واخ كريم.

واذكر أن الشيخ احمد يس الحناوي قد القى رسالة في العين الزرقاء وقد بحث عنها لتكون احد مصادر البحث ولكني لم اجد لها فمعهذه.

سد الغابه أكبر منجزات الزراعة بالمدينة المنورة

قبل أن أتحدث فى كلمتى الثانية عن المدينة المنورة أحب أن أنوه بالإنجازات الضخمة التى حققها الدولة للمدينة المنورة فى مجال التنمية الزراعية وأقامة السدود فى منافذ المياه ومضارب السيول.. ومن هذه الانجازات «سد الغابة» فى شمال غرب المدينة المنورة وهو موضع حديث اليوم..

ويعتبر سد الغابة فى شمال غرب المدينة المنورة وهو موضع حديث اليوم.. ويعتبر سد الغابة من الانجازات الهامة التى نفذتها الدولة وقد قوبل بالشكر والتقدير من أهالى المدينة المنورة لما له من أثر كبير فى حفظ الماء من التسرب الى البحر.

وقد زرت الغابة هذه المرة اثناء تجولى فى المدينة المنورة مع الصديقين العزيزين الاستاذ حسن الصيرفى — شاعرنا الذى كان ينشر بالمدينة شعره ونشره تحت عنوان المعدادى القديم، والاستاذ عبد الحميد مساعد مدير بلدية الشرق فى المدينة المنورة الذى حرص على أن يرى سدا للغابة ومنافعه.

وفى الأصيل انطلقنا فى اتجاه العيون — طريق الغابة، وقد تحول هذا الطريق من نخيل عالية، واشجار باسقة وخضرة يانعه الى عمارات ومصانع ومعارض.. ومن طرق ضيقة ملتوية، تغطيها الاتربة الناعمة أو الصباحى المتحجرة — الى طريق واسع معبد بالاسفلت ومضاء.. وبعد دقائق من مسيرتنا.. وبعد أن أجتزنا مسيل وادي قناه قال صاحبى.. هذه «المفتية»

نشرت فى العدد ٥٥٣٩ فى ٢٥ رجب ١٤٠٢هـ

واعادنى منظر بستان المفتيه الى مايزيد على نصف قرن.. عندما كانت المفتيه موضع مقيلتنا المفضل وسهراتنا الغنيه بالمرح والسرور.. ونظرت الى ذلك البناء الذي كنت اراه قصرا شامخا وكان محل اجتماعاتنا وبجبال سرورنا وهجتنا.. واذا به اشبه بكوخ متواضع قد اكلت اطرافه السنون، وتداعى بعض اركانه.. وهو يصمد امام تلك العمارات الشامخه التى حوله.. وتذكرت وأنا أجول بطرفى فى أرجاء المفتيه، وما بها من نخيل واشجار ذابله تذكرت الحفله التي اقامها رجال التعليم بالمفتيه تكريما للاستاذ محمود الحمصى الذي عين مديرا للمدرسة الابتدائية بالمدينة ومشرفا على المعارف بها وكان ذلك فى آواخر الاربعينات ومن اذكره الآن أن من رجال التعليم في المدينة الذين اقاموا حفل تكريم الاستاذ الحمصى وهم السيد أحمد صقر، والسيد ماجد عشقى، السيد حسين طه، السيد محمد صقر الشيخ محمد سعيد فارسى، والسيد محمد على طه، والسيد يس.. وكان بالحفلة الشيخ ابراهيم سمان وعبد الستار بخاري وهما معروفان برخامة الصوت وحسن الاداء وحضور النكته ونظرت الى ماحولى مما كنت أعرفه من بساتين وعيون لم ار الا اثارا واطلالا — أو عمارات ومعارض وقد كانت هناك «الغرايبة» بستان طاهر والاسعديه لآل أسعد والمدينة لآل المدنى وبستان عتيق مخرج، وغيرها من العيون والبساتين.. وقد دمرت جميع العيون التي قالوا أنها تزيد على مائه عين ولم يبق من البساتين الا مايسقى بماء الآبار وهى قليلة جدا جدا وتحول كثير من تلك البساتين الى اراضى سكنيه أو صناعية.

مرت بى هذه الذكريات سراعا.. وماشعرت وأنا سارح فى خيالى الا اشارة ضوئية حمراء توقفنا عن السير.. وقال صاحبى هنا اخر العيون.. وهذا (شقيم الديب) عن اليمين وعن اليسار طريق الغابة — وشقيم الديب قلعه اقامها الاتراك ايام زمان وهى ترتفع فوق هضبة من هضاب جبل أحد في الجهة الغربية وجبل أحد يشرف على المدينة المنورة من الشمال بينما يشرف من الجنوب جبل عسير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد أنه جبل يحبنا ونحبه وفى ساحته الجنوبية وقعت معركة أحد.

واتجهنا الى الغابة بعد أن أضيئت الإشارة الخضراء فى طريق اسفلتى واسع.. وعهدى بتلك المناطق كلها اشجار ونخيل وعيون جارية وزروع متشابكة وطرق ترابية وقد عادت الان ساحات ومبانى ولم نشاهد من المزارع الا الشئ اليسير الذي لا يذكر أما العيون والمياه الجارية فلا اثر لها. وقال صاحبى أن الأشجار هنا بدأت تنمو ولولا أن الحكومة منعت البادية من قطعها ووضعت جزاء على من يقطع الاشجار الخضراء لما وجدنا عرقا اخضر.. وكان رجال البادية يقطعون هذه الاشجار ويبيعونها حطباً او يفحمونها ويبيعونها فحماً وبعد سير يقرب من ربع ساعة من مغادرتنا للعيون اشرفنا على غدير كبير تتحرك امواجه وقد غمر الماء جزءا من الخط الاسفلتى الذي يوصلنا الى سد الغابة فأوقف مسيرتنا.. وقلت لصاحبى الا نستطيع اجتياز هذا الغدير لنرى سد الغابة.. فقال لا تستهمل عمق الماء هنا أنه فى بعض الاماكن يبلغ عشرة امتار عمقا.. وقالوا أنه لا يوجد طريق يمر من سفح الجبل وهو طريق غير معبد يلف بحيرة الماء ولكنه خطر ويخشى أن تفرز فيه السيارات..

وهكذا حجزتنا هذه البحيرة عن الوصول الى مبنى سد الغابة الذي سمعنا عنه كثيرا وكنا حريصين على رؤيته ولعل الظروف تسنح مرة أخرى ومن غريب ما رأيت فى هذه البحيرة التي امتلأت لأول مرة فى تاريخ المدينة ولكن لم تكن معروفة لأهل المدينة قبل بناء سد الغابة من غريب ما رأيت — رأيت دركتر ضخما من الدركترات الصفراء مرتفع على تل على يقوم وسط البحر ومحاط بالماء من جميع اطرافه.. وسألت صاحبى عن وجود هذا الدركتر فى هذا المكان المرتفع والمغمور بالماء فقال ان هذا الدركتر كان يعمل فى هذا الوادي وعندما دهمته السيول والامطار واوشكت ان تغرقه صعد الى هذا التل المرتفع للنجاه من الغرق وقد استطاع سائقه ان يتسلق الجبال وينجو من الغرق المحقق لو بقى فى مكانه.. وبقي الدركتر محجوزا فوق تلك الهضبة.. وقالوا ان عمق الماء يقارب العشرة امتار هناك..

وعدت الى المدينة متعبا لعلى أهضم ماجمعت من معلومات عن العيون

والغابة والامطار فالتقيت بالصديقين العزيزين الاستاذ عبد العزيز مسلم مدير الزراعة بالمدينة والاستاذ ابراهيم عبد الحميد عباس من كبار المزارعين في البلد والمهتمين بالشئون الزراعية بالمدينة المنورة.. واستطلعت رأيها في سد الغابة والامطار فقالا.. أن من أهم اعمال وزارة — الزراعة بالمدينة المنورة إقامة سد الغابة.. ولقد افاد سد الغابة بالمدينة المنورة فائدة ما كنا نتوقعها فقد حجز المياه العظيمة التي كانت تتجمع بالغابة من سيول المدينة المتعددة والتي كانت تذوب في البحر من غير ان يستفيد منها احد وقد ارتفع منسوب المياه في الآبار بتلك المنطقة بما يقدر بعشرة أمتار.. وقد تكونت في منطقة الغابة بحيرة كبيرة وسوف تغذى هذه البحيرة آبار المدينة لفترة طويلة.

وقد ارتفع الماء عن منسوب سد الغابة وطفح الماء من الفتحات العلوية للسد مدة ١٢ يوما.

ويبلغ طول السد من الشمال الى الجنوب ٦٥٠ متراً وارتفاعه ١٠ أمتار وقاعدته ٢٠ متراً ويرتفع من القاعدة بشكل هرمى متدرج الى ٤ أمتار. أما البحيره الى خلفها السد فإن مساحتها تتراوح بين ٢٠٠٠ متر في متوسط ٩٠٠ متر بعمق من ٨ الى ١٠ أمتار.

وقد بدىء في اقامة السد في ١٣٩٧/٢/٢٧ هـ وانتهى في ١٣٩٩/٢/٢٧ هـ ولم تسقط امطار على المدينة على مرمى هذا السد الا في المدة الاخيرة حيث اكتشفت هذه البحيرة لأول مرة ويوجد بئر معدنية بقرب سد الغابة يقدر حرارة الماء فيها بـ ٥٠ درجة مئوية ويرتادها الناس من البادية ومن غير البادية للاستحمام والعلاج لأنها معدنية طعما وحرارة وحبذا لو حللت مياه هذه البئر وعرف اثرها الصحى للاستفادة منها طبييا.

وتبعد الغابة عن المدينة المنورة من ٢٠ الى ٢٥ كيلو مترا.. والى عدد آخر للحديث عن العاقول وعن سد العاقول..

سده ، حوضه

العاقول

طريقه مناخه

العاقول حوض كبير في الجنوب الشرقى للمدينة ويقول المؤرخون أنه تكون من مواد بركانية.. عندما ثار بركان في تلك المنطقة، في السنين الخوالى.

وقد زرنا هذه المنطقة أيام زمان — وأينا مايشبه فوهة البركان — وحوله مواد مصهورة.. وقالوا أنها فوهة البركان الذي قذف حممه هناك وشكل حوض العاقول وأرأينا بعض الأماكن حول حوض العاقول لايمكن المشى عليها لأن بها حجارة مسننه ولايبعد أن تكون مواد حجرية مذابة ثم تجمدت كيفما اتفق..

وارضيه حوض العاقول ترابيه ناعمة اذا جفت كونت طبقة رملية بيضاء رقيقة.. فاذا ضربتها الشمس تشققت عن نباتات ضعيفة لا تلبث ان تذبل وتذروها الريح. ويحيط بحوض العاقول حره سوداء معظم حجارتها، وسطحها، غير صالح للجلوس، أو السير عليها.. الا مناطق بسيطه جدا.. ربما كانت بتمهيد صناعى لمن يسكنون حوله.

ومنظر العاقول من الجو منظر بديع رائع.. فاذا كان خاليا من الماء يرى كقطعة من الفضة، تلمع في الشمس وحولها اطار اسود كالسوار في المعصم الجميل.. واذا كان ممتلئا ماء عكس اشعة الشمس ويخيل للناس وكأن السماء انعكست على الأرض والشمس تجرى على سطح الماء.

نشرت في العدد ٥٥٤٦ في ٢ شعبان سنة ١٤٠٢هـ.

ويبلغ مساحة حوض العاقول كما حققه أحد مهندسي الشيخ محمد بن لادن الذي قام بعمارة السد.. يبلغ اربعة الاف فدان وطوله ٦ كيلو مترات وعرضه في المتوسط ثلاثة كيلو مترات.. وارتفاعه ٤ كيلو مترات ويخزن من الماء ٨٠ مليون مترا مكعبا.

سد العاقول

وكان الأقدمون قد بنوا سدا عند منفذ الماء من الجهة الغربية في عهد الحكومة العثمانية وكان بناؤه رضحا بالحجارة المرصوفة بدون لزاقات.. وكان بعض حكام المدينة من الاتراك يخرجون الى العاقول اذا امتلأ ويتفصحون في ارجائه على الفلك والزوارق.. وبتقادم الزمن تداعى هذا السد واصبحت المياه تتسرب من جوانبه.. وقد رأى الشيخ محمد بن لادن رحمه الله أن يعيد بناؤه على الطريقة الفنية الحديثة لحفظ هذا الماء من الضياع وقد أقام ابن لادن السد في موضع السد القديم بالأسمنت والحديد.. ويبلغ طوله ١٥٥ متراً وارتفاع ٧ متراً وجعل فيه فتحات يمكن غلقها وفتحها اذا اريد رى الأرض المجاورة وتوجد اراضى شاسعة جيدة التربة صالحة للزراعة بأطراف العاقول يمكن رها منها..

غابة على ارض العاقول:

وكان معالي الشيخ صالح قزاز مدير عام الزراعة في ذلك الحين اراد غرس حوض العاقول بالاشجار ليجعل منه غابه يمكن الاستفادة من شجرها ومن تلطيف الجو في تلك المنطقة وانتدب مهندسين زراعيين لهذا الغرض.. وفعلوا ارسل اشجارا.. وغروسات لتنفيذ الفكرة وكان السيد على حافظ مديرا للزراعة بالمدينة وفعلوا جرى غرس الاشجار.. ولم تتحقق الفكرة بسبب الجفاف وقلة الامطار فترة كبيرة من الزمن.. وبعد الامطار الاخيرة ارتوت الارض وفاض العاقول وأرجو أن يكون هذا المشروع محل دراسته وزارة الزراعة.

وقد أقام الشيخ محمد بن لادن مع بناء السد استراحة للزوار الذين يزورون العاقول وأقام مصنعا للطوب الأحمر بجوار حوض العاقول.. وقد ساعد هذا المصنع على تقدم العمران ونشاطه بالمدينة.. وكان يقدر ماينتجه المصنع من الطوب الأحمر المحروق بأربعين ألف طوبة يوميا هذه المعلومات وجدتها في بعض مذكراتي في عام ١٣٧٤هـ.

سد العاقول الجديد:

وقد اقامت وزارة الزراعة في عام ١٣٩٧هـ — سداً حديثاً للعاقول على بعد ٦٠٠ متر من سد بن لادن وهو سد قوى متين ويحجز كميات كثيرة من الماء وله فتحات بأعلاه لتصريف ما زاد من المياه ويصب في حوض العاقول واديان، وادي قناه (سيل سيدي حمزة) ووادي الرمه القادم من طريق تبوك.. وقد امتلاء حوض العاقول مرتين في هذا العام بغزارة كبيرة.. مرة من الامطار التي هطلت في شهر جمادي الثانية ١٤٠٢هـ ومرة ثانية من الامطار التي هطلت في شهر رجب واكتب هذه الكلمة والماء يفيض من سد العاقول منذ اربعة أيام وفي الامطار الأولى استمر يجرى من فتحات السد العليا اكثر من اثني عشر يوما..

والماء الذي يفيض من العاقول يتوجه الى قرب ارض الزبير ثم الى الغابة مجمع سيول المدينة وينصرف من الغابة الى الخليل ثم الى الحضيصة فالمنندق، فالمليلج، فشجوة ثم أم العظام ثم هذيه فالابريق فالسالمية ثم الهجر الثلاثة، ويتجمع في وادي الحمض قبل الوجه ثم ينتهي الى البحر..

حديقة العاقول:

وقد خططت أمانة المدينة المنورة لاقامة حديقة كبرى بمنطقة العاقول بعد ان تقدمت المواصلات وسهل الوصول الى العاقول وقد قسمت هذه الحديقة الى ثلاثة اقسام — قسم للنساء وقسم للأطفال وقسم للرجال وكل قسم منفصل عن الآخر..

وستكون هذه الحديقة أول منتزة عام لأهل المدينة المنورة وسوف يكون بجانب هذا المنتزة استراحات كدواوين وأماكن لأستقبال الزائرين وسوف يزود بكل ما يحتاجه الزوار من بوفيات ومبردات ومظلات.. وقد وافق المجلس البلدي على اقامة هذا المنتزة.

أحمد باقدو يتبرع بعمارة المنتزة:

وقد تبرع الشيخ أحمد باقدو بعمارة المنتزة وتوابعه وتسليمه لأمانة المدينة المنورة جاهزا للأستعمال وتقدر تكاليف البناء بـ ٦ مليون ريال.. وسوف يكون هذا المنتزة من أهم المنتزهات لأهل المدينة المنورة في المناسبات المختلفة في الاعياد والامطار وجريان السيول.

وتبلغ المسافة بين المدينة المنورة والعاقول حوالي عشرين كيلو مترا ويقع في الجنوب الشرقي لمطار المدينة ويبعد عن المطار ٦ كيلو مترات حيث أن المطار على بعد ١٤ كيلو متر من المدينة.

ولم نجد طريقا للوصول الى السد الجديد الذي اقامته وزارة الزراعة لأن الأرض بعد أن تشبعت بالماء اصبح من المتعذر سير السيارات عليها ولعلنا نستطيع زيارته في فرصة اخرى.. وأنه ليسرني أن أشيد بالجهود الكبيرة التي تبذلها وزارة الزراعة لاصلاح الأرض ورها وأقامة السدود التي تحفظ الماء في جوف الارض، وقد لمس الجميع التقدم القريب للاكتفاء الذاتي للمملكة من الحنطة.. والحبوب، وغيرها من المواد الغذائية الرئيسية ولاأريد أن أشيد بجهد واخلاص معالي وزير الزراعة والمياه وحبه لعمله الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ فالكل يعرف هذا وآثاره وأعماله في مختلف نواحي المملكة تتحدث عن ذلك.. وأحب أن ألفت نظركم معاليه واعتقد أنه أعلم مني بذلك — أحب أن ألفت نظره الى سد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه..

هذا السد اذكر اننا زرناه في ربيع الشباب قبل اكثر من نصف قرن واعجبنا به كثيرا وكان عرضه حوالي ٤ امتار واقامه سيدنا عمر على وادي

بطحان واقم بالحجارة رضخا بدون لزاقات، وكنت سمعت من كبار المزارعين عندنا عن مبلغ اهمية هذا السد وحفظه للمياه وصيانتة للقرى التى خلفه من تدفق الماء الذى قد يؤدي الى الاضرار بها.. وهو من الاثار الهامه التى اقيمت في عهد الخلفاء الراشدين..

واعتقد أنه لم يغب عن وزارة الزراعة دراسة واجراء الاصلاحات اللازمة من أجله أو تجديده على الطريقة الفنية الحديثة لاهميته الكبرى وفائدته العظمى .. ونظرا الى اننى سوف اترك، القلم لاضطراري الى السفر للعلاج فإننى اعتذر عن مواصلة الحديث عن بقية الرحلة وعن ملاحظاتي بالمدينة المنورة رغم تراحم الخواطر والأفكار..

ولكننى سوف اتحدث عن موضوع واحد لاهميته في نظري ذلك هو شارع قباء اصبح أهم وأعظم شارع بالمدينة المنورة ودائما وفي أى وقت يكون مزدها من السيارات بخطيه الطالع والنازل.. وفي كل يوم يزداد ازدهاما ولا بد من اعادة النظر في توسعته واصلاحه..

وقد كنا اقترحنا واقترح غيرنا من قبلنا ازالة الحاجز الذي يفصل بين الخط الطالع والخط النازل ثم تخطيط الشارع تخطيطا يتفق مع أهمية الشارع وموقعه ومكانته ولكن مع الأسف رأيت الآن عمارة تقوم في المثلث الذي يفصل بين الشارع الطالع والنازل من أول الشارع وارجو أن أكون مخطئا في تصوري اقامة تلك العمارة واذا قامت العمارة لابد أن يقام في الطابق الأول معارض بها وفي الطوابق الاخرى مساكن ويتطلب ذلك حركة عدد كبير من السيارات للسكان وللمعارض فيختنق عنق الزجاجة هناك اكثر مما هو محتنق ونحن نؤمل، ان يزول هذا الحاجز بأكمله لتوسيع الشارع وتخطيطه تخطيطاً جديداً يتناسب مع الحركة الكبيرة من السيارات التي لا تقطع ليلاً أو نهاراً.. (لا أن يزاد في الطينه به).

واذكر بالمناسبة أن في جوانب الشارع الرئيسى من الجهة الشرقية والجهة

الغربية ازقة فرعية كثيرة وهى على وضع لايسر فهي ضيقة وملتوية وبعضها غير نظيفة يتجمع فيها، الاوساخ ولا تصلها يد التنظيف.. وارى أن تنظيم هذه الازقة الفرعية تنظيماً جذرياً وتوسع وتزفت بحيث يسهل على السيارات اجتيازها بسهولة ويسر.. وهى ازقة كثيرة كلها تركت ازدادت مشاكلها وازدادت تكاليف اصلاحها.. وانصاف الحلول اصبحت لاتجدي اليوم.. والى حديث آخر أن شاء الله.

**** عمارات الاسكان في المدينة المنورة واقتراح**

المدينة المنورة — من المدن الرئيسية التي اهتمت بها وزارة الاسكان — تقام فيها عمارات سكنية لذوى الدخل المحدود — ومعظم مدن المملكة قامت فيها عمارات سكنية شاهقة — ذات شقق أنيقة تتسع لآلاف الأسر والعوائل.

ولاشك أنها فكرة رائدة، وسديدة — عادت على البلاد وأهلها بالرخاء وتيسير السكن لذوى الدخل المحدود — سيما أبناءنا الذين يعودون من الخارج بعد اتمام دراساتهم الجامعية والعالية — فلا يجدون سكناً بأجور معقولة — وهم فى مبدأ حياتهم العملية.. ويريدون تكوين أسرة متكاملة.. وقد يضطر بعضهم لترك الزواج لعدم وجود السكن المعقول.

*** قبل التنفيذ :**

وعمارات الاسكان كلها خير.. فقد عادت على جميع المواطنين بالرخاء — فبذ الشروع فى اقامتها — هبطت أجور العقار بطبيعتها.

وقد تعاونت هذه الفكرة الصائبة.. مع فكرة القروض العقارية.. التي شملت جميع أنحاء المملكة — تعاونت على الحد من ارتفاع اجور السكن.. التي كانت فى تصاعد مريع — فنزلت اسعار السكن نزولاً ملموساً.. حتى أصبح الناس يشعرون.. بأن العرض أكثر من الطلب — فأصبحوا يتخيرون — على طريقة — (من اخصب تخير) — ويشترطون المميزات الزائدة فيما يعرض من شقق وفلل — يشترطون وجود المطابخ، والكنديشنات، والستائر، وجودة التشطيب (والديكورات).. أما العمارات الحالية من المميزات.. فقد لاتجد مستأجراً لها.

نشرت فى جريدة المدينة فى ١٤٠٠/٥/٣ هـ

أنها لأيداء كريمة من الدولة.. على المواطنين؟.. هذه القروض العقارية، وهذه العمارات السكنية — لذوى الدخل المحدود.. ساعدت الكثير من الأسر، وقضت — أو أوشكت أن تقضى على أزمة السكن.

ومعظم عمارات الاسكان في المملكة انتهت وهي في طريقها للتوزيع على مستحقيها بأجور معتدلة أو رمزية. وقد شكلت لجان لتوزيع هذه المساكن على مستحقيها ولقد أفادت البلد قبل التوزيع فكيف بها بعد توزيعها فأن فائدها سوف تتضاعف، وتتضاعف.

اريد بكلمتى هذه أن اترج الى الحديث عن عمارات الاسكان — بالمدينة المنورة — في زيارتى الاخيرة لطيبة الطيبة.. علمت أن وزارة الاسكان مهتمة بشأن العمارات السكنية بالمدينة المنورة اسوة بمدن المملكة الاخرى — وأنها تحصلت على قطعة أرض واسعة — في الحزام الأخضر.. في العالية.. بين قباء وقربان.. وهذه المنطقة من أحسن مناطق المدينة مناخا وجودة — هواء — وقد ورد في الأثر (عليكم بالعالية).. وعلمت أن الأرض حكومية — وتحصلت عليها وزارة الاسكان مجانا لتقام عليها العمارات السكنية — (يعنى من يمينها لشمالها).

وقد مضت فترة من الوقت — وأهل المدينة المنورة ينتظرون اقامة هذه العمارات السكنية — لأنها سوف يكون لها الأثر الكبير في مساعدة ذوى الدخل المحدود.. وبالتالي — تخفيض أجور السكن في المدينة.. أكثر — فأكثر.

وأنى ألفت نظر — صاحب السمو الملكى الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الاسكان والاشغال العامة — الذي كان له الفضل فى اشادة هذه العمارات السكنية — فى مختلف انحاء المملكة.. وهو المعروف باهتمامه بالمواطنين.. وبخيران المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وأرجو أن تجد المدينة وأهلها من عناية سموه، ورعايته مايحقق لها اقامة

هذه المساكن — اسوة بمدن المملكة الاخرى. وأنى لأرجوه أن يكون في تأخير انشاء المساكن خيرا. وقد قال القدماء منا — (أن في كل تأخيره خيرة) — ولعل تأخير إنشائها فيه خير للمدينة، وللمنتفعين — من سكان المدينة.

وعلى هذا فإنى اقترح ونحن مازلنا في أول الطريق — وبعد أن مرت بنا بعض التجارب — اقترح أن تقام مباني الاسكان — بالمدينة المنورة.. لا على شكل عمارات شاهقة بمصاعد، بل تقام على شكل مدينة سكنية حديثة.. وأن تخطط تخطيطا فنيا.. يكفل للسكان التنقل في سهولة ويسر.. وأن يكون ارتفاع المساكن في حدود دورين الى ثلاثة أدوار — فقط — وأن لاتضع بها (السنسيرات) — لأن الاسنسيرات عرضة للتوقف، والمتاعب.. سيما اذا كانت ذات أدوار كثيرة.. وأن تراعى فيها مواقف للسيارات، واقامة مدارس لمختلف المراحل الدراسية، كما تراعى الخدمات الصحية والبلدية، والبريدية، وتقام بها مساجد وأسواق، وحدائق، ومجارى عامة، ومراكز للخطوط التليفونية، وملاعب للأطفال وكل ما يحتاجه الساكن من مصالح لراحة السكان — فتكون مدينة متكاملة ذات شوارع واسعة بجميع لوازمها، ومنافعها تتحمل ضغط السيارات.

وفي المنطقة التي تحصلت فيها وزارة الاسكان على قطعة الأرض.. متسع من الجهة الجنوبية — اذا احتاج المهندسون الى زيادة من المساحات الأرضية تتسع للمصالح، والمنافع المراد ايجادها في هذه المدينة السكنية — وستكون ان شاء الله — نموذجية في تنسيقها، وتنظيمها، وتوفير وسائل الراحة فيها كما أن الخدمات العامة كالنظافة، والانارة وخدمات الأمن تكون ميسرة فيها بدون عناء.

أنها مجرد فكرة فكرة اعرضها وارجو أن تكون محل الدرس ولعل فيها ماينفع ويصلح للتنفيذ — والله ولى التوفيق .

** كلمتان لوزارة الصحة

وكلمة لوزارة المعارف

* اين مستشفى الحميات :

اظن — أن حصيلة المدينة المنورة.. من مشاريع وزارة الصحة لعام ٨٣ هـ — ٨٤ هـ.. هو مستشفى الحميات.. الذي اقره مجلس الوزراء.. وافر مبلغا في ميزانية وزارة الصحة لاقامة مبنى لهذا المشروع.

ولقد سمعت.. سعادة مندوب وزارة الصحة بالمدينة.. يتحدث عن هذا المشروع وعن اهميته وحاجة المدينة اليه.. ويبحث عن مكان مناسب.. خارج العمران.. لاستنجاره — مؤقتا — ليكون مقرا لمستشفى الحميات.. ولعزل المرضى.. الذين يقضى النظام الصحى عزهم عن بقية المرضى الذين ينامون بالمستشفى.. ولقد مضى على هذا الكلام عدة شهور.. ولم يتم شىء في هذا المشروع.

وقد علمت — أنه رصد مبلغ لا بأس به في ميزانية وزارة الصحة لعام ٨٣ هـ — ٨٤ هـ يقارب النصف مليون من الريالات.. لاقامة مبنى خاص لمستشفى الحميات.. على الطريقة الفنية الحديثة.. وكانت مندوبية وزارة الصحة.. تبحث عن ارض صالحة لاقامة هذا المبنى عليها.. وقد توقفت في الحصول على ارض ملائمة خارج العمران، ليقوم عليها المستشفى.. وتبعد هذه الارض.. عن المدينة ٨ كيلومترات.. منها ٦ كيلومترات على خط المطار الاسفلتى وكيلومترين.. غير مسفلتين.. ولكنها معبدة وصالحة للسير..

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٤/٢/٢١ هـ

وقد وافقت البلدية على اعطاء هذه الارض لهذا المشروع الهام.. وهي من املاك الدولة.. وعرضت مندوبية الوزارة بالمدينة الامر على وزارة الصحة للتوسط لدى وزارة الداخلية بمنح هذه الارض لوزارة الصحة.. لاقامة مستشفى الحميات عليها.. وقد وافقت وزارة الداخلية.. وصدر الامر بمنح هذه الارض لوزارة الصحة.. وافراغها لها.. وتبلغ مساحة هذه الارض ٢٠٠ × ٢٠٠ متر

كما انى علمت أن خرائط ومواصفات هذا المستشفى قد وضعت ونزلت في المناقصة العلنية.. وأن العطاء قد رسا على بعض المقاولين ولم يبق الا ان تسلم الارض للمقاول ليبشر في العمارة. ثم ماذا بعد هذا!!.

لقد فوجئنا.. بأعلان في الصحف المحلية.. من وزارة الصحة.. يطلب ارضا لاتقل مساحتها ١٥٠ × ١٥٠ مترا لشراؤها واقامة مستشفى الحميات عليها بالمدينة المنورة.. ولم استطع أن أوفق بين ماسمعه بالامس وماريته اليوم.

هل أن كل تلك المعلومات التى وصلت الينا من اختيار مندوبية وزارة الصحة.. لأرض بطريق المطار.. لهذا المستشفى وطلب وزارة الصحة من وزارة الداخلية منح هذه الارض لوزارة الصحة وموافقة وزارة الداخلية على منح هذه الارض وانزال مشروع هذا المستشفى بالمناقصة العلنية، وارساء مبادئه على مقاليد مخصوص.. — اقول — هل كل تلك المعلومات خاطئة؟ أم أن وزارة الصحة بدلت رأيها.. في أخذ هذه الارض (البلاش) ولديها مبلغ زائد تريد صرفه في شراء ارض مساحتها ١٥٠ × ١٥٠ مترا — يعنى ٢٢٥٠٠ مترا مسطحا وهى تعادل حوالى ٤٥٠ (مخزنا) باصطلاح المدينة.

واذا كان لدى وزارة الصحة مبلغ زائد فلم لاتوفره للاتفاق على متطلبات هذا المستشفى.. وما يحتاجه من اثاث وكماليات مادامت قد وجدت ارضا حكومية — بالجنان — ثم هل تدري وزارة الصحة.. عن قيمة مثل هذه المساحة من الارض بالمدينة.. أن ارضا بالمناخة بيع مخزنها ب ٣٥

الفا من الريالات.. وإذا كانت هذه الأرض المطلوبة بعيدة عن العمران جدا.. فلا أقل من أن يكون قيمة المخزن الف ريال ويعنى هذا أن قطعة الأرض المطلوبة للوزارة لاقامة مستشفى الحميات عليها.. تكلف أكثر من نصف مليون ريال.. وهو — كما علمت — ازيد بقليل مما رصد للمشروع بأكمله.. فى ميزانية ٨٣ — ٨٤هـ.

أنا لا اعرف الآن.. وجهة نظر وزارة الصحة، ولكنى أستطيع أن أقول لمعالى وزير الصحة.. أن الأيام تجرى سراعاً — يامعالى الوزير — ولقد مضت الآن ثمانية شهور — من وقت اصدار الميزانية.. ولم تبق الا شهور اربعة فقط.. لقفل حسابات عام ٨٣ — ٨٤ وأن اخشى ماأخشاه أن تنتهى السنة المالية ونحن فى المد والجزر.. والأخذ والرد دون أن يتم شىء فى المشروع.. ومن ثم يجمد المبلغ المعتمد لهذا المشروع.. وتخسر المدينة المنورة حصيلتها من مشاريع وزارة الصحة لعام ٨٣ ٨٤ بعد أن نادى المدينة بهذا المشروع.. منذ اربع أو خمس سنوات.. حتى وصل الى ماوصل اليه من نتائج سليمة.. ويكون قد ضاع ذلك الجهود الكبير الذى بذل لاقناع المسؤولين بضرورة وجود هذا المستشفى بمنطقة المدينة.

اننى ارجو من معالى وزير الصحة.. الاهتمام بالمشروع.. والبت فيه.. قبل فوات الفرصة وان الأرض التى اعطيت لوزارة الصحة.. البالغة ٢٠٠ × ٢٠٠ متر تعتبر غنيمة يجب عدم التفريط فيها.. وأنها كما اعتقد صالحة للمشروع لأن اختيارها كان من الفنين فى مندوبية وزارة الصحة.

ارجو يامعالى الوزير أن تهتم بالامر قبل فوات الوقت.. فإن الوقت لاينتظر احدا.. ولاندري بعد — من المسئول عن ضياع المشروع — اذا ضاع — هل هي وزارة الصحة؟ أم مندوبية الوزارة بالمدينة التى تبنت هذا المشروع وانفاذه أم من المسئول؟

اننى اريد أن اسمع كلمة معالى وزير الصحة ويسمعها معنى المواطنون

بالمدينة الذين ينتظرون معى تمام هذا المشروع — اذا تفضل وتكلم. ومرة اخرى أرجو أن يزيل معاليه ماعلق ببعض الازهان من أن المدينة ومشاريعها آخر ما يفكر فيه في وزارة الصحة.

*** في محيط التعليم :

رأيته صدفة — في الخطوط السعودية.. ولم أره منذ عدة شهور. سلمت عليه سلاما حارا.. وسألته عن حاله.. وعن الذي اتى به فى هذا الليل.. الى الخطوط.. فقال — اننى مسافر غدا الى الرياض.. فقد انتدبت لتصحيح اوراق الشهادة — التوجيهية.. دعوت له بالتوفيق.. وقلت له: الله يقويك.. فقال شكرا — ولكنى احلت على المعاش من أول شهر محرم ١٣٨٤هـ.

وعتبت عليه.. كيف تترك ميدان التعليم.. وتحرم البلد من مجهودك العلمى.. وأنت في نشاطك وقوتك وظننت — أنه هو الذي طلب الاحالة الى التقاعد ليتفرغ للكتابة والتأليف.

فقال — انا لم اتخل عن الميدان.. ولم اطلب الاحالة الى التقاعد ولكن الوزارة هى التى أحالتنى!.

وقلت له.. اتحيلك الوزارة على المعاش؟.. وهى في هذه الحاجة للمدرسين.. وفي امس الحاجة اليك.. فقال — ان تابعيتى — هكذا — اعطتني سن الستين.. واحلت على التقاعد.. روتينيا — فيما اظن.. وانا صحيح بلغت الستين. ولكنى مستعد لمواصلة العمل.

وعجبت..! عجبت. كيف يحال على المعاش — مثل الاستاذ المربى محمد سعيد دقر دار. وهو من يعرف الجميع.. أنه من خيرة رجالنا الافاضل.. علما وادبا، وفهما، واصولا للتدريس.. انه خدم العلم.. حوالى ٢٠ عاما في حقول التدريس.. ويتمتع بسمعة علمية فائقة.. لدى الطلاب.. وادارة التعليم، وهيئة التدريس.. وهو خريج كلية اللغة العربية

ويحمل شهادة بالتدريس.. وقد كان يشغل منصب ادارة التعليم بالمدينة المنورة.. ولكن حرصه على خدمة العلم.. ومواصلة الدرس، والتدريس.. جعله يطلب نقله.. من ادارة التعليم الى مدرس.. لأن الادارة تشغله عن خدمة العلم.. واجيب طلبه ونقل مدرسا بالمدرسة الثانوية.

عجبت! كيف تستغنى وزارة المعارف.. عن شخصية قوية كشخصية الاستاذ الدفتر دار.. وهو.. هو.. بنشاطه وحيويته وقوته.

كيف تستغنى عن خدماته.. وهى محتاجة للمدرسين.. على نطاق واسع لجميع اقسامها الدراسية.. الابتدائية، والاعدادية، والثانوية، والعالية وكان الاولى ان تستفيد الوزارة.. من خبرته الطويلة في مجال التعليم.

واكبر دليل على ما يتمتع به من سمعة علمية.. لدى الاوساط التعليمية في وزارة المعارف.. اختياره لتصحيح اوراق الشهادة التوجيهية.. وطلبه من المدينة لهذه الغاية.. والغريب في الامر.. أن يحال الاستاذ الدفتر دار على المعاش اعتبارا من اول محرم ١٣٨٤هـ ثم ينتدب لتصحيح اوراق الشهادة التوجيهية في منتصف صفر ١٣٨٤هـ.. يظهر أن الروتين في ديوان الموظفين بالوزارة هو الذي احال الاستاذ على التقاعد والاعتماد على الاوساط العلمية في الوزارة التي تعرف فضل الاستاذ ومدى علمه وكفاءته.. هى التي اختارته لتصحيح اوراق الشهادة التوجيهية!

نعم الروتين — القاسى.. الذي لا ينظر الا تحت اقدامه.. الروتين.. الذي سبق أن حرم نخبة من رجال التعليم الافاذ.. حرمهم من ميدان العمل.. في خدمة بلادهم.. وحرّم بلادهم من مجهودهم العملى، والثقافى والادبى.. الروتين — هذا — هو الذي مديده ليحرم مدارس المدينة.. من رجل فاضل.. ومقدرة تدريسية.. يشهد بها كل من عرف هذا الرجل الفاضل.

ان في نظام الموظفين متسعا لاستخدام من ترى الدولة.. الاستفادة من كفاءته.. وخبرته بعد الستين. وهذه الكلمة اوجهها لمعالى وزير المعارف،

الشاب، الشيخ، العالم.. راجيا أن يتفضل بأعادة النظر في أمر احالة الاستاذ الدقر دار على المعاش، وأن يتخذ مايراه.. للاستفادة من مجهوده العملى.. وخبرته الطويلة.. في مجال التدريس والتعليم.. فلا يجوز أن تحتفى من الميدان مثل شخصية السيد الدقر دار.. لالسبب الا لانه بلغ الستين. وانا واثق ان نظرة معالى وزير المعارف الصائبة ستعيده الى ميدان العمل والجهاد العملى*.

* في مستشفى الملك :

كنت في زيارة لبعض الاصدقاء في مستشفى الملك.. وسرني مارأيت من نظافة المستشفى.. لقد رأيت الجدر تدهن بالبوية الزيتى وهى تلمع لماعنا ورأيت نظافة الغرف والممرات.. ورأيت المراتب.. العالية الجديدة.. في جميع القاعات التي مررت بها المخصصة لنوم المرضى.

ولولا صلة الصداقة التي تربطنى بمدير المستشفى الدكتور عصام خوقير.. وخوفى من أن اتهم بمحاباته، ومحاملته.. لتحدثت عما شاهدته ومارأيته لذلك عدلت عن ذكر شيء مما رأيت.. مكثفيا بهذه الاشارة العابرة.

وقلت لصاحبى.. الذي قدمت لزيارته بالمستشفى.. اننى اشاهد نظافة ملموسة في المستشفى.. - فقال - نعم - فيه نظافة.. شوف هذا الشرف.. وامسك بيده.. بطرف الشرف - الذي ينام عليه - وقال هذا الشرف.. كل صباح يبدل.. وكررها - كل صباح يبدل.. ثم قال - بس آه - ياليتك شملت قاعات.. المرضى بمستشفى الملك بطلب المكيفات.. ولم تقتصر على قسم النساء.. - ثم اردف قائلا - ان الحرارة في الظهر لا تطاق.. واطنها اذا وصلت ٤٣ في اقسام النساء.. فإنها قد تصل الى ٤٦ هنا.. وأشار الى مروحة في سقف القاعة.. واقفة، وقال اننى قلت للجماعة اننى مستعد لاصلاحها على حسابى.. اذا وافقوا على ذلك (انا

٥ للتاريخ - تفضل معالى الرجل الطيب وزير المعارف فاعاده الى الخدمة بمعارف المدينة.

اخسر ٤٠ — ٥٠ ريال بس ارتاح شوية من الحر) واشرت الى مروحة صغيرة امامه.. وقلت له — الاتكفي هذه المروحة.. فقال — لا.. ابدأ لاتكفي.. هذه المروحة جبتها من بيتي.. وعطلت اهلى عليها.. وانا قصدى مروحة السقف.. لأنها تهوى كل القاعة تقريباً.. ثم قال: انا لست من جماعة.. اذا مت ظمأنا فلا نزل القطر.. انا من جماعة

فلا نزلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

وتحمس صاحبي في الحديث.. ثم قال — انت معجب بالنظافة.. لانك عابر سبيل.. والله لايجوئك لدخول المستشفى.. اما أنا شخصيا فإننى — اتمنى أن يكون المستشفى وسخ — بس (مكندش) نستطيع ان نستريح فيه.

فقلت له: لاتقل هذا يا اخ احمد.. أن النظافة اساس في الصحة.. وأنها يجب أن تسبق كل شىء.. و(الكندشة) أن شاء الله فى طريقها.. فقال — اننا والله فى نار كبرى — وقت الظهر.. دخيلك خليم يشوفو لنا طريقة (لكندشة) هذه القاعات.. وقلت له سوف ازفع صرختك هذه.. التى تعتبر لسان حال جميع المرضى لمعالى وزير الصحة فى البلاد والمسئول الاول.. عن الصحة فى البلاد.. وارجوه ان يرق ويعطف على مرضاه ويرسل الكندشانات.. اسوة بمستشفيات مكة — وجدة — والرياض.

ومسك اذنى وقال ليش ماترفعها للامير فيصل.. فقلت له لا.. انا لاتعدى الحدود.. وخلينا الان مع معالى وزير الصحة وارجو أن يقوم بالواجب وتنتهى المشكلة.

فالى معالى وزير الصحة ارفع صرخة هذا المريض الذى يعبر بها عن لسان حال المرضى.. وأرجو أن تنال من عنايته ورعايته مايزيل هذه الشكوى وان قيمة الكنديشانات مهما بلغت لاتساوى شيئا ابدا امام آلام هؤلاء المرضى الذين لاحول لهم ولاقوة.. الا بما يسعفون به من رجالنا المسؤولين المخلصين.

** من الحافضة:

والظلم من شيم النفوس فأن تجد
ومهما تكن عند امرئ من خليفة
واذا تكون كرهة ادعى لها
كل من فى الوجود يطلب صيدا
وكل يدعى وصلا بليلى
ذا عفة فلعله لا يظلم
وان خالها تخفى على الناس تعلم
واذا يحاس الحيس يدعى جندب
غير ان الشباك مختلفات
وليلى لا تقر له بذاك

**** ينبع تنادي وزارة المواصلات والمدينة تطالب**

اجتازت ينبع فترة عصيبة من حياتها.. الاجتماعية والاقتصادية والصناعية، بعد توقف البواخر التجارية وبواخر الحجاج من الرسو في مينائها منذ الحرب العالمية الثانية..

لقد كانت ينبع.. منذ كانت.. هي الميناء الوحيد للمدينة المنورة.. وما حولها من مدن وقرى.. فكانت تنبض بالحياة والحركة.. والنشاط وبعد أن توقفت حركة البحر.. في ميناء ينبع — الا ما كان من السواحي الشراعية أو القوارب الصغيرة.. بعد توقف حركة البحر.. التي هي مصدر حيويتها ونشاطها فترة الحركة التجارية، والاقتصادية فيها.. وتبعها ركود وخمول في جميع مرافقها.. — حتى ان شبابها — شبابها الناهض.. الذي لم يجد ميدانا لنشاطه، وحيويته اضطر الى النزوح عنها.. للبحث عن لقمة العيش — وعن الحياة السعيدة.. فتجد الان معظم شباب ينبع.. بعيدا عن ينبع.. يعمل في مختلف مدن المملكة ومنهم من تسنم مراكز حكومية عالية.. واثبت نشاطا وفهما، ودراية في ادارة دفة الاعمال.. ومنهم.. من زاول الاعمال التجارية، والصناعية.. فبرز فيها.. واثبت جدارة وكفاءة ومقدرة.. وقد حرمت ينبع من مجهود ونشاط كثير من ابنائها، ورجالها العاملين.. بسبب الركود الذي ألم لها.

ولقد لمست الحكومة.. ما ألم بينبع من ركود، وفقر.. فاهتمت بأمرها.. وعملت على اعادة النشاط والحركة اليها.. فربطت ينبع بالخط الاسفلتي

نشرت في جريدة المدينة المنورة في ١٢/٢/١٣٨٤هـ

الذي يمر من جدة الى المدينة.. واصبحت ينبع مربوطة.. بخط اسفلتي بالمدينة شمالا، ومجدة جنوبا.

وكان المظنون.. بعد سفلية خط المدينة — ينبع.. ان ترسو — على الاقل — بواخر الحجاج.. التي تصل قبل الحج.. والتي لديها من الوقت.. مايكفى لزيارة حجاجها قبل الحج — كما كان الحال في سابق الازمان.. لأن المسافة بين المدينة، وينبع — تبلغ حوالى نصف المسافة بين جدة والمدينة.. فتوفر للبواخر القادمة من السويس.. مسيرة يوم — تقريبا — وتوفر على السيارات التى تقل الحجاج مسافة لا تقل عن ٢٠٠ كيلو متر.. وبالتالي تخفف الضغط عن الميناء بمجدة.. الذي عجز عن استقبال كل البواخر التي تقصده.. سيما ايام الموسم.. مما سبب ارتباكا في الميناء وارتفاعا في سعر بعض السلع التجارية.. وما اضطر وزارة المواصلات.. ان تعمل على توسعة ميناء جدة..

ومهما اتسع ميناء جدة.. فإنه لا يمكن الاستغناء.. عن ميناء ينبع.. بالنسبة لتجارة المدينة ولقاصدى المدينة من الحجاج وللمساهمة في تخفيف الضغط عن ميناء جدة.

واذكر أن هيئة شكلت من كل من ادارات الحج، والأمن العام، والجوازات والجنسية، والجمارك.. لدراسة الاوضاع في ينبع.. وتأسيس مكاتب.. للدوائر ذات الاختصاص بأعمال الحجاج.. هناك لنزول الحجاج.. الذين يريدون الزيارة قبل الحج ينبع.. ولقد مضت مدة طويلة تقارب البستين.. ولم نسمع شيئا عن نتائج هذه الهيئة.

على أن مصلحة الحجاج، ومصلحة شركات السيارات ومصلحة الموانئ، كلها تقضى بأن يكون نزول الحجاج الذين يصلون قبل الحج.. بمدة تكفى لزيارتهم المدينة المنورة.. أن ينزلوا في ميناء ينبع.. ومنها للمدينة — وبعد الزيارة يتوجهون الى مكة المكرمة لاداء نسك الحج.. كما ان الحجاج الذين يؤدون الحج ثم يزورون المدينة بعد الحج.. يكون سفرهم من المدينة الى ينبع

ومنها يسافرون الى بلادهم على بواخرهم.. كما كان الحال من قديم الزمان — ذلك — لأن المسافة بين المدينة وينبع حوالى ٢٤٠ كيلو مترا.. بينما المسافة من جدة للمدينة ٤٢٤ كيلو مترا.. فيتوفر على الشركات والبواخر حوالى نصف المسافة.. ويخف الضغط عن ميناء جدة.. كما يخف الضغط عن الخط الاسفلتى بين المدينة — جدة.

والخطوة الثانية — التى خطتها الحكومة.. لاعادة النشاط والحركة الى ينبع.. اصلاح ميناء ينبع المتصل بالبلد وجعل البواخر ترسو به.. وقد تم هذا المشروع — كما علمت — منذ شهر رمضان من السنة الماضية.. ومضى على اتمامه الان حوالى خمسة أو ستة شهور ولكنه لم يسلم حتى الان لجهة الاختصاص.. ولم يستعمل وتقف بعض البواخر التجارية التى يستقدمها بعض التجارة بصورة خاصة تقف بعيدة عن الميناء.. وتفرغ حولتها على القوارب دون ان ترسو على الميناء.. وانا بدورى لادرى ماهى اسباب عدم تسليم الميناء واستعماله.. بعد ان تم — كما علمت — الجواب — طبعا — عند وزارة المواصلات او مصلحة الموانىء..

ولم يبق — الآن — عذر.. بعد اصلاح ميناء ينبع وربطها بخط اسفلتى.. الى المدينة وجدة.. لم يبق عذر.. للبواخر التجارية وبواخر الحجاج.. بعدم الرسو في ميناء ينبع.. والميناء ان لم يسلم اليوم فسوف يسلم غدا.. ويصبح صالحا لاستقبال البواخر بأنواعها.

وانى ارجو ان يتخذ المسئولون — من الان — الاجراءات الكفيلة بدخول البواخر التجارية وبواخر الحجاج الى ينبع.. وأن في الوقت متسعا لتأسيس مكاتب للدوائر ذات الاختصاص لاستقبال الحجاج.. اما البواخر التجارية.. التى تحمل مؤثنا ولوازم للمدينة المنورة وما حولها.. فلم يبق لها محل.. لأن تنزل بضائعها بجدة فإن في ذلك خسارة عليها.. وعلى المستهلك بالمدينة واطرافها.. وعدم انتظام للحركة التجارية..

أن مدينة ينبع هى احدى مدن المملكة السعودية.. وهى حرية بالعناية

والرعاية من الجميع.. وان الواجب على المسؤولين.. في مختلف مصالح الدولة.. أن يؤدوا ما عليهم من واجب نحو هذا البلد.. المعروف بطيبة وطيب اهله.. وأن يعيدوا اليها ما فقدته من حيوية ونشاط.. اما الجهات العليا في الدولة.. فقد ادت ما عليها نحو هذا البلد.. وما علينا الا ان نكمل الباقي والله ولى التوفيق.

**** حاجة مستشفى المدينة :**

هذه الكلمة.. اوجهها لمعالى وزير الصحة.. وارجو أن تنال من عنايته ما يحقق مطالب المدينة.. وما يخفف آلام مرضاها بمستشفى الملك. لقد علمت — يامعالى الوزير — ان درجة الحرارة.. في قسم النساء العلوى بمستشفى الملك بلغت ٤٢ و ٤٣ درجة.. وان بعض السيدات قد اصبن بما يشبه ضربة الشمس.. وهن بغرفهن بالمستشفى وانا لاستبعد هذا.. فإن الاقسام العلوية بالمدينة تبلغ حرارتها.. الى هذا الحد.. وقد تزيد.. سيما المباني بالمسلح.. ولا بد من علاج لتخفيف درجة الحرارة عن المرضى وعن المرضات.

إن هذه الغرف.. بهذه الحرارة.. تمرض الصحيح.. فكيف بالسقيم.. اننا في عصر المكيفات الكيماوية والمكيفات الصحراوية.. وجميع الدوائر الرسمية اليوم مكيفة الهواء.. وأن المرضى لاحوج واولى من الموظف بتكييف الهواء.. واعتقد جازما يامعالى الوزير انك لا تعلم.. عن ارتفاع درجة الحرارة بالمستشفى لهذا الحد.. ولا تعلم عن الحوادث التي لحقت ببعض المرضى من جراء الحرارة لو علمت لما توقفت لحظة في تأمين المكيفات اللازمة للمرضى وغير المرضى من الموظفين، والأُن وبعد أن علمت هذا ارجو المسارعة في تخطى كل شئ وتأمين المكيفات لهؤلاء الساكنين الذين لاحول لهم ولا قوة.. وينتظرون الفرج من الله ثم منكم. وأرجو الا يعقد الروتين — روتين المعاملات تأمين المكيفات والا يعيد التاريخ نفسه.. فقد سبق أن قرأت في بعض الصحف الخارجية.. ان بعض المستشفيات طلبت بطاين

لوقاية المرضى من البرد.. وان هذا الطلب دار في فلك الروتين.. ونظرا
لسلامة الطلب ووجاهته.. فقد صدر الأمر بتأمين البطاطين ولكن متى صدر
الامر.. صدر في الصيف.. ثم توقف الصرف لأنه لم يبق من حاجة لهذه
البطاطين..

وموضوع آخر يامعالى الوزير.. هذا الموضوع قد لا يقل أهمية عن موضوع
ارتفاع درجة الحرارة في المستشفى.. وهو عدم وجود طبيب تخدير بالمستشفى
وكيف يطمئن المريض أن يجري له عملية جراحية.. وهو يعلم ان من يتولى
تخديره ممرض لا طبيب.. ولا يريد أن أعلق كثيرا على ماقد يحدث من تولى
ممرض مهمة التخدير.. فإن ذلك لا يحتاج الى ايضاح.. ان كثيرا من
المرضى.. يضطرون للسفر لجدة وقد يكون الى أبعد من جدة.. للعلاج..
واذا لزم الامر لاجراء عملية جراحية.

اننى ارجو ان تهتم يامعالى الوزير بأمر تكييف المستشفى وطبيب
التخدير فليس كل الناس يستطيع السفر الى جدة او غير جدة.. وليس في
الناس من تهون عليهم ارواحهم فيسلمونها لمرض يتمرن عليها.. هذان
مطلبان — من مطالب المدينة — من مطالب مرضى المدينة ارجو العناية بهما
وتأمينهما.. واقناع اهالى المدينة بأن المدينة ليست كما هو مطبوع في اذهان
البعض من أن مطالبا في مؤخرة الطلبات دائما.

**** الحظ .. هل هو حقيقة .. أم خيال :**

الخط، او الفرصة، أو المقدر — بتشديد الدال — سمه ماشئت.. ولكنك
لا تستطيع حذفه.. من قاموس الحياة.
هذه الظاهرة الغريبة — ظاهرة تسلط الخط على العقل — تتكرر منذ
الاجيال الغابرة.. ومازالت تتكرر على مسرح الحياة.. ومازالت محل
النقاش، واختلاف الرأى.. بين المفكرين والادباء منذ الخليقة.

لقد أثار.. الكتاب وذوو الرأى.. في مختلف العصور، والاجيال —

اثاروا الصراع القائم بين الحظ — والعقل — اثاروه — ولكنهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى نتيجة — بل لايزالون مختلفين فيه.. ولم يستطع فريق منهم اقناع الفريق الآخر.. ولايزال الخلاف — يثار من حين لآخر.. كلما تكررت تلك الظواهر — بما فيها.. من فوارق يختار فيها العقل.. ويقف عندها التفكير حائرا..

لقد قال قوم.. أنه لا يوجد شيء اسمه «الحظ».. وأن الحياة للكادحين، العاملين — للعقلاء والمفكرين.. وأن الحياة.. لاتعين عاجزا.. ولا تجود على خامل تنبل..

وقال آخرون — ان الحظ — يلعب دورا كبيرا في حياة الانسان.. وأن الحظ — لا الجهد، ولا العقل، ولا العرق.. — الحظ — هو الذي يهيىء السعادة للمرء وهو الذي يقوده الى الشقاء.. أما مميزات الإنسان.. من رجاحة عقل.. ومن كفاح وجهد.. فإنها تأتي.. في الدرجة الثانية في رأيهم.. وأن الحظ هو الذي يستخدم العقل ويسخره. ويقولون.. ان والده الاسكندر الكبير.. الملقب بذي القرنين الذي كان يعيش في القرن الرابع قبل الميلاد.. والذي كانت له الفتوحات الكبيرة في الشرق والغرب — يقولون — ان والده هذا الزعيم دعت له بقولها «اللهم ارزقه حظا يخدمه به ذوو العقول ولا ترزقه عقلا يخدم به ذوو الحظوظ».. وسواء صحت هذه الرواية.. عن والده الاسكندر.. ام لم تصح.. فإنها تعطى فكرة واضحة.. عن اصطراع العقل مع الحظ.. منذ الأجيال القديمة..

وتسلط الحظ على العقل.. يكاد يكون ملموسا.. وانك لتقف.. مبهوتا امام كثير من الظواهر.. التي لم تجد فيها العقل يتشاءب ويتدهور.. أمام الحظ.. تجد الكسول الخامل الغبي الأبله.. قد ارتفع إلى قمة المجد.. والعامل المجد الكادح.. يبحث عن لقمة العيش فلا يجدها..

كم عاقل — عاقل — اعيت مذاهبه..

وجاهل — جاهل — تلقاه مرزوقا.

تقف محتارا مبهوتا.. أمام هذه الظاهرة.. فلا تدري.. كيف تضمها.. ولا كيف توجهها.. وكيف ترزها بميزان العقل.. تحاول أن تنتزعها.. من قاموس الحياة.. لأنها لا تنطبق على قاموس الحياة.. ولكنك تصطدم بالواقع.. وتبحث عن السبب.. فلا تجد ما يقنعك.. أو يريح تفكيرك.. من قبل — فتقول أنه الخط — انهم المحظوظون.. الذين يولدون.. وفي افواههم ملاعق من ذهب.

ووليد تخضع الدنيا له ووليد في عداد المهملين

ويقول من ينكر وجود الخط.. أنه ليس للانسان إلا ماسعى. ليس له الا جهده وكفاحه.. في الحياة.. وما يتميز به من عقل، ودراية وعلم.. واذا وجدت امرا.. ارتفع الى قمة المجد وهو غير جدير بهذا الارتفاع.. فأبحث عن السبب.. ابحث عن السبب من جذوره.. فسوف تقف على السبب ويزول منك العجب.

فشلا.. اذا رأيت إنساناً تسنم مركزا.. ليس هو اهل له.. أو نال ثراء أو جاها لا يستحقه.. فإنك ستجد.. أن ماناله من مكانه، او جاه، إنما كان من جهد غيره.. ستجد ان له قربي أو رحا أو دالة.. على المسئول.. الذي يملك أن يعطيه فوق حقه.. ستجد ان هذه الرفعة وهذا السمو.. جاء من جهد غيره.. وجاء بعرق وكد غيره.

أما من يعتقدون أن للحظ النصيب الأوفى.. في حياة الانسان.. فإنهم يعللون.. كل هذه الاسباب.. والظواهر التي لا تنطبق على قاموس الحياة يعللونها بالخط.. فمن حظ هذا ان يكون له قربي.. أو رحم.. يبدلان شقاءه بسعادة.. وبؤسه بنعيم.. ومن سوء حظ ذاك أن يوكل الى نفسه.. ويحرم من عطف الغير وحنانه. ويحضرني الآن بيت بن الرومي الذي تحدث فيه عن الخط فقال:

ان للحظ كيمياء اذا ما مس كلبا احاله انسانا

وهنا حادث.. رددته الصحف الامريكية.. ونقلته عنها الصحف العربية — مفاده — أن (مليونيرا) امريكا — مر بمطار القاهرة وطلب من بائع الصحف بالمطار ان يعطيه صحيفة — اللغة الانجليزية — فأعطاه.. وقدم له المليونير الامريكى دولارا ثمنا للصحيفة.. ولكن بائع الصحف اعاد الدولار لصاحبه وقال له النظام يمنع بيع الصحف بغير العملة المحلية.. فقال له الامريكى ولكن لا يوجد لدى شىء.. من عملة بلادكم.. فقال له بائع الصحف.. لا بأس خذ الجريدة هدية منى.. وأخذ الامريكى المليونيرة الجريدة.. ولكن بائع الصحف كبر فى نظره.. وعرض عليه أن يأخذه معه الى امريكا ليدخله المدارس ويعلمه على حسابه.. فوافق.. وفى اثناء دراسة هذا الطالب — توفى الامريكى المليونير — ولكنه اوصى لبائع الصحف بنصف ماله.. فورث ثلاثة ملايين من الدولارات.. وانتقل بائع الصحف من عالم الى عالم.. ومن حياة الى حياة.. ومن وسط الى وسط.. وهل يمكن ان يعزى هذا الحادث وأمثاله الى غير الحظ..؟ ان الحياة مليئة بأمثال هذه الحوادث.. فبم نعللها؟

**** مقتطفات من الحافظة**

لولا مواهب في بعض الانام لما	تفاوت الناس في الاقدار والقيم
خلقت كريما لأرى لابن حرة	على يد أغضى لها حين يغضب
واكرم نفسى اننى ان اهنتها	وحقك لم تكرم على احد بعدى
وأتعب من ناداك من لاتجيبه	وأغيب من عاداك من لاتشاكل

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
بين يدي الكتاب	٥
ذكريات عن المدينة المنورة	٩
حفظ القرآن الكريم في المسجد النبوي	١٣
حول إدارة خدمة الحرمين الشريفين	١٧
مكتبة الحرم النبوي الشريف	٢١
ذكريات الحج في المدينة	٢٧
قدوم الحجاج	٢٧
الحج أيام زمان	٢٩
حج أهالي المدينة	٢٩
الاستعداد للحج	٣٠
الحج على الركوب	٣٢
ركوب المدينة (الحلقة الأولى)	٣٣
الحادى	٣٧
ركوب المدينة و(الحلقة الثانية)	٣٩
السرايات	٤١
ماظنك باثنين الله ثالثهما	٤٥
ذكرى بدر.. دستور الكفاح	٤٧
المدينة المنورة.. البداية — الوداع	٤٩
مطبعة النهار	٥١
مطابع جريدة المدينة	٥١
الوداع	٥٢

٥٧ ماضي المدينة المنورة العريق وحاضرها المتطور
٥٩ شارع العينية
٦١ المدينة المنورة في حاضرها
٦٥ المدينة المنورة اليوم
٦٥ التوجه إلى المدينة
٦٩ العودة من المدينة
٧٠ ازدواجية الخط
٧٣ أغرب الذكريات في حياتي
٧٧ ذكريات ومفارقات بين الأمس واليوم
٨١ رفقاءً بجيران المصطفى
٨٥ حول المسجد النبوي
٨٦ دوارق الماء المبرد
٨٧ قراء العشر من القرآن
٨٧ حلقات الدروس بالمسجد
٨٨ الأزقة الضيقة الملتوية
٨٨ صيانة الأروقة المحيطة بالمسجد
٨٩ واقع الأزقة الضيقة
٩١ طبق الصحيفة وقال «في أمان الله»
٩٧ مجالس الأدباء بالمدينة المنورة
٩٧ نشأة الأدب بالمدينة
٩٨ مجالس الأدب بالمدينة
١١١ جل من لا ينسى
١١٧ علاقة الصحافة بالأدباء قبل ١٢ عاماً
١٢١ المنهل عامه الأربعين
١٢٥ طه حسين في المدينة
١٣١ أمسية شعرية في منزل أمير الشعراء «شوقي»
١٣٢ تخلف الشعر

١٣٣	أمسية كرمة ابن هانئ
١٣٣	شوقي وأبي نواس
١٣٤	السادات يرعى الأمسية
١٣٤	قصيدة الأمير عبدالله الفيصل
١٣٤	ممثلون يلقون قصائد شوقي
١٣٦	الشعر المرسل
١٣٩	أمير!!
١٤٩	من حديث القلم
١٥٣	الدراسة .. والضرب .. والاجازات
١٦١	الدراسة الثانوية للبنات بالمدينة المنورة
١٦٥	الطلاب المبتعثون في العهد العثماني
١٦٦	الحركة التعليمية في المدينة
١٦٧	دار المعلمين
١٦٨	الجامعة الإسلامية
١٦٩	البعثات العلمية
١٧١	دور المبتعثين في تفتيح الوعي
١٧٥	اتقوا الله في فتياكم
١٧٩	مفاتيح المدينة المنورة
١٨٥	ذكريات مدرسة الصحراء في شريط الذكريات
١٨٦	مخصص يومي للطلاب
١٨٧	عون جلالة الملك عبدالعزيز للمدرسة
١٨٨	المنهج الدراسي والاختبارات
١٨٩	ابتعاث طلبة المدرسة للمنطقة الشرقية
١٩١	ذكريات نصف قرن
١٩٣	جريدة المدينة
١٩٤	مدرسة الصحراء والصيرفي
١٩٤	هضبة العنبرية

١٩٧	الحرة الغربية
١٩٩	١٥ يوما في ربوع المدينة المنورة
٢٠٠	الزحام بالمسجد
٢٠٠	التوسعة الجديدة
٢٠١	النوم بالمسجد
٢٠١	الطعام بالمسجد
٢٠١	أطراف المسجد
٢٠٢	ضرورة اسكانهم
٢٠٢	قسوة الجنود بالمسجد
٢٠٤	العشرة الأواخر
٢٠٥	عطف الدولة يتطلع إليه أصحاب الدور
٢٠٧	اسأل مجرب ولا تنس الطبيب
٢٠٧	طريق المدينة
٢١١	حديث مخضرم عن ذكريات الصوم
٢١٢	رؤية الهلال
٢١٢	المحكمة الشرعية
٢١٣	استقبال الأطفال لرمضان
٢١٣	الحركة في الأسواق
٢١٤	كيف ثبتنا رمضان في شعبان
٢١٩	العيد في المدينة المنورة
٢١٩	لا أحقاد في العيد
٢٢٠	حنين المدينة
٢٢١	التمر بدل الحلوى في العيد
٢٢٢	ازدحام الأسواق
٢٢٢	الخيطة والحلاقون
٢٢٣	لا نوم ليلة العيد
٢٢٣	ستات البيوت

٢٢٤ صلاة المشهد
٢٢٤ الجبة والعمامة
٢٢٥ خروج الأسر للمسجد
٢٢٥ في صلاة العيد وما فيها
٢٢٥ الزحام عند الخروج من الصلاة
٢٢٦ ذكاء بوابي المساجد
٢٢٦ أشكال وألوان في الشوارع
٢٢٦ حجاب نساء البادية
٢٢٦ الدعاء والاستعراض
٢٢٧ عادات بطلت
٢٢٨ الضيوف والزوار
٢٢٩ ذكريات العيد (١)
٢٣٥ ذكريات العيد (٢)
٢٤١ ذكريات العيد (٣)
٢٤٣ صلاة المشهد
٢٤٩ بلدية المدينة.. ومسئولية التنظيم والنظافة
٢٥٣ تداركوا هذين الشارعين قبل فوات الأوان
٢٥٦ بنك التسليف الزراعي
٢٥٩ أزمة المياه في المدينة تناديك يابن عبدالعزيز
٢٦٠ أسباب أزمة الماء
٢٦٢ المناطق التي توجد فيها الماء
٢٦٣ موارد العين
٢٦٦ من الحافظة
٢٦٧ كيف كانت تشرب طيبة وكيف تشرب اليوم
٢٦٨ كيف كانت تشرب المدينة
٢٦٩ الأسعار
٢٧٠ العين الزرقاء

٢٧٢ خدمة العين الزرقاء
٢٧٧ سد الغابة أكبر منجزات الزراعة بالمدينة المنورة
٢٨١ سده، حوضه العاقول، طريقه مناخه
٢٨٢ سد العاقول
٢٨٢ غابة على أرض العاقول
٢٨٣ سد العاقول الجديد
٢٨٣ حديقة العاقول
٢٨٤ أحمد باقدو يتبرع بعمارة المنتزه
٢٨٧ عمارات الإسكان في المدينة المنورة واقتراح
٢٨٧ قبل التنفيذ
٢٩١ كلمتان لوزارة الصحة وكلمة لوزارة المعارف
٢٩١ أين مستشفى الحميات
٢٩٤ في محيط التعليم
٢٩٦ في مستشفى الملك
٢٩٨ من الحافظة
٢٩٩ ينبع تنادي وزارة المواصلات والمدينة تطالب
٣٠٢ حاجة مستشفى المدينة
٣٠٣ الحظ.. هل هو حقيقة.. أم خيال
٣٠٦ مقتطفات من الحافظة
٣٠٧ الفهرس